التَّضُوُّ وَالنَّاصُِّوْلِ وَالنَّاصِيْلِ فَاللَّهِ مِنْ الْفِيدِينَ الْفِيلِيلِينَ الْفِيلِيلِينَ الْفِيلِينَ الْفِيلِينَ ال

تاليف

الإمام الحافظ المجتهد ناصر السينة

شهاب الدين

أبي لفيض جمزين محذين الصريق

أدام الله به النفع آمين

طبع على نفقة

مكت بناجن إنجي ومطبعنها

سنة ١٣٦٦ه

مطبقة اليتفاذة يخوارة اضاده فيمن

التيم و التيم الت

تاليف

الإمام الحافظ المجتهد ناصر السينة

شهاب الدىن

أني لفيض حمرين محزيث الصريق

أدام الله به النفع آمين

طبع على نفقة

بمكتبذالجب إنجي ومطبعنها

سينة ١٣٦٦ هـ

رانند المرارسيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله وكني وسلام على عباده الذين اصطغى

أما بمد : فانى كنت جمعت كتاباً في ترجمة والدى . قلت في أوله :

الحمد لله الذى أنار القلوب بأنوار معارف أوليائه ، وأشرق فيها شموس الحمداية بأسرار علوم أصفيائه ، وجعلهم نجوماً يهتدى بهم فى ظلمات الجهل من أسعده الله تحبائه ، ورفع عنه حجاب المعاصرة فأشهده خصوصية خاصة أحبائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحــده لا شريك له ، شهادة نستوجب بها نيل رضائه ، ونستجلب بها كمال السرور عند لقائه

وأشهد أن سيدنا محداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وخليله ، أعلم العلماء بصفات الله وأسمائه ، وأعرف العرفاء بجلال عظمة الله وكبريائه ، وأشرف مخلوقات الله في أرضه وسمائه ، صلى الله عليه وعلى آله الفائزين برضى الله ، والقائمين بشكر نعمائه ، وصحابته السابقين إلى إجابة دعوته وتلبية ندائه

أما بعد فلما كان شكر المنعم من أوجب الواجبات وأشرف الخصال ، وبر الوالدين من أعظم القربات وأفضل الاعمال ، وكان تدوين مناقب الشخص وفضائله ، ونشر محاسن أخلافه وشمائله من تمام البر به وشبكر نعمته ، والقيام بخدمته ورعى حقوقه وحرمته .

جمعت كتابي هذا في مناقب سيدي وأستاذي ووالدي الشيخ الامام العلامة

البحر الهمام ، غوث الآنام ، ومصباح الظلام ، مفيد الخاص والعام ، ومقتدى الآولياء العظام ، محر العلوم والمعارف ، ومعدن الآسرار واللطائف ، مربى المريدين ، ومرشد السالكين ، خاتمة العلماء العاملين ، وغرة جبين الآولياء الكاملين ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والخوارق المحجزات الباهرة ، والأخلاق الزكية الزاهرة ، والشيم المرضية الطاهرة . الغوث الصمدى والفرد المحمدى . الختم الجامع ، والضياء اللامع ، برزخ الحقائق والشرائع ، المجتهد المطلق المخصوص بعناية الله على التحقيق والمنعم عليه بكال الهداية والتوفيق ، مولانا و عجد بن الصديق ، رضى الله عنه وعنا به ، ونفعنا ببركاته قياماً ببعض ماله على من الحقوق العظيمة وأداء لبعض ماوجب من شكر فيما أجسمة ، فانه أنعم على دينا ودنيا ، وأحسن إلى روحاً وجسما ، جزاه نعمه الجنوب أله عنى أحسن الجزاء ، وجع بيني وبينه في دار الكرامة والبقاء آمين

وقصدت مع ذلك نفع الراغبين فىالعمل الصالح ، والاهتداء بهدى حزب الله الفالح ، وانتهاج مناهج أهل الله ذوى المتجر الرابح

وسميته «سبحة العقيق ، بذكر مناقب الشيخ سيدى محمد بن الصديق» ورتبته على ثلاثة عشر باباً

الباب الأول: في نسبه ومقر أسلافه ، وسبب انتقالهم من أحواز تلمسان إلى غارة

الباب الثانى : فى ترجمة أجـداده من قبل الآب والام ، وذكر مالهم من المناقب والكرامات .

ألباب الثالث في ولادته ونشأته وطلبه تلعلم، وسلوكه طريق القوم، ومجمّل تاريخ حياته.

الباب الرابع: في وصف حالته العامية ومواهبه الفتحية الباب الخامس في سردجمة من أخلافه السنية السنية وأحو الهالزكية المرضية.

الباب السادس من فيما أكرمه إلله به من الفضائل والمبزايا وما أجراه على السان خواص عباده من مدحه والثناء عليه إنثراً ويظماً

الباب السابع : في بعض ما جرى على يديه من الحكر امات وأخبر به من العكر امات وأخبر به من الغيوب والمكاشفات .

الباب الثامن: في الاوراد والاذكار التي كان يلقنها ويأمر بها أصحابه . الباب التاسع في ترجمة بعض أولاده ، وزوجته الاولى التي توفيت في حياته

الباب العاشر في ترجمة من عرف من مشايخه ومجيزيه في العلم الظاهر . الباب الحادي عشر : في ترجمة شيخه في التصوف وسلوك طريق القوم . الباب الثاني عشر : في سلسلة طريقه وتحقيق اتصالها بأبي الحسن الشاذلي رضى إلله عنه

الباب الثالث عشر : في ذكر مرضه وإنتقاله وما قيل في رثائه

واعلم أنه قد سبقنى إلى تدوين مناقب الشيخ جماءة من الفضلاء . منهم الفقيه المفتى المؤرخ أبو عبد الله محمد بن العياشى سكيرج الفامى ، وسمى كتابه نبذة النحقيق ، والعمالم إلعامل الصوفى الخطيب أبو حامد العربى بن العربى بو عياد الطنجى ، وسمى كتابه ونسمات وادى العقيق » ، والإدبب الهوفى أبو عبد الله محمد بن الازرق الفاسى ثم الزياتى ، واسم كتابه حادى الرفيق والفقيه المبدرس أبو حامد العربى بن المبارك العبادى السلاوى ، وكان شرع فى كتابنه أيام حياة الشيخ رضى الله عنه ، لكن صوارف الزمان وكان شرع فى كتابنه أيام حياة الشيخ رضى الله عنه ، لكن صوارف الزمان صرفته عن إكاله ، وشواغل الدنيا شفلنه عن الفوز بسعادة إتمامه ، وكل هذه المؤلفات حاضرة لدى ، وشاهدة بأنى حمت حول القيام عما وجب على هذه المؤلفات حاضرة لدى ، وشاهدة بأنى حمت حول القيام عما وجب على عانها بالنسبة لكتابى كقطرة من نهر أو غرفة من محر ، إذ رب البيت أدرى عا فيه ، وصاحب القصيد أعلم بقوافيه إه .

إلا أنه لمـ اكان واسع القول ، كبير الحجم ، تقصر الآيدى غالبا عن استنساخه وكتابته ، وتكل الهمم دون استيعابه وقراءته اختصرته بحذف ثلاثة أبواب بكاملها ، وهي الباب الثامن والتاسع والعاشر ، ولخصت مقاصد الأبواب العشرة الباقية في هذا المختصر .

وسميته : التصور والتصديق عناقب الشيخ سيدى «محمد بن الصديق» م فقلت وبالله التوفيق

البـــاب الاول

فى نسبه ومقر أسلافه وسبب انتقالهم من أحواز تلمسان إلى غهارة

أما نسبه: فهو أبو عبد الله سيدى محمد بن الصديق بن أحمد بن محمد ابن قاسم بن محمد بن محمد مرتين بن عبد المؤمن بن محمد بن عبد المؤمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد بن الخسن بن محمد بن عبد الله بن عبد بن مسعود بن الفضيل بن على بن عمر بن العربي بن علل بن موسى بن أحمد ابن داود بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسى السبط بن على وفاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا هو النسب المعروف الشائع بين عائلتنا والموجود بأيديهم في بعض التقاييد القديمة

وذكر العلامة أبو العلاء إدريس بن محمد الفضيلي الشريف العلوى في الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية في الفصل الثالث في ذكر أبناء الفرع الثالث من فروع مولانا عبدالله الكامل، وهو السيد سليمان مانصه وفرقة بغماره، وهم أولاد عبدالمؤمن، ورجع بعضهم لتلمسان وجميعهم أولاد السيد عمر الشريف بن محمد العابد بن إدريس بن مجد بن سليمان ابن عبد الله الكامل اه، قالله أعلم من أين دخل الوهم

أما النسب فهو ثابت محقق بطريق الشهادة والاستفاضة والتواتر بين

الناس في الشهائد ورسوم الانكحة والبيوعات والهبات على ضرائح الأسلاف وغير ذلك من التقاييد والتعاريف من أواخر القرن العاشر إلى هذا العصر ، وكذلك في ظهائر الملوك الآمرة بتعظيم الاسلاف واحترامهم ، ورفع التكاليف اللازمة لغييرهم عنهم من دولة الشرفاء السعديين ، ودولة الشرفاء العدويين الحاضرين ، إلى دولة السلطان عبد العزيز المؤرخ ظهيره الشرفاء العنتى عشرة وثلاثه ائة وألف ، ومن بينها ظهير السلطان مولاى امهاعيل الذي يحث في دولته عن الاشراف وحقق أنسابهم بالطريق الشرعي ، فيكان لا يصدر ظهيراً باقرار النسب إلا بعد ثبوت ذلك عنده ، كما هو معروف في ترجمته ، و نص عليه حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله في طهير له

فقال ويعلم ويتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا على أن النسب المقطوع به فى غربنا من غيرشك ولاريب ، هو ما أدخل فىدفتر مولانا الجد رحمه الله بعد ما تحقق أمره ، لأن ملكه اتبع القرى والمداشر والحواضر ، وشهدت لهم الكافة والجمهور وحقق من دفتراً بى العباس المنصور ، وبحث فيه أولا ، وثانيا فاذا هو مشهور اه

وأما نسبه من جهة الأم ، فان والدته هي السيدة الجليلة الشريفة الصالحة فاطمة بنت الشيخ العسلامة الولى الصالح أبى العباس أحمد بن الشيخ الامام العلامة العارف أبى العباس أحمد بن عجيبة ، القائل في فهرسته .

أنا عبدالله أحمد بن محمد بن المهدى بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجى ابن عبد الله بن عجيبة ، ثم إلى سيدى سحنون بن مولاى ابراهيم بن محمد ابن موسى بن عبد الله ، ثم إلى مولاى أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر رضى الله عنهم أجمعين .

مُم أطال في تحقيق ذلك ، ونقل إثبات نسبه عنجماعة من العلماء والأولياء

اخل الكشف ، كشيخه العارف البوزيدى ، وشيخ شيخه مولاى العربي. الدرقاوي مع الشهرة والاستفاضة التي يثبت عثلها النسب

فصـــل

كان قدوم أحد أجداد سيدئ عبد المؤمن الكبير من الانداس في أواخر القرن الخامس، ونزل بأحواز تلمسان ونشأ بها عقبه إلى أن اشتهرمنهم الولى الشهير سيدى عبد المؤمن المد كور المعروف بأبى قبرين، وذلك فى القرن التاسع أو آخره ثم انتقل حفيده سيدى عبد المؤمن الصغير الى غارة أو اسط القرن العاشر خرج لطلب شيخ التربية فاتصل بالشيخ العارف أبى الحسن على الشلى ، نزيل جبل سريف ، المتوفى به سنة إحدى و عانين و تسعائة ، وهو من تلامذة العارف سيدى يوسف التليدى ، أحد تلامذة القطب الغزوانى ، فنزل من وتخرج على يديه ، ثم انتقل يطلب محلا يختلى فيه للعبادة ، فنزل بالموضع المسمى مجكان ، من قبيلة بنى منصور الغمارية ، وأقبل على العبادة ، فنزل وظهرت على يديه كرامات كانت السبب في اشتهاره بتلك البلاد واستقراره بها إلى أن مات وترك عقبه بها إلى اليوم .

الباب الثناني

في ترجمة أجداد الشيخ رضى الله عنه من قبل الاب والام

أما جده الأعلى سيدى عبد المؤمن بن على ، الذى تنسب اليه عائلة الشيخ رضى الله عنه ، فكان من كبار الأولياء ، ذا مناقب عديدة وكرامات كثيرة شهيرة ، وكان له أتباع محبونه ويعظمونه غاية التعظيم ، كسائر أهل القبيلة الميزناسية . وكاف مقصودا بينهم للتبرك والانتفاع به فى الدين لما رأوا من فضله ، وشاهدوا من كراماته ، وكان يقيم بموضعين من القبيلة المذكورة وله فى كل منهما تلامذة وأصحاب أحدها يسمى بيدر ، والآخر ورطاس ، فبهذا الاخير كانت وغاته ، وبه دقن أولا ثم جاء أهل بيدر و نقلوه اليها .

فلما علم أهل ورطاس بذلك قصدوهم لرده إلى مدفينه الأول ، قامتنع من ذلك أهل بيدر ووقع بينهم نزاع كاديفضي إلى المجاربة والقتال ، فبيناهم كذلك إذ وقف الشيخ على واحد منهم فى رؤيا منامية ، فقال له لم هدذا النزاع وأنا موجود بالقبرين سعا ، فرهم يحفرون على القبرين فانهم يجدوني فى كل منهما ، فلما أخبرهم عارأى فعلوا ذلك ، فوجدوا الشيخ فى كل من القبرين ، فرضى الفريقان . وبنى كل واحد على القبر الذي عنده قبة ، ها موجودتان إلى الآن ، وكلتاهما مزارة مقصودة .

وبسبب هذه الكرامة اشتهر فى قبيلة بنى يزناسن بسيدى عبدالمؤمن ، أبو قبرين . ولا يزال أهل تلك النواحى يشاهدون له كرامات ويؤثرون عنه مناقب وحكايات ، إلا أنه لقلة اعتنائهم بالتاريخ لم يدون أحد منهم للشيخ ترجمة ولا كتب تاريخ وفاته على النعيين .

فص___ل

وأماحفيده سيدى عبد المؤمن دفين تجكان فانه لما قدم اليها بعد أخذه عن العدارف أبى الحسن الشلى نزل على أحد سكان القرية فأكرمه باعتباره ضيفا غريبا ، ثم كلفه برعى غنمه ، فكان يخرج بها صباحاً ثم يذهب إلى محل بعيد فيه حفرة واسعة فيجمعها هناك ثم يقبل على العبادة إلى آخر النهار ثم يعود بها ، وأحيانا يذهب لناحية أخرى فيتركها وحدها وينصرف . فر ذات يوم بعض الناس على تلك الغنم ، ورأى ذئبا يحوم حولها ، فذهب إلى ربها وأخبره ، فذهب للتحقق مها قال فوجد الغنم ترعى والذئب يحرسها ، فتعجب وأخبره ، فذهب للتحقق مها قال فوجد الغنم ترعى والذئب يحرسها ، فتعجب وألح عليه في ذلك ، فأخبره أنه يذهب إلى مكة المكرمة للصلاة بها ، ويترك وألح عليه في ذلك ، فأخبره أنه يذهب إلى مكة المكرمة للصلاة بها ، ويترك الذئب حارساً للغنم ، فترك الرجل بعد ذلك تكليفه برعى الغنم ، وقال له الشتغل بعلمك وعبادتك ، ولا تفكر في القوت والمؤنة ، وبالغ في تعظيمه

واحترامه ، واستمر على خدمته إلى أن مات . ودعاله الشيخ بدعوات لايزال أثرها سارياً فى عقبه إلى اليوم . ثم اشتهر أمره بتلك النواحى ، وكثر ظهور الكرامات وخوارق العادات على يديه كما هو مشهور بين أهل تلك النواحى إلى اليوم ، وذكرنا منها جملة فى المؤذن وفى الأصل .

توفى بتجكان ، وقبره مزارة بها ، وعليه قبة عظيمة ، إلا أننا لم نعثر على تعيين سنة وفاته

وأما جد الشيخ الأدنى والد والده العارف الكبير . القط الشهير سيدى أحمد بن عبد المؤمن ، فكان أعجوبة عصره ، ونادرة زمانه ومفرد وقته فى العلم والمعرفة وهداية الخلق مع كثرة الاتباع وبعد الصيت وانتشار الذكر

وقد أفردت ترجمته بتأليف، سميته: المؤذن لمناقب سيدى أحمد بن عبد المؤمن

ولد رضى الله عنه على رأس المائتين بعد الآلف ، وحفظ القرآن بالسبع وأتقن علم القراءآت وتضلع منه غاية ، شم طلب العلم ببلده على رجل غريب من الأولياء وبسبب غريب ، وهو أنه قصد ضريح ولى الله سيدى احمد الفلالى ، فكان يختم فيه كل ليلة ختمة كاملة من القرآن العظيم فى الصلاة ، ويسأل الله تعالى أن ييسر له من يأخذ عنه العلم ، لانه تحير فىذلك ، ولم ينشرح صدره لطلبه بفاس ، فاستمر على ذلك أربعين ليلة ختم فيها أربعين ختمة ، وصبيحة اليوم الحادى والاربعين نزل من ضريح الشيخ المذكور ، فوجد بالطريق رجلا منكشاً فى مرقعته من شدة البرد ، وعن يمينه وشاله أكوام من الثلج وحال الغربة بادية عليه فسلم ، وسأله عن حاله ، فأجابه بأنه غريب مسكين ، فطلب منه الشيخ أن ينزل معه ، فامتنع واعتذر بأن رجليه غريب مسكين ، فطلب منه الشيخ أن ينزل معه ، فامتنع واعتذر بأن رجليه

حافيتان ولايقدر على المشي في الثلج بدون حذاء فخلع الشيخ حذاءه وأعطاه إياه ، فلبسه و نزل معه فأطعمه وأكرمه ، وبقى معه ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع قال له : أتعرف من أنا . قال لا · قال أنا من بلاد بعيدة جئت مخصوصاً من اجلك أرسلني سيدي على بن أحمد من جبل صرصر لأعامك العلم ، ففرح غاية بهذه الكرامة التي أجاب الله بها دعوته على يد الولى الشهير سيدى على ابن أحمد، وذلك من طريق الغيب والتصرف بعد الموت لأن سيدى على بن أحمد المذكور مات سنة سبع وعشرين وألف ، فلازمه ستة أشهر ظهرت عليه فيها بركته مع ما كان عليه الشيخ من التقوى والصـلاح والاجتهاد في العبادة ، ولاحت عليه لوائح الفتح في سائر العلوم المعقول منها والمنقول ، بحيث صار إمام وقته في تلكالبلاد وماوالاها في علوم الظاهر ، ولم يجلس بين يدى عالم سوى ذلك الشيخ إلا في علم المنطق فانه أخذه بعد ذلك عن تلميذه في الطريق العلامة سيدى أحمد بن عجيبة الصغير . و إلا علم الفلك فانه أخـذه عن تلميذه في الطريق أيضا الفـقيه مفرج مم بعـد هذا تعلقت همته بسلوك الطريق ، فأخذ أولا الطريقة الناصرية على الشيخ محمــد خمريش ، وأسس زاوية ببلده لذكر وظائفها ، ثم لمــا تحقق أنهـا طريق ذكر وتبرك ، لا طريق فنح وساوك جرد سيف العزم لطلب الشيخ المربى فقصد الحجاز لأداء فريضة الحج والبحث عرب القطب، ومر في طريقه على القاهرة ، فاجتمع بالعارف الصاوى ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية ، بقصد النبراءُ . ثم لما وصل إلى عرفة ، بينما هو واقف بها إذ حاذاه رجل ، وقال له. أتدرى من قبل الله حجته في هــذا الموقف. قال لا . ، قال قبل حجتى وحجتك وبسببنا قبل حجة الجميع . ثم قال له . والقطب الذي تطلبه تركته في بلدك ، وهو العربي بن أحمد الدرقاوي ، قاِل فحصل لى من الفرح مالا يعلمه إلا الله ، ولولاخو في من قول الناس حج مازار لرجعت من مكة . مم لما رجع إلى وطنه لم يمكث مع أهله إلا ثلاثة أيام، مم توجه لمقابلة الشيخ المذكور ، ولما كان بالطريق مر على عين ماه ، وكان برفقته أخوه.، ورجل آخر، فتوضؤا وصلى بهم الظهر، ثم قام إلى تلك العين وجعل يغتســل، فقال ذلك الرفيق في نفسه لعل الشيه خان جنباً وتذكر ذلك بعد الصلاة فلما فرغ سـأله عن سبب اغتساله . قال إلى اغتسلت من علمي ومن عملي . إلا ما يأتيني على يد هــذا الرجل. ثم توجه إلى الشيــخ مولاي العربي الدرقاوى رضى الله عنه، ففرح به كثيرا ولقنه الاسم المفرد بالكيفية التي أخــذها عن شيخه القطب الجمل رضي الله عنه، وهي تشخيص حروفه مجردة في غير لوح و لا جدار . مم لم تمض عليه إلا أيام يسيرة حتى لاح له الفتح و،طويت له الطريق في العلم الباطن كما طويت له في العلم الظاهر وصار يترقى. في المعارف إلى أن حل مقام القطبية وورث مقام شيخه كما أخبر شيخه بذلك قبل وفاته وبعد موته لبعض أصحابه ، وأذن له شيخه في التربيسة والتسليك ، فتصدر لذلك في حياة شيخه ، واشتهرو بعد صيته ، وأقبل الخلق عليه وقصدوه للانتفاع فىعلمالظاهر والباطن فانهكانمفتياً فىالنوازل موثقاً من الطبقة العليا ، كما وقفت على كثير من الوثائق من إملائه وبخطه المتقن الذي كتب به عدة من الكتب ، وكان فصيح اللسان ، طويل الباع في العلوم والمعارف، شديد الاستحضار، آية من آيات الله. إذا تـكلم بهر العقول. حتى كان يعبر عنه بعض العارفين بأعجوبة الزمان

وقال بعض بنى سودة لولدهسيدىالصديق. لقد طفت بالمشرق والمغرب للبحث عن الشيخ ، ورأيت عدداً كبيراً من المشايخ ، فما رأيت أفضل من والدك ولا أعتقد أن يوجد من هو أكمل منه وأفضل إلا النبى صلى الله عليه وسلم

وقال له العلامة الصالح سيدى الحسن كنبور. لما اجتمع به انالعادة جارية

بأن من صرف عنايته لعمارة الباطن لا يتهيأ له ضبط الظاهر، وأنت جمعت. بين الظاهر والباطن

ولما اجتمع بشيخ القراء في عصره العلامة سيدي إدريس البكراوي مر وبات يذاكره ليلة إلى الصباح في علم القراءات. قال له. ماكنت أظن أنه بقى من يذاكرني في هذا الفن 6 وإذا مت أنا وأنت انقطع من يتقنه فقال. له الشيخ لا تقل هذا. فان فضل الله لا ينقطع

ولما قصده الشريف العلامة السيد محمد التهامى العلوى لأخذ الطريق عنه باشارة من الشيخ مولاى العربى رضى الله عنه وجده فى بعض المداشر ببى زروال يقرأ الحزب من القرآن مع الفقراء عقب صلاة الصبح ، فكان أول ما وقع سمعه عليه قول الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، قال فلما انتهى من قراءة الحزب شرع يتكلم على هذه الآية فأتى بما بهر العقول واستمر يتكلم عليها إلى وقت صلاة الضحى .

وكان ذا جد واجتهاد فى العبادة وعمارة الوقت حضراً وسفراً

وكان ورده من القرآن ختمة كل ليلة وكان له ورد من صحيح البخاري يقرأه كل يوم بعد صلاة الصبح.

وله كتاب نفيس فى آداب المريد ورسائل عديدة مجموعة فى مجلدة لطيفة. هى غاية فى الارشاد والدلالة على الله تعالى وله تقاييد كثيرة منها تقييد على الأبيات المنسوبة للجنيد التى أولها توضأ بماء الغيب إنكنت ذا سر وصدرت. على يديه كرامات كثيرة جداً

منها أنه أتى مرة إلى تطوان ، وكان قائدها أشعاش سجن رجلا فجاءت. والدته إلى الشيخ وطلبت منه أن يستشفع لولدها عند القائد فأجاب طلبها وتوجه إليه ، فلما رآه القائد من بعيد عرف أنه يقصده فى أمر ، فقال لحاجبه اضرفه عنى بما تراه ، فخرج إلى الشيخ ولقيه من بعيد قبل أن يصل إلى ــ

باب المحكمة سائلا إياه عن مراده ، فقال له جئت مستشفعاً فى ولد هذه المرأة ثم غرز عكازه بالأرض، وقال الله مادا بها صوته فصار القائد يشير إلى الحاجب نحوالسجن أى اذهب وأخرجه وأخرجه وانصرف الشيخ فتكلم القائد، وقال لأصحابه لو لاأنكم بادرتم باخراج الرجل من السجن لخرجت روحى ، فانه لما غرز عكازه فى الأرض أحسست بها كأنها مغروزة فى صدرى حتى كدت أموت ولم يبق لى لسان أنطق به

ومنها أن تلميذه سيدى على حلحول كان معه بتجكان مدة طويلة ، قال فبينا أنا ذات يوم جالس إذا بالشيخ أتانى بكتاب مختوم ، وقال : اذهب على بركة الله فأخدت الكتاب وانصرفت ، ولم أدر لمن الكتاب ، ولا إلى أين أذهب فقصدت دارى ، فلما كنت بنصف الطريق قابلتنى امرأة من مدشرنا فقالت عظم الله أجرك ، فقلت لها فيمن ، قالت قد وقعت دارك على المرأة والأولاد ومات الجميع وقد دفنوا ، قال فعند ذلك فكرت في كتاب الشيخ وعلمت أنه لى ففتحته فاذا فيه ، وبعد فها دمت تركن إلى أهل وولد ووطن واخلاء ومسكن ، فلما رآنى قال قبل أن أكلمه عظم الله أجرك وفي سبيل الله فرجعت إليه ، فلما رآنى قال قبل أن أكلمه عظم الله أجرك وفي سبيل الله ما نزل

ومنها أن جماعة من تلامذته بفاس دعوه فى بعض قدماته إليها لتناول طعام الغداء واتفقت دعوتهم فى يوم واحد ، فأجاب الكل وحضر عند الجميع فى وقت واحد

ومنها أنه دخل يوماً إلى المسجد لصلاة الجمعة وقد بقى لخروج الخطيب نحو ربع ساعة ، فافتتح يصلى ركعتين فختم فيهما القرآن بتمامه ورجل إلىجنبه يستمع ، ثم خرج الخطيب .

وله كرامات غريبة ذكرتها فىالاصل وفى ترجمته المفردة مات ضحوة يوم

الأربعاء سابع عشر جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين ومائتين وألف. ودفن بتجكان، وقبره مزارة عظيمة وعليـه قبة حافلة، ويقـام له مولد كل سنة.

فصــــل

وأما والد الشيخ رضي الله عسنه ، وهو ولد المترجم قبـله فهو العارف. بالله الهـائم في محمنه العـائم في بحر مشاهدته صـاحب الاذواق والأحوال والكرامات أحد الابدال سيدي الصديق رضي الله عنه ولد سنة ست وأربعين ومائتين وألف، وحفظ القرآن في حياة والده ثمقبل التوجه لطلب العلم توفى والده ولم يترك ولدا غيره ، فعزم أصحاب أبيــه على توجيهه إلى فاس لطلب العلم فامتنعت والدته إذ لم يكن لها ولد غيره ، وليسعندها منيقوم بالزاوية العمامرة بالفقراء والمقصودة للزوار والضيوف فزوجتمه وبقى معها يعمر الزاوية ، ثم أخذ الطريق عن تلميذ والده العارف بالله سيدى الهاشمي بوزيد. الذي كان يسمع ذكره للاسم المفرد من قبره بعد موته إلى أن أتى إليه بعض إخوانه من تلامــذة الشيخ ، وقال له تأدب مع الحضرة فانك انتقلت إلى عالم البرزخ فسكت وسلك على يديه إلى أن فتح له فى أقرب وقت فساد واشتهر وأقبل عليه الخاص والعام ، وكان ذا جاه عظيم بين القبائل الجبلية الغمارية يدخل فى الشــفاعات فى الأمور العظام ويتوســط فى الخصومات والجرائم. الجسام لا ترد له كلمة ولا تسقط له شفاعة سوا. بين العائلات والأفراد وبين عموم القبائل ، وكان مغرماً بشراء العبيد والأماء والبغال فاقتنى من ذلك الكثير ، وكان لا يبقى فى يديه من الدنيا شيئا ولو دخات الآلاف المؤانسة. وأضاع كل ما تركه والده من كتب وغيرها ولم يلنفت إلى شيء من ذلك .

وكان عظيم الشوكة في الباطن لا يسوء أحد الآدب معه إلا عوقب في.

الحال وكان والده رضى الله عنه أخبر عنه بذلك فكان يقول لأصحابه إذا شاب رأسه وطار نعاسه فكونوا منه على بال فكان لاينام الليل إلا قليلا وكانت عادته أن يقوم ويتوضأ ويؤذن ويصلى مدة ثم يرقد فليلا ثم يقوم ويتوضأ ويؤذن ويصلى ماشاء الله ، ثم يرقد، وهكذا مراراً إلى أن يطلم الفجر

وكان رقيق القلب إذا سمع موعظة بكى ، كما أنه كان إذا سمع آلة الطرب يكثر من البكاء ويحصل له شوق عظيم إلى الحضرة العلمية

وكان محبوباً للخاصة والعامة منورالشيبة بهى الطلعة متواضعاً فيه دعابة لايمله جليسه يمازح العامة ويباسطهم إذا جلسوا اليه، ويكون واحداً منهم لا يتميز عنهم وربما حادثهم فى أمورالنكاح والنساء، وكان بحبالتروج فتزوج كثيراً ولم يمت حتى رأى نحو مائة من الاولاد والاحفاد والاسباط وكان بين بكره أول أولاده وآخرهم ما يزيد على ستين سنة .

ذكر مولانا الشيخ الوالد قدس سره أن بعض أهل الله قال له إن والدك كت نظر سبعة من أكابر الأولياء فو الله لو توجه إلى جبل لخرقه بنظرته لسلامة صدره وحسن نيته ، وكان هو يقول في حقه أنه من الابدال وجرت على يديه كرامات عديدة منها أن صاحبه أحمد عريط وكان يمازحه كثيراً سأله يوماً فقال له متى أموت ياسيدى فقال له في اليوم الذي تذهب إلى السوق وترجع بالكيل على رأسك لاتكيل به لاحد وكانت حرفته كيل الحب بالسوق فبعد وفاة المترجم بمدة ذهب يوم الشلائاء إلى السوق واستمر طول اليوم فلم يدخل السوق حب فرجع ولم يكتل شيئاً فلما وصل إلى بيته . قال الأهله إلى غداً أموت فلابد أن أعمل الجنازة في حياتي فصار أهله يردونه عن ذلك وهو يقول الايمكن أن يتخلف خبر سيدى الحاج الصديق فذبح جدياً وأولم المطلبة الذين يقرأون القرآن في سيدى الحاج الصديق فذبح جدياً وأولم المطلبة الذين يقرأون القرآن في سيدى الحاج الصديق فذبح جدياً وأولم المطلبة الذين يقرأون القرآن في

الجنايزوقرأوا القرآن على العادة فلما نام بالليـــل وأصبح تأخر فى النوم فحركه الهله فاذا هوميت .

ومنها أنه كان جالساً مع أعيان القبيلة المنصورية فقال لهم على سبيل المباسطة كما كانت عادته معهم ليس من المليح لقلان لواحد منهم إلا أن يموت يوم الاثنين وهو خاضر صحيح ، فلما كان يوم الاثنين أصبح الرجل المذكور ميتاً ، فلما وصله الحبر قال محن إنما كنا تمزح معه وهو ظن أن الأمرجد .

ومنها أن أولاد الصديق الطويل من بني سلمان كانوا يخدمونه وكانوا هم أعيان قبيلتهم وسراتها فصدر منهم ما أوجب عداوة أهل القبيلة بأسرها لهم وهم أزيد من ألني نفس وعزموا على القدوم إلى دارهم لحرقها وتخريبها عقوبة لهم على ما اقترفوه فجاءوا إلى المترجم وأخبروه بعزم أهل القبيلة وقالوا لا طاقة لنا بأهل القبيلة فقال لهم لا تخافوا أنتم البارود و نحن الرصاص فلما رجعوا إلى بيتهم جاءت إليهم القبيلة فنشبوا معهم الحرب وصمدوا لهم نكو ساعة ثم شتتوا شملهم شذر مذر وهم سبعة والقبيلة نحو الفين ولم يمت من الاخوة أحد فكانت وقعة عجيبة لم يسمع بمثلها إلى غير ذلك مما يطول مات يوم الجمعة ثالث وعشرى ذى القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة الف

فص_ل

وأما والدة الشيخ فهى الشريفة الجليسة الولية الصالحة الذاكرة القانته فاطمة بنت الشيخ العارف العلامة أبى العباس احمد ابن عجيبة الصغير كانت عديمة النظير في الصلاح والتقوى والنسك والعبادة أخذت الطريق عن عمها العارف الشهير سيدى عبد القادر ابن عجيبة تلميذ الجد سيدى احمد ابن عبد المؤمن السابق وصحبته وتأدبت بأدب أهل الطريق وتخلقت بأخلاق أهل الصدق والتصديق لسانها لايفتر عن الاستغفار فان كلمها أحد أجابته

ثم رجعت إلى الاستغفار وكانت تهيء لزوجها أمر الزواج وتصلح من شانه وتدخله على العرايس التي أتى بهن ضرات لها ثم تقبل على العبادة ولا يأخذها ما يأخذ النساء عند ذلك من الغيرة ، وكانت لشهرتها بالصلاح والتقوى عظيمة الجاء مقبولة الشفاعة يقصدها الناس لذلك وكانت عند كبرها تكثر السفر لزيارة شيخها وأحياناً تصحب معها نجلها مولانا الشيخ الوالد ليتبرك بالصالحين وأزارته ضريح القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ، وكانت حريصة على تربيته على الاعتقاد والمحبة وتعظيم أهل الله والمحافظة على أداء الفرائض والتأدب باكداب الشريعة ، وكانت تقوم بالليل ، فاذا صلت الصبح جاست لذكر الهيللة جهراً مع جماعة النسوة الى أن تطلع الشمس وتصلى الضحى .

ماتت سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وألف

فص___ل

وأما والدها فهوالشيخ العلامة الفقيه الصوفى العارف أبو العباس احمدبن احمد ابن عجيبة الحسني

ولد رابع جمادى الثانية من سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف بقرية الزميج من القبيلة الأنجرية ، ومات والده وله من العمر سنتان ، فنشأ فى حجر بعض تلامذة أبيه ، ولما حفظ القرآف توجه إلى فاس لطلب العلم ، فأخذ بها عن جهابذة شيوخها ، كبدر الدين الحمومى ، وعلى بن عبد السلام التسولى شارح التحفة والقاضى عبد الهادى بن عبد الله العلوى وأضرابهم وأقام مدة اجتهد فيها وحصل ثم رجع إلى بلده سنة سبع وأربعين ، واجتمع بجدنا سيدى احمد بن عبد المؤمن فأخذ عنه وسلك على يديه وكان علامة محققاً فصيحاً بليغاً حافظاً له باع فى العلوم لاسيا المعقولات ، فكان لانظيرله فيها بتلك النواحى

واتفق أَن قدم إلى طنجة بعض علماء شنقيط، فاستطالوا على أهلهـــا

بحفظهم ومعرفتهم وصاروا يناظرون طلبتها ويجهلونهم فى المحافل.

فلما اشتهر أمر المترجم طلمه أهل طنجة فى القدوم إليها لمناظرة الشناقطة فأجاب طلبهم وقدم إلى طنجة و ناظر المذكورين وقهرهم وأظهر قصورهم فرحلوا عنها وأحبه لذلك أهلها وطلبوا منه الاقامة بها للافادة والتدريس ، وزوجه بعض سراتها بابنته وصارينفت عليه وأكرمه غاية فأقام بها إلى أن مات ، وكانت دروسه ممتعة الفاية ، يلقيها بفصاحة واستحضار وحفظ يتعجب منه الحاضرون

وكان يمتريه جذب فى بعض الاحيان توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، فلما دكب البابور ووصل وقت الصلاة قام لأدائها فاما مربين يديه بعض الخدمة بالبابورأو منعه من الصلاة فى مكان معين منه .

فقال لا يمكن السفر تحت سيطرة الكفار المؤدى لضياع الفرائض. فلما رست الباخرة بمرمى جبل طارق نزل ورجع الى طنجة ألف مؤ انسات إلا أن يد الاهمال والضياع سطت عليها فأتلفتها وأخفت معالمها ، فلم نرمنها إلاأوراقاً من فهرسته . وبلغني أن له رسالة في الخواص وكتابا في العبادات ورسائل في التصوف .

وكان يتمنى حضور الجهاد لما بدت بوادر الخلاف بين المسلمين والاسبان ولكن عاجلته المنية قبل بلوغ الامنية ، فهات قبل ذلك بسنة ، فان الحرب وقعت سنة ست وسبعين ومائتين وألف ، ومات هو سنة خمس وسبعين لم يبلغ الستين ، ودفن ببيته الذي كان يسكنه وفتح له باب إلى الطريق وجعل ضريحا له .

فصـل

وأما والده فهو الشيخ الامام الصوفى المفسر العارف الكبير أبوالعباس أحمد بن محمد بن المهدى بن عجيبة .

ولد سـنة ستين أو إحدى وســتين ومائة وألف وحفظ القرآن وبعض المتونكالآجرومية والخلاصة والمرشدالمعين والقرطبية وموردالظهآن وحرز الآماني وغيرها . ونشأ في صغره نشأة عجيبة في المروءة والتقوى ومجانبــة اللعب والصبيان مع حب العبادة والانقطاع لها وقيام الليل وهو دون البلوغ . ولما بلغ من العمر تسع عشرة سنة توجه إلى القصر الكبير اطلب العلم به فأخذ عن الفقيــه محمد السملالي السوسي، ولازمه سنتين بانقطاع واجتهاد ، فكان يحضرعليه سبعة دروس في اليوم والليلة مع استدامة التهجد بالثلث الآخير من الليــل ، ثم رحل إلى تطوان فأخذ بها عن أحمــد الرشتي وعبد الكريم بن قريش ولازمهما فى النحو والصرف والمنطق والكلام والفقه والحديث والتفسير والعروض والاصول والبلاغة والسير، وسمع من الاخير صحيح البخارى أزيد من سبع مرات وصحيح مسلم مرة واحدة وعن مجد الورزيزى في الاصول والبلاغة والفقه، وأجاز له آجازة عامة. وعن محمد العباس النحوى في النحو ، وعن عبد السلام بن قريش في التفسير والحديث وعنالفقيه الشهير أبى عبداله الجنوى فىالفقه والبلاغة والاصول والنصوف والتفسير، وسمع عليه صحيح البخاري مرتين ، وجزءاً من صحيح مسلم، ثم رحل إلى فاس فسمع بها الصحيح على العلامة محمد التاودي بن سودة ، وأجازُ له أجازة عامة ، وأُخذ عن الفقيد محمد بنيس علم الفرائض وجزءاً من التسيهل لابن مالك وأجاز له أجازة عامة . وعر_ أحمد الزعرى بعضا من التفسير . وعن العلامة الطيب بن كيران في البلاغة ، وحصل وبرع في العلوم ، ثم رجع إلى تطوان فأقام مدة يشتغل بالعلم ثم تركه وانقطع للمسادة بسبب قراءته لشرح ابن عباد على الحكم فان نفسه عزفت عن الدنيا وأبغضها وأهلها وصار

يفر من الناس ويخرج إلى الاماكن الخالية فيصلى خمسة عشر حزباً من القرآن وفى الليل كذلك ولا يفتر عن ذكر الله ليلا ونهاراً ، ثم رجع إلىالعلم بسبب رؤيا رآها أمره فيها بعض الصالحين بذلك ، لسكنه رجع إليه بظاهره لابقابه إذ تمكن منه حب العبادة ، ثم صار يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليــه وسلم حتى حفظ دلائل الخيرات ، ثم رأى أن الصلاة عليهنه صلى الله عليه وسلم فى السبحة أقرب للحضور وأجمع للقلب فأقبل عليها واستغرق وقته فيها فكانت تشرق عليه أنوار وتظهر له زخارف وقصور وخوارق فيعرض عنها . ثم حبب اليه القرآن العظيم فأقبل على تلاوته فكان يختمه في الصلاة أربع عشرة مرة في الشهر فدام على هذه الحالة من التدريس مع العبادة نحو ست عشرة سنة ، نفع الله خلقاً كثيراً تخرجوا على يديه في العلم والصلاح والنقوى حمم سافر إلى فاس لزيارة شيوخه . ولما كان راجعاً مر على قبيلة بني زروال لزيارة الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي ، فوجد عنده تلميذه العارف الكبير سيدى محمد البوزيدي رضي الله عنهما اربع عشرة مائة مرقعة ثم دخل به على الشيخ مولاى العربي ، فقال له جعلك الله كَالْجِيلاني ، فقال له البوزيدي أنا قلت له كالجنيد فقال يجمع بينهما إن شاء الله فبقى معهما ثلاثة أيام حصلت له فيها جـذبة إلاهيـة مم رجع إلى تطوان وهو على غير حالنه الأولى ثم صار البوزيدي يكاتبه ويراسله ،فكتب إليه مرة . إن أردت العلوم ومخازن الفهوم فعليك بالقدوم . وكان يقول لفقراء تطوان والله إن حاجة سيدى أحمد بن عجيبة لعندى فليقدم على ثم بعد مدة قدم هو إلى تطوان ، فأخذ المترجم عنه وتلقن منه . ثم قال له : أنا بين يديك مرنى بما شئت وافعل بى ما شئت ، فقال تبارك الله عليك مم التفت الى بعضأصحابه ، وقال لهم ان سيدى أحمد متصف باازهدوالورع والتوكل والصبر والحلم والرضا والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم حتى

عد نحو اثنى عشر مقاما ، فقال له المترجم يا سيدى أهذا هو التصوف ، فقال له هذا تصوف الظاهر وبقى تصوف الباطن ستعرفه إن شاء الله ، ثم صحبه وصار يتردداليه فى غهارة ، ويخدمه بنفسه وماله ، وأقبل على الجاهدة فى النفس والهوى بخرق العوائد وارتكاب ما يثقل على النفس فلبس جلابة من الصوف قصيرة غليظة ، وخرج يمشى فى الاسواق مع الفقراء وهم يذكرون وفى عنقه سبحة غليظة ، فرغب اليه أهله أن يترك ذلك ويرجع لحالته ، فأبى . فبكوا عليه ، وعزى بعضهم بعضا فيه كل يعزى فى الميت ، وصارت الوفود من الناس تأتى لتعزية أهله . فلما رأى ذلك استأذن شيخه فى لبس المرقعة فلبسها ففرعنه الناس . ثم أمره شيخه باخراج كل ما يفضل عن قوته آخر كل يوم ، ولا يدخر لفده شيئا منم أمره بخدمة الفقراء وغسل ثيابهم بنفسه ، والسؤال فى يدخر لفده شيئا منم أمره بخدمة الفقراء وغسل ثيابهم بنفسه ، والسؤال فى فثقل ذلك عليه غاية ، حتى كان يتمنى الموت ويستحليه

وأدخلوه السجن بسبب لبس المرقعة والاعراض عن التدريس فبقى به مدة الى أن أشهدوا عليه بالتوبة والرجوع فشهد بذلك عملا بقوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ، وقصته فى ذلك طويلة مشهورة .

وألف مؤلفات نفيسة أكثرها في التصوف

منها تفسيره البحر المديد الذى جمع فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، وهو في أربعة مجلدات وايقاظ الهمم في شرح الحكم وشرح المباحث الأصلية ، وهما مطبوعان معا ، وثلاثة تفاسير على الفاتحة ، وشرح الهمزية ، وشرح البردة ، وشرح الوظيفة الزروقية ، وشرح الحزب الكبير للشاذلي ، وشرح أسماء الله الحسني ، وشرح المنفرجة لابن النحوى ، وشرح تائية الجميدى ، وتأليف في النية وأحكامها . وآخر في ذم الغيبة وآخر في الأذكار النبوية . وتأليف في القراءات العشر في مجلد وأزهار البستان في طبقات الأعيــان ، وشرح صــلاة ابن مشيش . وشرح خمرية ابن الفارض . وشرح قصيدة الرفاعيالتي أولها : يا من تعاظم حتى رق معناه ، وشرح بعض مقطعات الششترى . وشرح النونية له . وشرح رائيـة شيخه البوزيدى فى السلوكِ . وشرح تائيته أيضًا وسلك الدرر في القضاء والقــدر وشرح أبيات: توضأ بماء الغيب والتشوف في حَـَقائق النصوف وكتاب الخرة الأزليـة . وكتاب الطلاسم التي حجبت عن التوحيــد الخاص . وشرح صلاة ابن العربى الحـــاتمى . وحاشية على الجـــامع الصــغير للسيوطى . وشرح المطبوع وله مؤلفات أخرى لم تتم وجرى على يديه كرامات يطول ذكرهآ

مات بقايلة بنى سلمان الفهارية عند شيخه البوزيدى فى حياته ، ثم بعد مدة نقله أصحابه ليلا من غير علم أهل القبيلة المذكورة ، فكانوا يسيروني

، به ليلا ويكمنون نهارا إلى أن أوصلوه إلى الزميج من القبيلة الأنجرية حيث. ضرعه الآن

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين ومائتين وألف

الباب الثالث

فى ولادته ونشأته وطلبه للعلم وسلوكه الطريق ومجمل تاريخ حياته

ولد رضى الله عنــه ليلة الجمعـة ، خامس رجب سنة خمس وتسمين. ومائتين وألف بتجكان ، من قبيلة بنى منصور الغمارية

وحفظ القرآن وهو صغير برواية ورش ؛ ثم شرع فى حفظه بالروايات. السبع ، فقرأ خنمة برواية المكى على شقيقه سيدى احمد ، ثم شرع فى طلب العلم ببلده على اخيه العلامة البارع ، صاحب الأخلاق الحسنة سيدى بحمد القاضى وعلى ابن عمه العلامة المحقق زين العابدين بن محمد المؤذن ، فأخذ عنهما بعض المبادى ، ثم رحل به والده إلى فاس سنة اثنتى عشرة. وثلاثمائة وألف

وانزله بمدرسة الشراطين، ولم يذهب به إلى زاوية اصحاب ابيه لينقطع للعلم ولا يشغله الفقراء عن طلبه، فابتدأ يقرأ الآجرومية بشرح السوداني على أبي عبد الله محمد بن التهامي كنون وبعض الكتب الصفيرة على غيره فصعب عليه الآمر وصار لايدري ما يقوله الاساتذة فقابله يوماً رجل لايعرفه فقال له اعطني سبعة ريال ولم تكن عنده فذهب في الحال ورهن شرح عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليل وأتاه بها وانصرف ثم بعد ذلك رأى في ليلة كائن رجلا أتاه وقال له هات الكتاب الفلاني لكتاب سماه فأتاه به فصار يقرأه معه إلى أن وقال له هات الكتاب الفلاني لكتاب سماه فأتاه به فصار يقرأه معه إلى أن لايقرر الاستاذ معني إلا أدركه في الحال وكذلك إذا طالع هو وحده يفهم يسرعة من غير معين ولا مذاكر، ثم حصل له مرض ألزمه الفراش، فبينا هو يسرعة من غير معين ولا مذاكر، ثم حصل له مرض ألزمه الفراش، فبينا هو

ذات يوم في بيته من المدرســة إذ دخل عليه الشيخ الامام العارف القدوة بقية السلف الصالح القطب الرباني سيدي محمد بن ابراهيم رضي الله عنه فقال له أنا بفاس وأنت وحدك بالمدرسة هذا لايمكن قم معي ، فأخذه الى الزاوية وبر به وأكرمه غاية ، وأتاه بكل مايحتــاجه من كـتب وملابس ، وصار يخدمه بنفسه ، وكلف الفقراء أصحابه بخدمته أيضاً ومراعاته ، ثم صـــار يكتب له المتون فى لوح ويقول له إن حفظته أعطيتك ربع ريال فكانكلما حفظ لوحاً اعطاه إياه تحريضاً له على حفظ المنون فكتب له الخلاصة ومختصر خليل. وكان يقرأ معه ذلك في الزاوية ويفهمه معيي المتن بطريق الاختصار مُم لقنه الورد وجرده لســـاوك الطريق مع طلب العلم ، فـــكان يرتضــع لبان الثديين في آن واحد وقرأ معه ايضاً الحرَّجُ لابن عطاء الله والعهود الحمدية والمنن الكبرى للشعرانى ورسائل جده سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن والتنوير لابن عطاء الله وكان إذا مر بشيء صعب شديد سلوكه يقول له مر على هذا فقد انقضى زمانه يريد بذلك التيسير عليه والاشارة الى أن فتحه سيكون من باب الفضل والمنة لا من باب السلوك والمجاهــدة وكان يرفق به غاية فلا يكلفه عا يكلف به غيره من الفقراء فكان يوقظ جميعهم قبل الفجر بنحو ساعتين ويتركه نائما قبيل الفجر بقليل حتى كان بعض الفقراء يغار بالحضور على علماء القرويين وعين له من يقرأ عليهم لصــلاحهم وبركة علمهم مم لما كانت الزاوية بعيدة عن القرويين صار يصوم أيام القراءة حتى لا يرجع وُسط النهار إلى الزاوية لتناول الطعام وأمره الشييخ أن يذكر الله جهراً في شوارع فاس إذا نزل للدروس بعد أن وضع السبحة في عنقه فثقل عليه ذلك الأمر غاية حتى كاك يتمنى الموت وكان يخيل إليه أن حيطان فاس تنظر إليه وتسخر منه ومن صوته ولم يأمره شيخه بشيء أثقلءلى نفسه ولا أشاح عليها من الذكر جهراً بالطريق، لا سيما مع صفر سنه وطلبه للعلم فاستمر على ذلك نحو ثلاث سنين جمع الله له فيها بين الحصــول على علم الظاهر والفتــح

معه من أوله حتى ختمه

في العلم الباطن ، ولم يحتج بعدها الى شيء ، وصاراً علم أهل عصره ومصره أبي أما تفصيل قراءته فحضر على الشيخ الامام العلامة المحدث الصوفى أبي عبد الله سيدى محمد بن جعفر الكتابى فى مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق بشرجى الخرشى والزرقانى معا وسمع عليه موطأ مالك وبعض صحيح مسلم وقرأ عليه أيضاً جل الخلاصة بشرح المكودى ، ومقدمة جمع الجوامع لابن السبكى وكان لايفهم مايقرره الشيخ فيها كما ينبغى ، فسأله يوما شيخه سيدى محمد بن ابراهيم رضى الله عنه هل تفهم الأصول فأجابه بالواقع فرأى تلك الليلة أو بعدها كائن العارف سيدى عبد الوهاب الشعراني رضى الله عنه أنى

اليه ولقنه ورد الطريق وأتى معه بشرح جمع الجوامع للمحلى ، وشرع يقرأه

فلما استيقظ وجد نفسه يفهم الكتاب ولم يقرأ بعد ذلك الأصول وصار إماماً فيه ينقن أصوله وفروء ويدرى جليه وخفيه ويناظر فيه كما أنه صار إماماً في الفقه منقطع النظير فيه لا سيما الفقه المالكي فكان يحفظه كما يحفظ غيره متناً من مثونه ويدريه كما يدرى غييره مسألة واحدة منه وذلك بسبب رؤيا رآها أيام طلبه وهي أنه رأى الامام مالكا رضي الله عنه في قبة كبيرة عامرة بالكتب فلما دخل عليه ، قال له : ائتنى بكتاب من ركن القبة أقرأه معك فأتاه بكتاب ، فلما فتحه إذا هو العنبية فقرأه معه فحصلت له بركة تلك القراءة وكانت اشارة إلى أنه سيصل رتبة الامامة فيه حيث تلقاه عن إمام المذهب

وحضر أيضاً على شيخ الجماعة الامام الصوفى أبى العباس سيدى أحمد ابن الخياط فى الخلاصة بشرح المكودى وصحيح البخارى بشرح القسطلائي والشمائل بشرح جسوس والهمزية والمرشد المعين .

وعلى العلامة الصالح سيدى الفاطمى الشرادى في المختصر والخلاصة بتوضيح ابن هشام والمكودى معاً وفي مختصر السمد على التلخيص وتحفة

الحكام لابن عاصم إلا أنه لم يحضر من هذه إلا القليل .

وعلى العلامة محمد بناني إمام جامع الديوان فى المختصر والخلاصـة

وعلى العلامة محمد حنيون بالتصغير في المختصر بشرح الدردير وفي المطول بحواشيه وفي صحيح البخاري وشفاء القاضي عياض

وعلى ولى الله تعـالى صاحب الاحوال أبى العـلاء إدريس عمور أوائل الخلاصة والسلم في المنطق.

وعلى الشريف أحمد العلمى الاربعين النووية وأوائل رسالة العضد ورجز ا ا ن كيران في الاستعارة .

وعلى العـــلامة النحوى خليل الحشمى المعروف بسيبويه الخلاصـــة لابن مالك قراءة بحث وتحقيق .

وعلى العلامة الجليل الصوفى الوجيه السيد الكامل الامرانى مختصر خليل مجرداً عن الشروح ، بل كاك يقرر المتن ويحله مع بعض أبحاث رائقة .

وعلى العلامة محمد بن النهامى كنون شرح الاجرومية للسودانى وكتاب الجمل للمجراد وقطعة كبيرة من الخلاصة وأ. ائل الشمائل بشرحه هو أعنى كنون وقطعة من الهمزية وجملة كبيرة من المختصر بشرح الخرشى .

وعلى الولى الصالح سيدى عبد الملك العلوى الضرير مختصر خليل بالخرشي من أوله إلى الوقت المختار وقطعة من شرح السنوسية ومبحث الفصاحة والبلاغة من شرح التاخيص .

وعلى فقيه المغرب ومفتيه سيدى المهدى الوزانى أبوابا من الخلاصة .

وعلى الفقيــه أحمد بن الجيلانى لاميــة الافعال ، وقليـــلا مر__ التصريح اللزهري .

وعلى العالم الجليل أحمد بن الطيب الفيلالي لامية الافعال أيضاً .

وعلى العلامة الشريف سيدى المأمون العراق الخلاصة .

مم رجع إلى وطنه فى ربيع الشانى من سنة خمس عشرة ثم عاد إلى فاس فلزم شيخه بالزاوية إلى سنة ثمان عشرة ثم نزل بسلام وعزم والده على تزويجه ببلده ، فاختار هوأن يأخذ بنت خاله الشريف البركة الصالح الذاكر الناسك سيدى عبدالحفيظ ابن عجيبة باشارة من شيخه ، وكان خاله يسكن مدينة طنجة فقصده لذلك الغرض فأجابه وشرط عليه السكنى بطنجة فكان ذلك هو السبب في سكناها فتزوج بها واستوطنها ، وشرع فى تدريس العلم بها فقرأ الشمائل الترمذية ، ثم الآجرومية ، ثم ألفية أبن مالك بشرح المكودى ، ثم بعد ختمها افتتحها مرة أخرى بشرحى ابن هشام والمكودى معا وقرأ لامية الافعال والسلم للاخضرى بشرح بنانى وهمزية البوصيرى والمرشد العين ومختصر خليل بشرح الحرشى .

قال العبادى: كان القارى يسرد الخرشى بعد ما كان الشيخ يأتى بكلامه وتقرير جميع ما عند الاجاهرة وبنانى والرهونى تقريراً لوكان أصحاب تلك الكتب أحياء لاستفادوا من كلامهم ما لم يقصدوه من الفوائد زيادة على ما قصدوه وقرأ فرائض المختصر على حدة وصحيح البخارى، وشرع فى النفسير فقرأ نصف الفاتحة فى شهر رمضان، ثم لم يتيسر له العود اليه بسبب انقطاعه فى البيت وقرأ التفسير بعد ذلك على طريق إشارة الصوفية مع الفقراء بتفسير جده للام سيدى أحمد من عجيبة

قال فى نبذة التحقيق: وكان إذا أنعم بدرس أو تهيأ لموعظة أو خطبة ازدحم الناس على محلات القرب منه وغصت المحافل بهم وأول خطبة ذاع فيها صيته خطبة خطبها بعيد شوال صدر العشرة الثالثة استنابه فيها على حين غفلة قاضى الوقت لفرض عرض فأملاها من حفظه فى نحو ساعتين وهى من خطب العلامة الرهونى ، إلا أنه أضاف اليها ما يناسب الوقت والحال وأطال فى

المجال مع أدىية بالغة ، وغير ذلك . فانبهر الحاضرون من سعة حفظه وعذوبة. لفظه وتأثير وعظه

ثم اشتهر أمره وصار الطلبة يلجأون إليه ويلحون عليه فساعدهم وفتح مرة صحيح البخارى فشاهدنا كغيرنا من أماليه ما بهر العامة والخاصة إلى. آخر ماقال.

وانتفع بقراءته النــاس وتخرج عليه جماعة من أهل الحواضر والبوادى وكان فى تدريسه البركة الظاهرة يحضره الطالب زماناً يسيراً فيحصل له الفتح وينال الحظ الآكبر والنصيب الاوفر من ذلك العلم بلومن غيره

وكان الطالب إذا حضر عليه مرة لايستطيع أن ينتفع بفيره ولا تقبل نفسه الجلوس على أحد بعده لـكونه لايرى فى قراءتهم مارآه فى قراءةالشيخ من الفصاحة والحفظ وكثرة الاطلاع وشدة الاستحضار حتى أن بعضهم شدالرحلة إلى فاس ثم رجع وقال ان قراءة الشيخ أفسدتنا ولم تترك أحداً غيره يكبر فى عيننا وكذا قال غيره لما شاهد قراءة العلماء بالحرمين الشريفين

أضف إلى هذا رونقا يكسو مجلسه وأبهة تعلو منظرة ودرسه لا توجد في مجالس غيره ثم في أو ائل اشتهاره بالتدريس بطنجة تعرف إليه جمع من الافاضل فكانوا يجالسونه كثيراً ويسمعون من فوايده ومذكراته في العلم والطريق وأخبار الاولياء والشيوخ ، فاشتاقت نفوسهم للا خذ عنه فلقنهم ورد الطريقة الشاذلية . ثم صاروا يجتمعون عليه وهم نفر قليل ، وكان أكثر اجتماعهم بدكان الرجل الصالح سيدى محمد الجزيرى رجمه الله وكان يصنع فيه الأحذية . ثم لما كثروا صاريقعد معهم مجالس الذكر صباحاً ومساء بزاوية العارف بالله سيدى محمد الحراق من طنجة ، وذلك أواخر سنة اثنتين وعشرين

قال في النسمات وعند دخول سنة ثلاث وعشرين فاضت أسراره وظهرت.

أنواره وأشرقت على الجواضر والبوادي شموسه وأقاره وكسيت البلد بظهوره حلة الآنس والفرح كما لبست عند مونه ثوب البؤس والحزن والترح فتوارد الناس لأخذ العاريق عنه رجالاونهاء وانجذبت القلوب إلى الله بهمته وارتفعت هم من سبقت لهم العناية عن حضيض الكون وخسته صارجل من في البلديلهج بذكر لله وانقلب حاله من الغفلة الى اليقظة وتعلق قلبه بالله و ذلك كله غيبا بنفوذ همته وقوة حاله من غير أن يدعو أحداً لاخذ العريق عنه والانتساب إليه و في هذه السنة أضافي إلى مجاس الذكر المذاكرة مع الفقراء في مقامات الطريق وآداب الساوك وكانت على غاية ما يكون من الابهة والإدب والسكينة والوقار والحشوع وفيضان الانوار حتى كائن الفقراء الحاضرين على رؤوسهم العلير من والخشوع وفيضان الانوار حتى كائن الفقراء الحاضرين على رؤوسهم العلير من والحشوء حاله ، وعظيم هيبته ، وطيب أنفاسه .

وكانت أنواره تسبق كلامه ، وترتاح الأرواح لسماعه من غير ملل ولا ساكمة ، وأخذ عجامع القلوب وكان كله فى الحض على اتباع الشريعة والعمل بالسنة ، والتعلق بالأخلاق النبوية ، والتحقق بها حالا ومقالا وعلما وعملا .

وكانشديد الغيرة ، والتستر على الحقائق والاسرار فلا يفشيها ولايذكر منها إلا القدر المباحكما كان عليه أستاذه .

وكان يقول: لاينبغى المريد فى بدايته أن يشتغل عطالعة كتب الحقائق والاسرار ، ككتب الحاتمى والجيلى وأمثالها من كتب الوحدة ، فان ذلك عما يوقف المريد ويمنعه الوصول إلى المقصود ، لان الحقائق والاسرار لا يتوصل اليها من الكتب ومطالعة الدفاتر ، وأنما تدرك بالعمل والمجاهدة وصحبة الاشياخ

فن عمر أوقاته بالطاعات والاذكار مع امتثال أوامر السيخ وإرشاده في ذلك نبعت منه الحقائق ، وتفجرت من قلبه عيون الاسرار من غير مطالعة كتاب .

وقراً مع الفقراء رسائل جده القطب سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن ثم رسائل شيخه القطب الاكبر مولاى العربى الدرقاوى مرتين عدد كراته النافعة ، وإشاراته الجامعة ، ثم العمود للعارف الشعرانى ، ثم المباحث الاصلية لابن البنا بشرح ابن عجيبة ، ثم الحكم العطائية شرحه أيضاً وأعادها بشرح ابن عباد ، ثم جملة من تفسير ابن عجيبة ، ثم بعد إقامته بالزاوية الحرافية نحو أربعة أعوام بنى زاويته الكبيرة التى دفن مها وانتقل اليها

وكان السبب فى ذلك بكرامة من كراماته .

وكان فى أول قدومه إلى طنجة وشروعــه فى الندريس ، ابتـــدأ يخطب. بالزاوية الناصرية . فوقع الاقبال على خطبه كها وقع على دروسه .

قال فى النسمات . وكانت خطبه بليغة كثيرة النفع ، شديدة التأثير ، يحض فيها على اتباع الكتاب والسنة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يرهب بطش جبار ولا سطوة حاكم . بل كان يقول الحق وانكانمرا ، ويدور معه دوران من هومه على الله سراً وجهراً فوقعتله بسبب ذلك وقائع هائلة وقضايا هامة .

منها أن الفرنسيين قبل احتىلالهم المفرب كانوا أرساوا بعض الشياطين من أذنابهم إلى طنجة ، ففتحوا بها مدرسة لتعليم الاولاد اللغة الفرنسية توصلا بذلك إلى ما بعده . فسارع بعض المفرورين الراغبين فى الدنيا إلى إدخال أولادهم فيها ، فلما علم الشيخ بذلك خطب خطبة بليغة حذر فيها المسلمين من إدخال أولادهم مدارس النصارى ، وبين ضرر ذلك فى الدين ، وما يترتب عليه من المفاسد فى الاعتقاد والاخلاق ومصالح البلاد وبالغ فى ذلك ، وأطنب وأطال ، فأثرت خطبته فى الناس ، وسارع جمل من أدخل أولادهم المدرسة إلى إخراجهم منها ، فاغتاظ لذلك سفير فرنسا ، واحتد غضبا ، لانها أول بذرة بذروها فى المغرب لحصد الشر والفساد منه ،

ثم بعد ذلك حصلت قضية أشد من هذه في شائن أمة للشيخ ، تعلقت بعلم فرنسا للتوصل الى بعض اغراضها الفاسدة . وارسل سفير فرنسا الى نائب السلطان يا مره باجبار الشيخ على عتقها لتعلقها بعلم فرنسا فامتنع من ذلك في قصة طويلة كانت من اعظم الاسباب في ازدياد حة فرنسا على الشيخ رضى الله عنه ، وكانت قضية الامة عجيبة لا تخلو من حكمة مقصودة للشيخ رضى الله عنه فانه كان لا يلتفت الى مثل هذه الاشياء ، ولا يشدد في ملك جارية ولاغيرها بل لو كانت الدنيا كلها ما وقف لا جلها ذلك الموقف ما كان من جهتها

مم بمدهـــذه القصة المشروحة فى الأصـــل تتابعت قضايا الخـــلاف بين الشيــخ وفرنسا إلى أن بلغ الأمر منتهاه بعد احتلالها المغرب.

واشتهر الشيخ بين جميع رجالها بالمغرب وحكامها فيه انه العدو اللدود لفرنسا • فسلكوا معه كل المسالك وأطمعوه بالأموال والمرتبات وتنفيذ الكلمة . والمساعدة على نشر طريقه في سائر أنحاء المفرب ، وغير ذلك ، كما فعلوا بغيره • فلم يزده ذلك إلا عداوة لهم وتباعدا منهم إلى أن لتى الله تعالى وهو على ذلك

ثم لما أيسوا من ميسله شرعوا يحاربونه فى أصحابه وأتباعه بالمغرب ، ويعاكسونه فى كل ما ربه ، ويقفون فى وجه مقاصده لاخوانه وأصحابه ، لا لنفسه ، فانه لم يكن له مقصد من الدنيا أصلا كل ذلك والحق سبحانه وتعالى يناقض مقصودهم ، ويهيىء للشيخ كل ما يريد ، ويقضى حوائج كل من يتعلق به على يدهم أيضا فى حال عداوتهم الشديدة إياه ، والله غالب على أمره

فص___ل

وفى سنة تسع وعشرين توجه الشيخ بأهله وجماعة من أصحابه ، وهم تسعة وعشرون نفسا إلى الحجاز لآدا، فريضة الحج ، ومر بطريقه على الجزائر فزار بها ضريح ولى الله تعالى سيدى عبد الرحمن الثعالبي . ثم لما وصل الى بور سعيد امتنع المصريون من انزاله الى قطرهم كما هي عادتهم مع الحجاج ، فاضطر الى الذهاب في البابور الذي كان فيه الى اليمن ، فنزل عرسى عدن ، وأقام بها تسعة أيام ، ثم توجه منها الى مصوع من بجلاد الحبشة ، فأقام بها ثمانية عشر يوما أكرمه فيها أعيان البلد ووجهاؤها غاية الاكرام . وكانو المترددون اليه للزيارة والتبرك والانتفاع بالمجالسة والمذاكرة ، وقضى بها عيد

الفطر ثم بعده بأيام توجه الى جدة ومنها الى مكة المكرمة ، وكان وصوله اليها بعد منتصف شوال بقليل ، فأقام بها تحدو شهرين كانت كلها مواسم وأعيادا عامرة بأنواع الطاعات والمسرات . يجتمع اليه فضلاء الحرم وعلماؤه وشيوخه فتمضى مجالسه معهم كائها رياض مونقة يقتطف منها أزهار العلوم والمعارف وأنوار الفوائد واللطائف .

وكان فى تلك الآيام ينظاهر بمزيد العبودية ، والتواضع ، والقناعة والتقشف ، والاقتصاد فى المأكل والملبس ، ويحث الفقراء على ذلك ويحذرهم من التوسع ، وتناول الشهوات ، ويقول لهم : هذه الآماكن الشريفة لآ يليق فيها الا الذل والتواضع لله تعالى ومن تمام ذلك التقليل من الشهوات والزهد فى الملذوذات ان كان المرء يريد قبول الحج والحصول على ثمرته والا فهو مجرد فسحة وسياحة ونزهة . بل ينبغى لطالب الآخرة والراغب فى رضى الله تعالى أن ينفق ما معه على فقراء الحرمين وأشر افهما وعلمائهما عوضا عما سينفقه فى شهواته وأغراضه . وكذلك كان هو رضى الله عنه لا هم له الا التصدق والمواساة وصلة العلماء والاشراف وأهل الخير والصلاح .

وكان لا يتظاهر بعلم ولا مشيخة ولا مافيه رأئحة تقدم وظهور و ولما طلب منه اهل مكة أن يلتى دروسا فى المسجد الحرام وأهل المدينة أن يلتى دروسا فى الحرم النبوى امتنع من ذلك ، وقال : كل ما ينسب الينامن العلم والصلاح تركناه فى بلدنا ، وخرجنا منها متبرئين من علمنا وعملنا ، مفتقرين الى الله ، راجين فضله وعطفة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكانت وقفة عرفة تلك السنة يوم الجمعة التي ورد فضل الوقوف بها على سائر الآيام. ولمساكان بعرفة وقف في موضع مخصوص وأخبر الفقراء من باب الكشف انه الموضع الذي وقف به رسول الله صلى الله عليه وسلم كالا الموضع الذي يقف به الامام ويظن الناس أنه موضع وقوف رسول الله

ملى الله عليه وسلم وفى يوم الاضحى اجتمع الشيخ وأصحابه بشيخه ، وشيخنا الانام العسلامة الصوفى سيدى محمد بن جعفر الكتانى إذ قدم من المدينة المنورة للوقوف بعرفة . وكان الجمع حافلا ، مشتملا على جماعة من العلماء والفضلاء والفقراء الصوفية والمنشدين ، فشرعوا فى الانشاد ، فطاب الوقت ورقت القلوب . وقام الشيخ سيدى محمد بن جعفر الكتانى متواجدا وقام الشيخ رضى الله عنه ، فقام الحاضرون كلهم وتواجدوا بذكر الله تعالى والفرح به ، فكانت ساعة من أبرك الساعات .

ثم فى أواخر الحجة توجه إلى المدينة المنورة ، فهل عليه هــلال المحرم ، فائح سنة ثلاثين قبل وصوله إلى المدينة عرحلتين . ولما بلغ المكان الذى تظهر منه قبة النبى صـلى الله عليه وسلم لم يملك حاله . فرفع صوته بالصــلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وصار يستشفع به الى الله تعالى أن يمنحه كال الأدب معه صلى الله عليه وسلم ومع جواره وسـكان مدينته المنورة . وكان ذلك منه رضى الله عنه محال قوى ، فسرى فى الحاضرين كلهم فرقت قلوبهم وذرفت عيونهم

ثم لما دخل إلى المدينة بادر إلى زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى البقيع. فلما وصل اليه خلع نعله. فخلع الناس نعالهم. فزار من به من آل البيت الأطهار وألصحابة والفضلاء الأخيار. ثم رجع وأقام بالمدينة المنورة ثلاثة أشهركانت من أبرك الأوقات وأطيبها عامرة بأنواع الطاعات والاجتماع بأفاضل الوقت وعلمائه في المذاكرة بأنواع العلوم. وكان أكثر ذلك محضور شيخنا سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وغالبها بمنزله. وأقبل عليه علماء المدينة، ومن كان بها من علماء الاقطار وفرحوا به، وأجلوه وأعظموا منزلته السامية في العلم، والحفظ، والاطلاع، والتبحر في سائر الفنون. فكانوا يجتمعون به في أغلب الأوقات، وبكل المناسبات، وعملوا له ولائم

وعزومات . ثم فى أواخر ربيع الأول غادر المدينة ، متوجها إلى الشام . وفى اليوم الثانى لقدومه . شاع خبره بين العلماء والأفاضل . فسارعوا إلى زيارته والاجتماع به ، وأكثروا من استدعائه إلى منازلهم مع أصحابه وأتباعه . وانتفعوا بمذاكراته وأحبوه ومالوا اليه . وكان كثير منهم لا يفارقونه .

مم بعد مدة توجه إلى بيروت ، وفى اليوم الثانى من دخوله شاع خبره بين أهلها أيضا ، فجاؤا لزيارته وفى مقدمتهم العلامة الشهير. صاحب المؤلفات الكثيرة فى جناب الرسول صلى الله عليه وسلم الشيخ يوسف النبهائى . فزاره وتبرك به م توجه منها إلى القاهرة وأقام بها نحو أربعين يوماً اشترى بها كثيرا من الكتب ، وزار ضواريح آل البيت والأولياء المشاهير وشد الرحلة إلى طنطا لزيارة القطب سيدى أحمد البدوى . وتعرف اليه شيدوخ الازهر وعلماؤه ، وفى مقدمتهم عالم الديار المصرية الشييخ محمد بخيت رحمه الله فأحبه كثيرا وأجله . واعتقد فضله ، وصار بعد ذلك محبه ويذكره في المجالس والمحافل .

ووقع للشيخ مع بعضهم مناظرات فى مسائل علمية وأحوال خالفوا فيها السنة والشريعة كحلق اللحى وشرب الدخان والملابس الافرنجية

وكان يقول فى حـق أهل مصر: ان هؤلاء القـوم كادوا يرجعون الى قبطيتهم الأولى ولم يبق لهم من الاسلام إلا الامهاء واللغة العربية . ثم توجه راجعا إلى المغرب من طريق بورسعيد ، فلم يتهيأ له الركوب ، فأقام به نحو شهر فى انتظار ورود البابور ولد له فيه مولود ، سهاه محمد الزمزمى ، وذلك يوم الاربعاء ، خامس عشر جمادى الاولى سنة ثلاثين .. وفى الشهر الذى بعده وصل إلى طنجة .

ووافق عند رجوعه من الحجاز أن تمت المعاهدة بين السلطان عبد الحفيظ ودولة فرنسا على احتلال المغرب بعد أن سبق احتىلال بعض مدنه قبل ذلك ، فلما أمضى معهم الاتفاق على ذلك تنازل عن الملك لآخيمه يوسف ، ثم توجه الى الحجاز . فلما وصل الى المدينة المنورة أظهر التوبة والانابة ، وأكثر من الصدقات والبر بأهل المدينة . وكان ينظاهر قبل ذلك بمحبة شيخنا سيدى محمد بن جعفر الكتانى وتعظيمه ، فأتى اليه وأظهر له من الآدب والتواضع ما غره به ، لسلامة نينه وحسن طويته . فأقبل عليه وأكرمه ، وجعله من خاصة أصحابه

م لما عزم عبدالحفيظ على الرجوع الى المغرب طلب من الشيخ المذكور أن يرشده إلى عالم يقتدى به ويهندى بهديه ، ويعول فى أمور دينه عليه ، فأرشده الى الشيخ رضى الله عنه ، وقال له ليس بالمغرب اليوم مثله . لا سيأ وهو بطنجة التى اختار عبد الحفيظ الاقامة بها ، ثم كتب سيدى محمد بن جعفر رضى الله عنه الى الشيخ كتاباً قال فيه

أما بعد: فرجبه تجديد العهد بكم والسؤال عن أحوالكم أدامها المولى سبحانه على وفق مرادكم واعلامكم بأن سلطان مغربنا الشريف العلامة مولاى عبد الحفيظ بعد مازار جده المصطفى صلى الله عليه وسلم واستسلم اليه وانقاد بين يديه متضرعا خاضعاو جمعنا الله سبحانه وتعالى به جرى ذكركم عما نعلمه منكم فاشتاق اليكم ، وأحبأن يكون له اجتماع بكم واخوة مع جنابكم ، وارشاد منكم إلى مافيه العسلاح لدينه والنجح في أخراه ، وعليه فنحب منكم ، بارك الله فيكم أن تعملوا على ذلك ، وتقبلوا اخوته ، وتعاملوه معاملة أخص إخوانكم اليكم محبة وارشاداو نصحا، ولا تقصروا في ذلك ، والله معاملة أخص إخوانكم اليكم محبة وارشاداو نصحا، ولا تقصروا في ذلك ، والله

تجازيكم ، وقد أعلن فى هــذه الحجة بمــا اعلن به الأوابون . ثبتنا الله وإياه هلى ذلك وقوانا على العمل به وعلى محبتــكم الخ . وهو مؤرخ بيوم الأربعاء تاسع عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمــائة وألف .

فلما وصل الكتاب الى الشيخ قدس سره . قال غره عبد الحفيظ بظاهر حاله . ثم كتب جوابا له وعرفه بشرح حاله وحقيقة أمره وأن ما تظاهر به من التوبة والانابة . هو مجرد صورة لا حقيقة لهـ ا ثم لمـا قدم الى طنجة أرسل الى الشيخ مع الشريف الصالح سيدى المأمون الباغيثي . وكان مجاورا بالمدينة المنورة . فأنزَّله عبــد الحفيظ معه الى المغرب . وُلكنه رجع بعــد ذلك اليها . فلما أتى الى الشيخ وأخبره بأن السلطان يريد الاجتماع به امتنع من ذلك كل الامتناع . فلما رجع اليــه وأخبره بامتناع الشيخ أراد أن يغريه بالمال. فأرسل اليه أربعة آلاف ريال مع الشريف المُلَذ كور، فردها اليه. وصمم على عدم الاجتماع . فرجعاليه بالمــال فرده ثالثا ، ووعد بالزيادة وأمره. أن يسلك معه كل مسلك ويتوسل اليه بكل وسيلة . فصار الشريف يتردد الى. الشيخ في شأف هذه المقابلة كل يوم ، ويتوسل اليه بشرفه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستعطفه بكل ما فى وسعه والشيخ مصر على الامتناع . ثم سأل عبد الحفيظ بعض الواردين عليه من أهل البالد عمن يحترمه الشيخ ويستحيى منه . فأرشده الى بعضالفقهاء وكان الشيخ يحبه ويجله . فأرسل اليه وأعطاه أربعة آلاف ريال وطلب منه أن يتوسط له عند. الشيخ في الاجتماع به ، فجاء اليه ومكث معه من الضحى الى الظهر . وهو يحاول من الشيخ المساعدة فلم يجبه اليها ، وقال له لا أجتمع بمن سلم المغرب الى فرنسا ، وقتل سيدى محمد بن عبد الكبير الكتاني ظلما ولو فعل مافعل مم تعلق بغيرها أيضا فلم يفلح فلما أيس من الوسائط أرسل اليه يوما مع الشريف البلغيثي يقول إنني سأقدم غـدا الى منزلك ، فاذا وصلت الى باب دارك ، وظهر لك أن تطردني فافعــل فأرسل الشيــخ في الحال الى بعض

تلامذته ممن كان متصدرًا عنده للاستشارة وأخبره الخبر، وأمره أن يصرفه عنه وعرفه بأنه لا يقابله أصلا ، فأمر أربعة من أصحاب الشيخ أن يلزموا باب الدار بعصيهم ليردوه اذا جاء بالقوة . ثم ذهب إلى بعض من كان متصلا بعبد الحفيظ ، وقال له اذهب اليه ، وقل له : ان الفقراء مجتمعون بباب دار الشيخ لمنعوه من الوصول اليــه . وعليه فالواجب أن يتأخر عن التوجه اليه خوفا من وقوع مالا يحمد . فلما بلغه الرسول ذلك أيس مرة واحدة وأرسل الى الشيخ يقول له : انك لست أفضل من عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأنا الست شرا من الحجاج بن يوسف الثقفي . وقد كان عبد الله بن عمر يجتمع به . فقال الشيـخ للرسول ان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما كان عنده من الفضل وقوة الحال برؤية رسولالله صلىالله عليه وسلم وصحبته مايحمى دينه من التأثر بالاحــتماع بالحجاج وأنا ضعيفِ الحــال ، أخاف على ديني أن يتأثر ويضعف بسبب الاجتماع به وهكذاصرفه الله عنــه ، فلم يجتمع به . ثم بعد هذا بنحو سنة وقعت الحرب العظمى وحصل لعبد الحفيظ ما أوجب سفره الى أسبانيا . فلما وصل اليها اتصل به سفير دولة ألمانيا التي كانت في حاجة الى من يثير الحرب على فرنسا فى المغرب وطلب منه بصفته كان ملك المغرب وقد انتزع الملك من يده أن يحارب فرنسا ليعود الى ملكه ، وأن دولنه مستعدة للمساعدة علىذلك بالمال والسلاح ، فأظهر رغبته في ذلك ، ولم يكن قصده في الواقع الا أن يبتر منهم الأموال ليصرفها في شهواته ويبذرها في ملذاته ، لـكنه رأى أن ذلك لا يتم الا بالشروع في العمل ، ولم يرمن يصلح لذلك ويقوم به الا الشيخ رضي الله عنه . فأرسل الى وكيله بطنجة ، وهو عبد الهادي السلاوي وأمره أن يذهب الى الشيخ ويصحب معه الجزء الآخير من صحیح البخاری ویتوسل الیه بالنبی صلی الله علیه وسلم و برجال ذلك الحزء في أن يرضي عده ، ويقبل معاملته في شأن القيام على فرنسا ومحاربتها ، وعرفه بأن دولة ألمـانيا هي التي ستنولى المساعدة بالمال والسلاح على ذلك ، فأجابه الشيخ لما علم أن الامر منعلق بالدين ، وأنها دعوة واجب تلبيتها والخوض فيها إلاأنه لعدم تحققه من الامر والنتيجة كلف بذلك ابن أخيه الشريف سيدى الغالى بن أحمد بن الصديق . وكان الالمان قدا تصلوا أيضا بعبد الملك بن الامير عبد القادر محيى الدين وطلبوا منه القيام أيضا ، وأمدوه بالمال وواعدوه بالسلاح . فاتصل بالشيخ رضى الله عنه وطلب منه المعونة والمساعدة . فأجابه الى ذلك ، وأمر ابن أخيه أن يذهب اليه ويتفقا معا على الامر . فاستمرا على ذلك مدة الى أن هيئا شئون الخروج ، وخرجا معا . ووقعت لهما قضايا غريبة وألتى القبض عليهما بقبيلة أنجره وصارت فرنسا ترسل إلى بعض زعماء القبائل الجبلية وتعده بأموال تطير لها الباب فرنسا ترسل إلى بعض زعماء القبائل الجبلية وتعده بأموال تطير لها الباب وأرسل الى بعض أهل القبائل الغمارية فنزلوا وتدخلوا في القضية ، وسلم وأرسل الى بعض أهل القبائل الغمارية فنزلوا وتدخلوا في القضية ، وسلم الله أمر الرجلين بعد أن كانا بين مخالب الموت

ووصلا إلى بعض قبائل الحـدود الفرنسية المغربيـة. وقاما بالدعوة إلى الجهاد وشرعا فيه مدة الحرب بتمامها الى أن وقعت الهدنة واستشهد ابن أخى الشيخ المذكور

ولما شرعا فى القتال عزم الشيخ على السفر من طنجة الى غهارة . وكان والده قد توفى قبـل ذلك بنحو سنتين أو ثلاث . وبتى أمر المـيراث بين العائلة الكبيرة موقوفا على حضوره . فأراد إنهاء مسألته مع النظر فى بعض مصالح تلك القبائل وامكان اتصالها بمساعدة المحاربين .

فلما علم الفرنسيون بذلك أرسلوا يطلبون منه التأخر عن السفر لمناسبة الحال الحاضرة خوفا ان يلتحق بالمحاربين ويقع الاجتماع المظيم لاقبال الخلق عليه . فامتنع مرف التأخر ، وأصر على السفر . فالتجأوا الىالقوة وفرقوا البوليس في ضواحي المدينة وأحدثوا لهم مواضع خاصة لم تكن من قبل

جعلوها على جميع الطرق المؤدية الى جهة تطوان لكونها طريق غهارة وعرفوا الشيخ بأنهم سيستعملون القوة ان خرج بغيير إذنهم ، فأصر على المخالفة لامرهم وتنفيذ ما أراد . فصار الفقراء يشترون السلاح ويعدون العدة ليوم خروج الشيخ حتى يقابلوا البوليس بالقوة ان تعرضوا للشيخ

فلما رأى الفرنسيون تفاحش الامر أرسلوا من الرباط الوزير عبد القادر ابن غبريط وكان له معرفة بالشيخ أيام إقامته بطنجة ليكامه فى التأخر عن السفر ويستميله الى فرنسا والرضوخ لها ويعده ويمنيه بكل ما يريده ، فلم ينجع فيه شيء من ذلك ، والحالة كل يوم تزداد خطورة ، وصارت تحصل قضايا وحوادث يصطدم فيها الفقراء مع البوليس والشرط وأعوان الحكومة عما يطول شرحه

ثم لما لم يجدوا بدا من مساعدته أرسلوا اليه يقولون: ان أمرك قد رفع إلى السلطان. ولم يبق لحكام طنجة فيه تدخل سوى تنفيذ أمر السلطان، وأثناء ذلك ورد عليه مكتوب من الوزير محمد الجباس. قال فيه

وبعد: فقد بلغ لجناب المخزن أعزه الله أنكم تريدون السفر من هناكم لقضاء بعض أغراضكم الشخصية بهاتيكم القبائل الجبلية وهذا أمر لا بأس به . لوكان في غير هذه الظروف الوقتية حيث إن الانسان لا يخلو من أعداء كما أنه لا يخلو من أصدقاء . فكما أن أصدقاءه يلاحظون حركاته بعين الصفاء والاحترام فكذلك أعداؤه يراقبون أعماله وينسبون اليه ما لم يكن له به إلمام ، على أن المخزن والحمد لله يعتقد فيكم الخير والصلاح ويبرى جانبكم من الخوض في هذه الأعراض الدنيوية الحائدة عن مهيع الفلاح لما يبلغه عنكم دائما من إرشاد الخليقة والاعراض عما سوى الاشتغال بوحدة الحقيقة ، ولختار ولذلك لم يرتض المخزن الشريف تحرككم في هذه الظروف الحاضرة ، ويختار سكونكم عمحلكم لما فيه من مصالحكم الظاهرة والباطنة ريثما تنقشع هذه

السنحابة الصيفية التى لا تمكث طويلا، ولا تستلزم من الصبر الا قليلا. وحينئذ تتمكنون من السفر معززين بالاوامر المخزنية ، معتمدين على الله سبحانه وعليها فى قضاء أغراضكم حاضرة وبادية

وأما الآن فلا يخف كم ما يترتب على ذلك من القيل والقال ، وما يمكن أن ينسب لهم مما يعلم جانب المخزن انهم برآء منه . بل لا يخطر لهم ببال كما لا يخفاكم ما هو وارد شرعاً في الحث على السكينة ، والمحافظة على تعميم الراحة بكل ما أمكن . نعم إن كانت الهم أسباب أوجبت عليكم السفر من ذلك الثغر المحوط فبينوها لجناب المخزن عزيد ثقة وجميل المتقاد ، إما رأساً وإما بواسطة النائب المخزني لينظر فيها و تجابون عنها عما يرضيكم ويسركم كول الله

هذا وقد أبلغنا لجنابكم المحسترم أوامر مولانا الشريفة . راجين ورود جوا بكم بما يحقق لمـولانا أيده الله ما أديناه فى جنا بكم من الشهادة بما نعلمه من صلاح أحوالكم وصفاء طويتكم وحسن مساءيكم الخـيرية ، محتسبين على الله ثوابها الجسيم فى دار النميم ، وعلى ما تعهدونه من المحبة الاكيدة ، والسلام فى عشرى رجب الحرام عام ثلاثة وثلاثين وثلاثما تة وألف . فأجابه الشيخ وذكرله أسباب سفره التي أشرنا اليها . فورد عليه كـتاب الاذن بالسفر ، وهم إعـا فعلوا ذلك سترا للحالة ، لئلا يخرج الشبخ قهرا عنهم وتسقط منزلتهم بين الناس . ونص الكتاب : محبنا الاعز الارضى الشريف الاجـل الفقيه المرشد البركة «سيدى محمد بن الصديق » رعاكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته . عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : وصلنا جوا بكم عما كتبناه لكم عن الامر الشريف ، أسماه الله فى شأن تأخركم عن السفر من طنجة . مراعاة لهـذه الظروف الحاضرة . وعلمناما أبديتموه من الاسباب الموجبة لسفركم . وأنهيناها لمولانا أيده الله . واستعطفنا جنابه الشريف فى إجابتكم لمطلبكم لما نعلمه فيكم من الصدق

فى القول والعمل، وكون منلكم يتحاشى عن التلبس بما توهم فى جنا بكم وقد قبل مولانا أيده الله أعذارك وساعدك أعزه الله على السفر لقضاء وطركم ، فتوجهوا على بركة الله مصحوبين بالسلامة والعافية ولا نحتاج الى تنبيه جنا بكم على استعمال ما يمكنكم فى تسكين الروع بهاتيك الجهة الجبلية ، وحض الناس على لزوم الطعة والطمأنينة ، ووعظهم بما ورد فى السنة فيمن يوقظ نار الفتن عسى الله أن يهديهم على يدكم المباركة لما فيه من صلاحهم وصلاح بلادهم ، ولان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طاحت عليه الشمس وعلى المحبة والسلام فى تاسع شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثين

فسافر الشيخ إلى غهارة ، ومكث بها محمدانية أشهر، عالج فيها القضية بعد أن اجتمعت اليه تلك القبائل . وكان زعهاؤها يردون عليه كل يوم ، فعرف أن الخرق قد الرع على الراقع ، وأنه لا مرد لقضاء الله . فرجع ونزل معه نحو الف وستائة رجل الى ناحية تطوان لينهى لهم القضية مع حكام الاسبان فقابل المندوب السامى وكله و شأن مصالح تلك البلاد ، ثم خرج راجعا الى طنجة عن طريق القبيلة الا بجرية .

ولما كان بها واجتمع اليه أهاها خاف من ذلك بعض من كان متصدرا للزعامة ، طامعا في نيل المملكة ، فدس اليه من يقتله ، وهما رجلان من أهل القبيلة العروسية ، فافتضحا وألتى الفقراء القبض على أحدهما . وهرب الآخر . وأمر الشيخ بالعفو عن المقبوض فأطلق سراحه . ثم دخل الشيخ الى طنجة ، وبعد الاستراحة شرع في قراءة صحيح البخاري ، وصار يتعرض للجهاد والحث عايه ويذكر فرنسا فيسبها ويدعو عايها بالهلاك والدمار ، والحكام حاضرون في درسه ، وكل ما يقوله يصل الى الفرنسيين بواسطة جواسيسهم فيحاولون منعه من ذلك ، فلا يجدون اليه سبيلا ، ثم كثر الخلاف والنزاع فيحاولون منعه من ذلك ، فلا يجدون اليه سبيلا ، ثم كثر الخلاف والنزاع

والمناوشات بين الفقراء أصحاب الشيخ وبينالحكومة وأعوانها ، وحصلت قضايا متعددة عارض فيها الفقراء إرادة فرنسا وحكامها فانتصروا عايبها وكانوا دائما يحصلون مقصودهم بفوات مقصود الحكومة وإرادتها وكان ينتصر لفرنسا ، ويبالغ في إرضائها حاكم طنجة إذ ذاك عبد السلام بن عبد الصادق .فلماطال الامر وكثر الخلافأراد أن يظهرالنصح التام ، ويقدم الخدمة الجليلة ليتوصل في نظره الى مرتبة أعلا مما هو فيه ﴿ وَكَانَ يُطْمِعُ فِي تُرْقَيْتُهُ إلى نائب السلطان ، فصادف أن وقعت قضية لبعض الاشراف الكتانيين المنتمين الى الشيخ رضي الله عنه مع قاضي طنجة وقتئذ الفقيه علال الهرابلي الفاسى ولطمه فى محكمته ، فألتى الحاكم المذكور القبض على الشريف الـــكتاني، وتوهم أن الفقراء سيتعرضون له في شأنه فأوحىاليه ظلمه وبغضه للشيخ والفقراء أن يعاجابهم عكيدة ظن أنها ستنفعه في شتيت شملهم وتمكن فرنسا من نفيهم وتشريدهم . فأرسل الى جميع أعيان البلد ، ولم يفادر منهم أحداً . فلما اجتمعوا عسجد القصبة القريب من المحكمة أخرج لهم دريضة ، ربد تقديمها للسلطان ، ضمنها شكاية أهل البلد بالشيخ والفقراء ، ونسبوا اليهم عدة مضرات واعتداءآت وتشويشات للاعمن والراحة ، وطلب من الجميع أن يوافقوا عليها بانزال خطوطهم فى العريضة ، ووافق ذلك هوى فى نفوسهم ، فكانوا أطوع له من بنانه

ثم وجه الكتاب المذكور إلى السلطان وبتى فى انتظار ورود النتيجة فلم يظهر ما يمس جانب الشيخ والفقراء بكلمة واحدة ولكن ظهرت النتيجة فى القائد وأهل طنجة . فعاجلهم الله بعقوبته وسلبهم ما كانوا فيه من العز والجاه ، وسلط عليهم الذل والمهانة والفقر والاضطرار والحاجة ، وسقطوا من عين الناس ومن عين فرنسا التي أرادوا إرضاءها بفعلتهم الشنيعة .

وأما القائد المذكور فأوقعه الله في نفس الحفرة التيحفرها لينغي الشيخ

والفقراء . فأخرج من بلده ووطنه عقب ذلك بقليل وصار متغربا في نواحى الدار البيضاء ، وخربت أملاكه بطنجة ، وانقرض منها ذكره وشتت شمله . وجمع الله شمل الشيخ والفقراء ، ولم يصب أحد منهم بسوء ، ولله الآمر من قبل ومن بعد .

ولما صدرت هذه الفعلة الشنيعة من أهل طنجة دخل الشيخ رضى الله عنه داره ولزم بيته ، وقال كانت على ظهرنا أحمال وأثقال لأهل طنجة ، والآن قد أنزلناها واسترحنا من ثقلها .

وقال أيضاً : كنا نريد لأهل طنجة العز والرفعة بين الناس فأبوا الاالذل والمهانة فليفعلوا ماشاءوا · وبق فى بيته من سنة سبع وثلاثين إلى أن توقاه الله تعالى سنة أربع وخملين لم يخرج فيها إلا مرات معدودة ·

منها: سفره الى القاهرة سنة خمس وأربمين لحضور مؤتمر الخلافة إذ استدعاه المصريون، وألحوا عليه فى الحضور بمكاتب متعددة فرأى أن إجابة دعوتهم واجبة لوجوب نصب الخليفة وكان يرجو حصول فائدة للاسلام من ذلك الاجتماع.

فلما حضر المؤتمر وجــ القوم يلعبون ويمزحون ووجد المؤتمر عبارة عن إلقاء الخطب ، والتمشدق بمــ يظهر لكل واحــد مزيته فى الخطابة ، والتفصح مع ضعف الرأى ، وعــدم التمسك بالشريعة فى الاقوال والاعمال ، فترك الحضور معهم قبل أن ينتهى المؤتمر ، وأقبل على شأنه من زيارة ضرائح أهل الله وشراء الكتب .

مم توجه إلى الشام لزيارة بيت المقدّس ، وإبراهيم الخليـل عليه الصلاة والسلام . ثم منه إلى زيارة شيخه سيدى محمد بن جعفر الكتابى الذى كان وقتئذ مقيا ببيروت عقب خروجـه من دمشق لوجـود فتنة الدروز مع فرنسا فزاره .

نم رجع من طريق البـــــــر على الاسكندرية ، لزيارة ضريح أبى العبـــاس المرسى رضى الله عنه

ثم رجع إلى القاهرة وشد منها الرحلة الى دسوق لزيارة سيدى إبراهيم الدسوق . وإلى طنطا لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنهما .

ثم رجع إلى طنجة بعد أن غاب فى هـذه السفرة ثلاثة أشهر ، ولزم بيته أيضا ، فكانت وفود الزوار تتوارد عليه من كل ناحيـة كما هى العادة ، بل زاد الامر وعظم بانقطاء عن الخروج . فكان يعمر معهم أوقاته بالمذاكرة بأنواع العـاوم والمعارف مع القيـام بحقوق المسلمين وقضاء حوا مجهم

بالتوسط والشفاعات عندحكام الدولتين الفرنسية والأسبانية في المنطقتين السلطانية والخليفية . وذلك بالمراسلة تارة مع بعض أصحابه وأحيانا بالمكاتبة فتقضى المارب وتقبل الشفاعة مع شدة العداوة له من الجهتين ، والله تعالى غالب على أمره .

الب_اب الربع

فى وصف حالته العلمية ومواهبه الفتحية وما يتعلق بذلك

كان الشيخ رضى الله عنه إماماً فى سائر العاوم محققاً للمنطوق منها والمفهوم حافظا متقنا . واسع الاطلاع . مديد الباع . قوى الحجة والمارضة فصيحاً فطنا ذكياً غاية فى الاستحضار ، بل آية وأعجوبة من عجائب الدهر فيه ما رأيت من علماء عصره بالمغرب والحجاز ، ومصر والشام من يدانيه فى ذلك ، إلا شيخنا الامام سيدى محمد بن جعفر الكتابى فى التراجم فى تراجم الاولياء ومناقبهم خاصة . وشيخنا الامام أبا عبد الله محمد مخيت فى مسائل الفقه والمعقول خاصة

وأما الشيخ رضى الله عنه فكان شأنه فى الاستحضار عجبا بهر العقول بحيث كانت مجالسه العادية على الدوام كأنها دروس كبار العاماء الحفاظ ، الذين يتعبون فى جمع ما يلقون فيها فى الساعات المتعددة . بل ما رأيت درساً جامعاً لغرائب العلوم ونوادر الاخبار ونفائس الفوائد كمجالسه الدائمة مع ضيوفه وزواره وأصحابه حضراً وسفراً فى داره ودار غيره اذا دعى لها أوخرج لبستان فى فسحة ونزهة ، فان مجالسه معطولها لم يكن يذكر فيها الدنيا وأخبارها ، ولا يتعرض لزيد ولاعمرو . بل كانت مذاكرة علمية والحاضرون كلهم سكوت كأنما على رؤوسهم الطيريستمعون إلا إذا سأل سائل عن مسألة أو استفهم عنها . وما كان يتعرض لذلك إلا القايل من جلاسه الذين لهم جرأة على الكلام معه . وكانت مجالسه تطول على هذه الحالة الساعات الطويلة وربم استمر مجلسه من بعد العصر إلى ما بعد العشاء بساعة وساعتين لا يقوم فيها إلا للصلاة ثم يعود للمذاكرة . وربم الحلس من بعد الفطور إلى صلاة فيها إلا للصلاة ثم يعود للمذاكرة . وربم الحلس من بعد الفطور إلى صلاة الظهر ، لا سيا مع الضيوف من أهل فاس وسلا وأضرابهم الراغبين فى معاع الظهر ، لا سيا مع الضيوف من أهل فاس وسلا وأضرابهم الراغبين فى معاع

العلوم والمعارف . وكان المرء يسمع منه فى المجلس الواحد من غرائب العلوم ونوادر الآخبار والنقول مالا يهتدى اليه بعد البحث الطويل . والاطلاع الشديد إلا فى الازمنة المتطاولة .

وقد وصف مجلسه بعض أهل العلم ، فقال

ومن أكبر شيوخنا وأفضلهم . العارف الآكبر ، والكبريت الآحمر . مرشد السالكين ومربى المريدين . الدال على الله بالاقوال والافعال . الناهيج بأحواله منهج الكمال . مأوى الضعفاء ومعينهم ، ومرشد الاقوياء ومقويهم منبع المعارف والاسرار ، وملجأ الذاكرين آناء الليل وأطراف النهار . من اذا تكلم كنى . واذا صاحب صفا . واذا عاهد وفى . واذاقدر عفا .

الشبيه في أخلاقه بجده المصطفى صلى الله عليه وسلم بحر المعارف والعلوم ومبدى الضياء من الظلام في الفهوم الجامع بين المعقول والمنقول. الفانى في محبة الرسول الشريف المنيف شيخناحساً ومعنى وحبيبنا روحاً وجسماسيدى الحاج محمدا بن العارف الكامل سيدى الحاج الصديق ابن القطب المربى سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن سمعنا عليه رضى الله عنه وقدس روحه علوماً جمة مذاكرة منه لنا في جميع الفنون العلمية وأكثرها في التصوف وحكاية الصالحين وعجائبهم في سلوكهم الى الله تعالى وافتراق أحوالهم في مواجيدهم وأذو اقهم ، بحيث لو كنا نكتب ما نسمع منه في جميع العلوم من المسائل مع تحقيقها والقول الفصل فيها وما يتبع ذلك لجمعنامنه مجلدات ، ولكن حالنا حال الكسائى . وآفة العلم عدم التقييد ، فندمنا حيث لا ينفعنا الندم اه .

ووصف مجلسه صاحب نبذة التحقيق ولم يكن ممن يجالسه إلا قليلا على انفراد ، فقال

وكانت مجالسه قدس سره لا تخسلو من الفوائد . ولا بد لمجالسه أن ينال من فيضه أبدع الصلات وأنفع العوائد إلى أن قال وبالجملة فتبحره فىالعلوم ظاهراً وباطناً مما علمه الخاص والعام وفضله وكماله عما أقر به القاصى والدانى . وقد كانت ترد عليه المسائل حتى من الخارج فى مذاهب أخرى فيجيب عنها .

وكتب إلى الشريف الجليل العلامة الاديب الشاعر الأثرى سيدى محمد الناصر الكتاني يقول

اتصلت بالشيخ طيب الله ثراه وأنا في يافع . اشرفت على العشرين ، ونزلت ضيفا عليه نحواً مر شهرين . كنت أجالسه فى خلالها فى الصباح والمساه . وكان مجلسنا لا ينتهى حتى تمر عليه ثلاث ساعات كاملة ، وربحا تجاوزتها أسائله فيتدفق فى الجواب بفصاحة بالغة وأسلوب عربى متين وعلم ينم عن مادة كبيرة يستقى منها أجوبته كنت أسائله فى الحديث والفقه والتصوف والتاريخ والادب والفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة . فكان يبهرنى منه استيعابه بالجواب عن المسألة التى أسأله عنها فلايترك فى نفسى مكاناً فارغاً للتعقيب على السؤال اه .

والعلوم التي كانت له فيها اليد الطولى هي:

الفقه . والاصول . والكلام . والتصوف . والتفسير . والحسديث والنحو . والصرف . والمنطق والتاريخ . والتراجم . والطب . والانساب والسياسة الشرعية . وسرالحرف . وخواص الاساء مع المشاركة القوية فى سائر العلوم

أما الفقه: فكان يستحضر جميع فروعه الخفية والجلية ، لا سما الفقه المالكي فانه كان نصب عينه بعجره وبجره ، وقواعد القضاء ، والدعاوى، والقوانين التي قننها المالكية في هذا الباب ، واختص بها المغاربة من بينهم وتوسع فيها المتأخرون ، وسموها فقها مع أن تلك المسائل لا يحفظها ويبرع فيها إلا البزل من الفقهاء الراغبين في الدنيا ، المخالطين للقضاء والفتوى فيها إلا البزل من الفقهاء

والشهادة الممارسين لذلك في الأعوام الكثيرة والأزمان الطويلة . والشيخ رضى الله عنه كان أبغض شيء اليه خطة القصاء والشهادة والفتوى والتعرض لنيل الدنيا بالعلم ، ومع هذا فكان من أبرع الناس وأحفظهم لهذه الفروع حتى كانت القضاة والحكام والمفتون يفزعون اليه في الاستفادة منه عند نزول القضايا العويصة والدعاوى المشتبكة . فكان يحرر لهم النازلة ويكت لهم الحكم والفتوى ويدفع ذلك لبعض تلامذته وأنجاله فيكتبه بخطه وينسبه الى نفسه فرارا من أن ينسب اليه هو رضى الله عنه شيء من ذلك . ورعما أخذ الواسطة في ذلك أموالا طائلة بغير علمه وقل أن يوجد كتاب في مكتبته في الفقه المالكي والقوانين العملية التي ألحقوها بالفقه . إلا وقد طالعها وصحح أغلاطها بخطه

وأما الأصول: فكان يستحضر جميع مسائله والخلاف بين أثمته ويرد ويقبل ويرجح ويزيف منها بحسب نظره واجتهاده. حتى ان بعض من كان يدعى أنه لايوجد بالمغرب من يتقن علم الأصول كاتقانه لما قدم الى طنجة وزاره ذاكره في مسألة أصولية جر البحث ذكرها. فأراد الرجل أن يغرب ويراوغ بذكر بعض الاقوال ويؤيدها فرده الشيخ الى الصواب وأبطل دلائله. ورجح الحق بما لم يسعه معه الى الرجوع والاعتراف فكان يقول بعد مفارقة الشيخ لم أر من يفهم الاصول غيره

وزاره مرة أشهرعاماء فاس بعلم الاصول . وهوالفقيه الفضيلي . فذاكره الشيخ في مسألة فظهر عجزه وقصوره أمام الشيح واعترف هو بذلك

فقال له : نحن فقهاء الدرس والـكراس ، فما دمنا في الدرس حررنا المسألة. واذا قمنا منه تركناها ولم يبق معنا منها شيء

وأما الكلام فكان اليه المنتهى فى تحقيق دلائله وبراهينه مع الاطلاع. التام على جميع المذاهب والنحل والاةوال ، بلكان فىبدايته شغوفا بالمناظرة. فيه انتصارا لمذهب أهل السنة وإبانة للمعتقد الحق ولما رحل الى الحيخ جرت له فيه مناظرات بالحجاز ومصر والشام مع علمائها ولما رحلت إلى القاهرة رحلتى الأولى زارنى بعض من كان يتردد الى الشيخ أيام مروره بالقاهرة فى طريق رجوعه من الحج ، وقال لى إن والدك إمام ما رأينا مثله فانى ناظرته لما كان هنا وتحققت فضله وبراعته فى علم الكلام واستفدت منه مع أن هذا الرجل من المشهورين بالجدال والمناظرات التعسفية فى علم الكلام.

وأما التفسير فكان آية فيه ، لا يسأل عن آية أو يجرى ذكرها في مذاكرة إلاويبدى وفيها ويعيد ، ويذكر من معانيها مالا يستطيع ذكره إلا من كان محررا لهما في تلك الساعة من جميع التفاسير ولما فتح قراءة النفسير أملى في السكلام على الفاتحة إلى قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» مجالس طول شهر رمضان من بعد العصر الى قبيل المغرب بقليل . وحدثني الفقير الصوفي أحمد الحناط قال حضرت مع الشيخ مرة بتطوان في بعض المجالس الحافلة بالزوار فتكلم على قوله تعالى والذي قدر فهدى فأتى فيها بما جهر عقول الحاضرين من علماء وعوام وأدخل فيها مالم يخطر الاحد ببال

وأما الحديث فكان حافظا لمتونه مديم النظرفيه والاشتغال بفنونه وكتبه لاسيما فتح البارى فانه يستحضر جميع مسائله

وأما التصوف فهو علمه ومن صدره تتفجر منابعه وعيونه سواء تصوف الارشاد والعمل والسلوك وتصوف العلم بالله وأهل الفناء في وحدة الوجود الأأنه كان إلى القسم الأول أميل لآن عنايته كانت بالعمل والتخلق أكثر وكان لايتكلم في الثاني إلا نادرا مع أهله لاسما في بدايته وأوائل أمره فانه كاف غيوراً على نشر الحقائق شديد التكتم لهاكما كان أستاذه سيدي محمد بن ابراهيم رضى الله عنه .

وأما النحو والصرف فكان يتقنهما اتقــان من لم يعرف غيرهما وكانت دروسه فى الخلاصة بشرحى المـكودى وابن هشــام من أعجب الدروس (مــه)

وأمتعها فى هذا الفن بلكان يحبه على الخصوص ويتعشقه ويحث على قراءته والتضلع منه كثيراً ويقول إنه مفتاح فهم العلوم لاسما البلاغة والاصول وأما المنطق فكان يتقنه غاية واقتنى كثيراً من كتبه ودرسه بتوسع واطلاع وتحقيق وبحث لم ير الطلبة مثله

وأما التاريخ والتراجم فشأنه فيها أعجب وأغرب من كل ماسبق فانه لايكاد يذكر دولة من ظهور الاسلام إلى عصره إلا ويحدثك عنها حديث من حضرها وكان واحداً من أعيانها ورجال دولتها لاسيما دول المغرب والاندلس وكذلك تراجم العلماء والشيوخ والاولياء ووقائعهم في سلوكهم وتربيتهم وأخبارهم مع تلامذتهم وما إلى ذلك معضم الاشباه والنظائر فاذا اقتضى الحال في موعظة أو مذاكرة الاستشهاد بواقعة وحكاية يضم إليها أمثالها مها وقع لشيوخ كثيرين من مشارقة ومفاربة في عصور متقدمة ومتساخرة كأنه كان يبحث عن ذلك ويجمعه منذ أزمان طويلة فيقول مثلا وقع للجنيد أو الشبلي مع فلان كذا ومثله وقع للرفاعي أو الجيلاني مع فلان وكذلك للمتبولي مع مع فلان وكذلك للمتبولي مع مع الخواص والمبكري مع ابنه وسيدي يوسف الفاسي مع أخيه أوصاحبه في الذن وهكذا يسرد الاشباه والنظائر من الحكايات والوقائع التاريخية في فيلان وهكذا يسرد الاشباه والنظائر من الحكايات والوقائع التاريخية في ويرودة في ذلك مجكايات ووقائع للمتقدمين في نفس المسألة

وأما السياسة الشرعية ومعرفة الطرق والوسائل التىتقوم بها مصالح الدولة وينبنى عليها أساس العمران ونماؤه وترقية الامة إلى مصاف الدول العظام وكيفية استمار الامو البالوجه الشرعى المباح الذى لاظلم فيه ولاجور على أحد من الرعية وكيفية حفظ البلاد وحراستها ومعاملة الدول الاجنبية بما لامخالفة للشرع فيه ونحو هذا فكان إذا تكلم فيه تخال أنه لايفكر دائما إلا فيه ولا يشتغل بغيره كانه أحد كبار الوزراء القائمين باعباء الدولة ومصالح المملكة مع مراعاة الحال الحاضرة وتغير الوقت وتبدل الاطوار حتى كان إذا اجتمع

به أهل السياسة ومكاتبو الجرائد يرون منه مالم يخطر لهم على بال ويتعجبون منه غاية العجب لكونه من علماء الدين وشيوخ التصوف المقبلين على علوم الآخرة والمعرضين عن علوم الدنيا لاسيا وهولايقرأ الجرائد أصلا بل ويحذر من قراءتهاويستهجن إضاعة الوقت فى الاشتغال بها ولما ظهر بعضهم بالزعامة بفاس وشاع خبره قدم إليه بعض المشتغلين بالسياسة ممن كان مقيا بالبلاد التركية ليكون معيناً لهو ناصراً ومؤيداً فلما اجتمع به خاب أمله ورأى خلاف ما كان فبهر عقله وقال هذا هو الزعم على الحقيقة وهكذا يجب أن يكون الزعماء فبهر عقله وقال هذا هو الزعم على الحقيقة وهكذا يجب أن يكون الزعماء أما الفاسى الذى شددت الرحلة إليه خصوصاً فانى لما جلست أتفاهم معه فى القضية صار ينام ويتركنى فعلمت أنه غير زعيم ولا مخلص فى قضية وطنه

وأما الطب فها رأيت عالماً يشاركه فيه بل أعرضوا عنه اتكالا على أطباء الفرنج والمتخرجين على يدهم فيه أما الشيخ فكان شأنه فيه شأن مهرة أطباء العرب الاقدمين بحيث يداوى المريض على الوصف من بعيد بل من مدن أخرى ولا يحصى كم مريض حكم أطباء الافرنج بموته وعدم إمكان علاجه فشفاه الله على يده وبأدويته التى كان يصفها للناس وقد وقفت على بعض مكاتبه لاصحابه فى العلاج أحببت إيراد بعضها ليعرف مها حقيقة الامر مع الاستفادة.

فمن تلك قوله فى كتاب: والرجل الذى أصابه فى جنبه الآيسر ما أصابه أمره صعب فى الجملة فان الجنب الآيسر علاجه يصعب كثيراً ولكن مرهأن يدهن جنبه المذكور بزيت الرندعند النوم ويدلكد لكا جيداً وعلى رأسكل ثلاثة أيام يدخل الحمام فيمكث فيه نحو ساعة فانه يعافى إن شاء الله تعالى و لا تخبره بصعوبة مرضه لئلا تتغير طبيعته فيزداد مرضه اه.

ومها أما دواء ابن عمك فليأخذ شيئًا من السمن وليجعله على الناد مم مثله من الماء وليتركه حتى يذهب الماء ويبقى السمن ثم يأخذ مثله من

العسل ويزيل رغوته على نار لينة ثم يأخذ مثله من السكر الاحمر ويجعل الثلاثة على نار لينة وتحرك تحريكا جيداً حتى تنعقد وتصير ذاتا واحدة في قوام الحلواء ثم يجعلها في آنية فاذا أراد النوم أكل منها مقداراً جيداً فان نومه يرجع كما كان ويزول يبسه وتكثر رطوبته وتقل عنه تلك الافكار التي تضره ان شاء الله تعالى .

ومها وصلنا كتابك الشريف وعرفنا ما أشرت إليه مما يعتربك من البرد والعرق الخ . اعلم سيدى أن ما يعتربك ما أشرت إليه سببه ضعف قلبك لاضعف دمك كما قاله لك الطبيب فانه لم يهتد لما أصابك كما هى حالة أطباء الوقت فانهم قلما يحصلون على عين الداء اللهم الا إذا كان داء بارزا ظاهرا وكيفها كان الحالفدواؤك قريب إن شاء الله تعالى وذلك بأن تأخذ لبن الضأن وتغليه وتجعل فيه شيئاً من السكر وشيئاً من القرنفل بعد دقه وتترك سواه كائنا ما كان إلى أن يتقوى القلب ويرجع إلى حالته وذلك لا يخفى عليك والماء إذا اضطررت اليه لابأس أن تطبخه لكن أقلل من شربه ولاتبالغ فيه أما اللبن فأكثر منه وعما قريب يظهر الأثر إن شاء الله تعالى .

ومنها اما ماكنت تستعمله من البيض فاستعمله وأما الاسهال فلا تتهول منه فانه جيد والقرنفل قلل منه وكثر من اللبن وإن أمكنك أن تستعمل معجون العسل بالحبة السوداء فهو جيد للغاية ولومرة في اليوم والنفخ الذي ببطنك سببه رطوبة الامعاء مع ربح منحبس فيها واعلى ما تزال به تلك الرطوبة معجون العسل الذي ذكرناه فاستعمله ولابد وأضف إليه شيئاً من الادوية المعنوية كالتصدق كل يوم ولو برغيف وقراءة حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبعا صباحا ومثلها مساء فلا ترى بأساً إن شاء الله تعالى .

ومنها واعلم أن الدوخة التي تحصل لك سببها انعقاد البخار الذي يصعد من المعدة إلى الرأس ممزوجاً برطوبة وبرد وعجز الرأس عن تحمله لضعفه

وكثرة برده ويظهر أن زوال تلك الدوخة ربما يحصل بشرب ماء الليمون ممزوجاً بشيء من السكر وقليل من الماء بعد شرب اللبن وليكن الشرب قليلا لئلا تنتشر الرطوبة الموجودة في المعدة انتشاراً لا تقدر ذاتك عليه الرداءة كيموسها الذي هو عبارة عن الدم المستحيل عن الغذاء فاذا اعتادت الذات الليمون المذكور فلا بأس أن تزيد منه شيئًا على القدر الأول فاذا صعب عليك منأول مرة فادهن رأسك دهنآ جيداً بالزيت بشرط أن يكون من الزيتون وإن كان عتيقاً فهو أحسن لـكن تحفظ وقت الدهن وبعدهمن الريح جهدك والله هو الشافى أما الاكل فدم على الحليب وإن صعب عليك القرنفل فاتركه أسبوعا أو أسبوعين ثم عد إليه إلى أن تكمل راحتك فان اضطررت الى الاكل فكل الحريرة أو مرق الفراريج الصغار بخبر السمية و إن وجدت لحمَّا من خروف صغير فلابأس أن تتناولمنه مغرساً أومغرسين بشرط أن يكون مُنتى من الجلود والعروق متوسط السمن وبعد أن تستعمل هذا عرفنا بما يحدث لنكون على بال ورمضان ربما لا يمكنك صومه لأن الحليب للطافته ينهضم سريعا والجوع بحسدث لك منه ضرر كبير معوى وأنت تعلم أن الصوم يحرم في هذه الحالة فاياك إياك أن تصوم واللبن أكثر من شربه ولا تمل منه ولا يخفاك أن الصدقة من الأدوية التي يسرع نفعها فبادر إليها ولو رغيفاً أونصفه كل يوم لتجمع بين الدواءين الحسى والمعنوى

ومها والذى أشرت إليه من النفسخ بظهراً لى أنه نوع من الاستسقاء غير أنه خفيف فلتشرب الماء المطنى فيه الحديد بعد احمراره جيداً بالنار وادهن بطنك من خارج بشىء من القطران فان أمكن أن تشرب لبن الابل إن وجد هناك فبادر إليه فان لم تجده فبولها فانه من أنفع الاشياء لنفخ البطن ويكفيك أنه دواء نبوى كما فى صحيح البخارى وقد عملنا نحن بذلك فى حق أقوام من الاخوان فصحوا فى الحال ومنهم من أخبره الاطباء بانه

لا يمكن علاجه الا بعد تناول دواء صعب وصفه له طول سنة كاملة فوصفنا له هذا الدواء فصح بعد ثمانية أيام .

ومنها ومن الوقت الذي جاءني كتابك وأنا أردد النظر فيه الاستخرج منه حقيقة حالك وقد ظهر لى ظهورا بيناً أن حالك طيب غاية والحمد لله وما يصيبك إنما هو من كثرة الدم ورقته بميلة إلى مائية يسيرة بسبب عدم أكلك الادام الخشن كاللحم والزيت وخبز البرو من رقته يصيبك ما يصيبك من البرد الشديد عند شرب المرق وأكل الخبز والحريرة الان ما به من الماء يريد ان ينتشر في الشرايين العصبية وهذه الأمور تقاومه وترده لمحله فيحصل لك ذلك ودواؤه إن شاءالله تعالى يكون بدوام أكل اللوز والسحتر معالسكر وقليل من السمن الذي مر عليه العام أو أكثر إما وحده وإما بخبز يسير مع المداومة على شرب اللبن بالقرنفل الى أن ترجع الطبيعة لمركزها الأول مع المقابل لجميع المأكولات ونرجو الله أن يكون ذلك سريعاً بحول الله .

ومنها والذي أصابك من الوجع الشديدالذي أقعدك في الفراش ومنعك من الحركة النخ خفيف للغاية وسببه برودة مختفية في المعدة جاءتها من صلابة السكلي ووصلت الى الاعصاب فوقف دمها عن سيره الطبيعي وبسبب ذلك قل العرق ودواء ذلك يحصل إن شاء الله تعالى باستعمال ماء الرند الحار والجلوس فيه في الحمام المرة بعد الاخرى مع شرب ماء البيبنوج حاراً عند النوم وإدخال شيء من بخاره إلى الحلق وبعد حصول الراحة خذ أوقية من المصطكي واجعل عليها مقدار خمس حفنات من الماء واجعلها على نار القحم الخالصة من الدخان واتركها حتى ينقضي نصف الماء ثم صفه واجعل عليه عسلا منزوع الرغوة واجعله على النار واتركه حتى يصير في قوام الاشربة ثم أنزله واجعله في زجاجة وخذ عند كل صباح قدر أوقية واجعل عليها قدر حفنة من الماء واشرب ذلك على الريق فانك تعافي من جميع أمراض المعدة بحول من الماء واشرب ذلك على الريق فانك تعافي من جميع أمراض المعدة بحول

ومنها والمصابة بالحمى كلفها أن تخضب أطرافها اليدين والرجلين والرأس بالحناء الممزوجة بشيء من الزعفران مع شرب شيء من الليمون الممزوج بماء الورد وقليل من السكر ولتتبخر صباحاً ومساء بشمع العسل حتى يصل ريحه إلى جوفها فانها تعافى إن شاء الله تعالى فان بقيت بها فعرفنا ولابدلنصف لها دواء آخر حتى يحصل الشفاء بحول الله تعالى

قُلت ومن عجيب شأنه في المداواة أنه كما ترى لايصف في أدويته عشبا غريباً نادر الوجودكم تجده في أدوية القانون وكامل الصناعة وشرحالاسباب والعلامات والتذكرة وغيرها بل لايصف إلا ماهو متيسر متناول يسهل الحصول عليه المريض أينما كان وكان يرى سلوك هذه الطريق في المعالجة من الواجب المتمين على أطباء الوقت ويستقبح الاتكال على الأدوية المركبة المجلوبة من بلاد الفرنج لأنه بأنقطاعها ينقطع العلاج والمداواة لعجز الطبيب عن معرفة غيره ولذلك لما توجه إلى القاهرة لحضور مؤتمر الخلافة ذهب لمدرسة الطِّ الكبرى الموجودة بالقصر العيني لظنه أنه يدرس بها الطبعلىالطريقة الجامعة بين القديم والجديد وأنه يوجد بالمدرسة بستان فيهالنباتات والاعشاب وأن المدرس يعرف الطابة بكل نبات وخاصيته ومنافعه حسبا فهم من كلام الشريف العلمي صاحب ضياء النبراس فلمادخل إليها لم يجدشيئا من ذلك ووجدهم يدرسون على الطريقة الفرنجية والمدرسون أغلبهم افرنج لايدرسون باللغة العربية فاستنكر ذلك لأنهلايفيد فى معرفة الطبائع والأدواء وأسباب الأمراض ولا مايخصكل طبيعة من العلاج وانما هي أمور ظاهرة غيرمحققة ولامحررة ولذلك يقل النفع والعلاج بمداواة غالب أطباء الفرنج أضف إلى ذلك أنهم لايعتمدون الاعلى المركبات والموادالكيماوية المجلوبةمن الخارج ولايعتمدون على نباتات البـلاد ومعادنها ومنتوجاتها فلو فقدت تلك المجلوبات أوكان الطبيب بأرض لاتوجد فيها لعدم النفع به ولكان هو كآحاد النــاس إلا في الشيء التافه الذي لابذكر

فص___ل

وأما الانساب فكان إليه المرجع فيها بتلك الاقطار حتى كان يخبر أناساً بنسبهم وكونهم من أهل البيت من غير أن يكون عندهم علم بذلك

وكانت له المشاركة القوية في غير هــذه العلوم بلكان لفرط ذكائه وقوة جنانه ومرعة إدراكه لايكاد يتوجه إلى فن من الفنون الاويطلع على حقيقته وقد طلب من الفقيه السيد احمدبو زيد الانجرى وهو من تلامذَّته في الطريق أن يأخذ عنه علم الفلك فاعتذر الرجل وامتنع أدبا مع الشيخ فقــال لابد أن نسلك سنةالله المتبعة في التعليم وذكر له أن جده العارف الكبيرسيدي احمد ابن عبد المؤمن أخذ هذا العلم على كـبر عن تلميذه في الطريق الفقيه مفرج فلما لم يجد بدآ من إجابة طلبه عين له الـكتاب وضرب الميعــاد للرجوع إلى ڤراءته فلما حضر وشرع في القراءة مع الشيخ وافتتح الـكلام في الموضوع فاجأه الشيخ بمسائل وقواعد غريبة في الفن فطوى الفقيه الكتاب وقبل يد الشيخ وقال له والله ياسيدى إنك الأعلم منى بهذا الفن ودخلت اليــه يوما يطوالع الملوك وفيها أسماء بعض زعماء مصر وبجانبها أرقام فأول مانظر فيها قال لى أن الشيخ محمودا الفلكي يقول في حق سعد زغلول إنهسيموت في هذا العام حتما فلم تمض إلا شهران أو ثلاثة حتى ورد الخبر بوفاته ،وقضاياه في علم الجــدول والتصرف بالاوفاق وسر الحرف كثيرة أضربنا عنها صفحا وقــد ذكرنا جملة منها في الأصل

وأما دروسه فكانت روضة من رياض الجنة آية فى الابهة والرونق و الجمال فما شئت من إملاء وحفظ وترتيل وفصاحة وسرعة إلقاء لايسكت لحظة ولا يفكر فيما يقول كائه يقرأ فاتحة الكتاب ولا ينطق إلا باللغة العربية الفصحى لاينطق بكلمة واحدة عامية أصلاسواء فى ذلك درس الفقه والحديث والتفسير والنحو والمنطق إلا أن درس الحديث والتفسير يمتاز عن غييره

بتؤدة وأبهة وهيبة زائدة مع صيفة جميسلة ونفمة مطربة يتمنى المرء لو دام درسه اليوم بأجمعه كان يورد الحديث من الصحيح باسناده ثم يتكلم على تراجم رجاله وأحوالهم ومقالاتهم إن كانوا من أهل الزهد والورع ومواليـــدهم ووفياتهم مم ينتقل إلى متن الحديث فيذكر طرقه ومخرجيه وألفاظه ثم يعرب ألفاظه المشكل إعرابها ويتكلم على غريبه ومعناه والاحكام المأخوذة منه وفقــه كل مذهب في المسألة ودليل كل قول ومابرد عليــه من الاعتراضات والاجوبة ويطبق نص مختصر خليل على الحديث إن كان موافقاله ثم يختم باستخراج الفوائد والمسائل واذا كان في معنى الحــديث أحاديث أخرى في الباب أملى جميعها مخرجة معزوة ولوكانت مائة حــديث فاذا قرأ حديث سبعة يظلهم الله في ظله أملي كل الاحاديث الواردة في الخصال الموجبة لظل الله يوم لاظل إلا ظله راذا قرأ حديثا فيه من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه أملى كل الأحاديث الواردة في غفران ماتقدم من الذنوب وإذا قرأ حــديثا فيمن يمــوت شــهيداً أملي كل الاحاديث الواردة بذلك وهكذا لايكاد يخلو درس من الاملاء مع فصاحة وطلاوة ونور وحلاوة أما في مجلس الفقه فكان يذكر النصوص الكثيرة بألفاظها فيقبل المقبول ويرد المردود ويزيف ويرجح مع ايضاح المعنى بدون تكرار ولا إعادة كلمــة ولا توقف ولا سكُّوتَ لحظة واحــدة وربما صــاح فى درس الفقه والنحو أثنـــاءالتقرير بقوله رد بالك إذا رأى من السارد نوماً أو غفلة وربما صفق بيديه أثناء التقرير أى وضع يده على الأخرى شبه المصفق فيسمع لها صوت خفيف لما كان يعتريه من شبه غيبة عن حسه لفرط نشوة وطرب بلذة العلم وتقريره ولم يكن يطالع إلاقــدراً قليلاً مع أنه كان أواخر تدريسه ، يجمع ثلاثة دروس في مجلس وآحد بمكث فيه ثلاث ساعات تقريباً فكان يخرج للدرس قبل الظهربساعة ونصف فيشرع فيقراءة الخلاصة بشرحي المكودي وابن هشام ثم بعد مدة يشرع في قراءة المختصر فاذا أذن الظهو

وفات قليلا قام وصعد الكرسى وشرع فى قراءةالصحيح لآن درس الخلاصة والمختصر كان لا يحضره إلا الطلبة ونجباء العوام ممن له رغبة فى الفقه وأما الصحيح فكان بعد الظهر تجتمع الخلائق من سائر الطبقات لسماعه فكان يصعد على الكرسى وقتئذ ليسمع الناس وكان قبل ذلك يخرج صباحاً لتدريس لامية الافعال والمنطق معا فى درس واحد كل ذلك من حفظه وبالقائه السريع بحيث ما يلقيه فى ساعة يلقيه غيره فى عدة ساعات ويعمر به عدة مجالس .

قال فى النسمات كانت دروسه رضى الله عنه عجيبة وقراءته قراءة بحث وتحقيق وتحرير وتدقيق وتلخيص للمسائل وتحريرها مع ما ينضم إلى ذلك من الايرادات والاجوبة هذا معماكان عليه رضى الله عنه من عذوبة المنطق وحلاوته وبلاغة اللسان وفصاحته وحدن التأدية والتبليغ ورونق الترتيب والافهام البليغ حتى إن البليد مر الطلبة كان يحوز من الفهم والادراك حظه أماحفظه وإملاؤه فكان لا يجارى فيهما ولا يبارى ويكنى برهاناً على ذلك ما كان يجمعه من الدروس المختلفة منصلا بعضها ببعض فى مجلس واحد فكان يقرأ أولا ألفية ابن مالك بشرح المكودى ولا يقتصر عليه بل يأتى فكله بالكثير من المسائل النحوية ثم يتبعه بقراءة مختصر خليل متصلابه وهو فى مجلسه كان يقرأه بشرح الحرشى ولا يقتصر عليه بل يأتى بكلام الزرقاني عليه للشيخ بناني والرهوني وينوه بحاشيته كثيرا وربما أنشد أحياناً وحواشيه للشيخ بناني والرهوني وينوه بحاشيته كثيرا وربما أنشد أحياناً عقب نقله وقوله ب

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

م بمجرد الفراغ منه يتبعه بقراءة صحيح البخارى لكن كان يقوم من مجلسه الأول فيصعد على الكرسى تعظيماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآلهوسلم وكان يحضر درسه في الصحيح الجم الغفير من العلماء والطلبة وأعيان البلد وغيرهم حتى إن أعلا صوته لا يبلغ منتهى مجلسه لكثرة الحاضرين وكانت قراءة مدهشة للعقول آخذة بمجامع القلوب لما كان عليه رضى الله

عنه من عجيب الحفظ وغريب الاملاء والتحقيق وحسن الترتيب وبديع التنسيق وكان يملى فى الزمن القليل من الأحاديث مالا يملى غيره فى الزمن الكثير وكان عند قراءته للحديث يكسى حلة البهاء ويعلوه نور وبهجة وسناء حتى يفيض على قلوب الحاضرين ولا يمل أحد من مجلس قراءته ومذاكرته وإن طال ماطال وبالجملة فمن حضر مجلس قراءته لم يقنع بقراءة غيره وان بلغ فى الملوم والتحقيق ماعسى أن يبلغ لان علم كان علم فتح ووهب لاعلم كسب وقراءته كانت قراءة مجتهد لا قراءة مقلد اه.

وقال صاحب النبذة وأما غيرته في الدين فهو لا شك الفرد الأول بين المسلمين ممن لا يبارى في ميدانه ولا يجارى قل فيه حقا هو ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يلتفت فيه لذى سطوة لا سيا في مجلس وعظه ودروسه إلى أن قال واذا أنعم بدرس ازدحم الناس على محلات القرب منه وغصت المحافل بهم وفتحمرة صحيح البخارى فشاهدنا كغيرنا من أماليه ما يبهرالعامة والخاصة وتجد الاعناق حال القراءة مشرئبة لساع نغيات مثانيه ومثالثه بما لو قدرت على كتب ما يمليه لكان شرحا حافلا مع كون إلقائه من غير تلعثم ولا نحنحة مما تستلذه الاسماع وتصغى اليه القلوب ويغص المسجد بالحاضرين لا سيما من أهل الفضل والدين لما يسمعونه كل يوم من رقائق المواعظوحقائق العلوم والعرفان ممايزيد الكل تحقيقا بمكانة الرجل في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اه

فصــــــل

وكان الشيخ رضى الله عنه عاملا بالسنة وما صح لديه من الدليل من غير نظر إلى مخالفة المذهب ولا ماجرى عليه العمل امتثالا لامر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم كما هو واجب على كل مسلم موحد لاسيما فى النصف الاخير من عمره ، فانه كان يعلق بذلك ويدعو إليه ، وأمر بكثير من السنن

المهجورة فى مذهب مالك كالتعوذ والبسملة والجهر بالتأمين ورفع اليدين فى الانتقال ووضع الممين منهما على الشمال والسلام من الصلاة مرتين مع زيادة ورحمة الله والآذان بين يدى الخطيب يوم الجمعة وغير ذلك وكان يعطر مجالسه الخاصة بذكر الاجتهاد والعمل بالسنة ، ويبدى تعجبه من المقلدة الجامدين الجهلة المعرضين عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويناظر فى ذلك ويبالغ فى تقريره ، لاسيما مع كبار الفقهاء وشيوخ المقلدة وقد فاظر مرةبفاس فقيه المغرب سيدى المهدى الوزانى صاحب المعيار والحواشى المنداولة وألزمه الحجة ، لكنه عاند وأصر على الباطل وإنكار الاجتهاد. وتحريم العمل بالكتاب والسنة ، ووقعتله مناظرة بالمدينة المنورة مع حمدان الونيسي الجزائري في محفل عظيم من العلماء فيهم شيخنا الامام سيدى محمد ابن جعفر الكتانى والشييخ توفيق الايوبى الشامى والشييخ أمين سويبه الدمشتى أيضا والشيخ عمر حمدان المحرسى والسيد أبوالقاسم الدباغ ومايقرب من عشرين عالما كانوا مجتمعين بضريح سيدنا حمزة رضى الله عنه وبعضهم يسردتفسيرابن عجيبة ، فمرت مسألة أنجرالبحث فيهابينهم إلى مخالفة المذهب فتكلم الونيسي بكلام أراد به التنكيت على سيدى أبي القاسم الدباغ لأنه كان من المعلنين بنبذ التقليد والعمل بالسنة وظن الونيسي أنه منفرد بذلك من بين الحاضرين ، فانبرى له الشيخ رضي الله عنــه و اظره مناظرة بهرت عقول الحاضرين، ومكثوا يتحدثون بها طول عمرهم كلما جرى ذكرالشيخ رضى الله عنه حتى ذكره كل من السيد أبى القاسم الدباغ والشيخ عمر حمدانً على الانفراد في أوقات مختلفة ، قالوا. مأكنا نمثلُ الونيسي أمام الشيخ إلاكهر صغير بين يدى أسد عظيم ، فلما ألزمه الحجة ولم يجد من يد الشيخ مفرا قال في حمية وغضب للتقليد والشيطان : ماقاله الله ورسوله أضعه تحت قدمي وما قاله خليل أجعله فوق رأسي ، فقال له الشيخ الآن سقط الكلام معك ولو أخبرتنا بهذا من أول وهلة ما ناظرناك لانناكنانظن أنك تناظر عن جهل

بالمسألة وخطأ فىالنظر والاعتقاد وحيث وصلت إلى حد الكفرو الردة والعناد فلاكلام لنا مع من هذا حاله

وحضر الشيخ مرة في وليمة ومعه بعض الفقراء وكانوا صائمين تطوعا فلما حضر الطعام أمرهم بالافطار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم «الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر» فأقام جهلة المقلدة لذلك ضجيجا على عادتهم عند رؤية العمل بالسنة وأكثروا القيل والقال انتصارا للباطل الذي يسمونه المذهب فاجتمع بهم الشيخ وألزمهم الحجة وأبان جهلهم عذهبهم على المذهب لوجود قول فيه أو قاعدة تقتضى ذلك لعلمه بأن أهل الباطل لا يرضحون إلالباطلهم ولا يدينون إلابشركائهم نعوذ بالله من الخذلان وكان يأمرني إذا كتبت في مسائل من السنة أن أنصرها بقول المقلدة حتى يمكن فشرها والعمل بها لا بالدليل من الكتاب والسنة اللذين لا يقيم لهما المقلدة وزيا ويعتقدون أن العمل بهما ضلال وبدعة نعوذ بالله من الضلال

وسافر الشيخ مرة من طنجة إلى غهارة مسيرة ثلاثة أيام ، ولما قرب من بلده وكان يوم جمعة مر على قرية فدخلها ليحضر الجمعة ، فلما رآه الخطيب دهش وتأخر واختنى فقدم أهل القرية الشيخ للخطبة والصلاة نخطب ارتجالا وصلى بهم ثم توجه إلى بلده فشاع الخبر بين فقهاء غهارة فانقسموا قسمين قسم قال لانعترض على الشيخ لانه أعلم منا بالمذهب وأعرف بالسنة وقسم حكم ببطلان الصلاة ، فلما بالمعه الخبر كتب يستقدمهم اليه ، فلما حضروا ناظرهم في المسألة وعرفهم مالم يكن عندهم به علم من مذهبهم ، فاعترفوا إلا جاهلا دأبه العناد والجدال ممن طرد من القضاء وسجن على الزور وأكل أمو ال الناس بالباطل فانه أصر على العناد لفرط جهله إلى أن توجه إلى فاس ووقف على وسالة مؤلفة في المسألة لشيخ الجاعة بالمغرب أبي العباس ابن الخياط ، فعند فلك انقبع تحت جهله

ومعهذا فان الشيخ رضي الله عنه كان يحب موافقة الفقهاء فيما يراه ويعمل به ولو خارج مذهب مالك كراهة منه للتفرد والاستقلال بالرأى لالتوقف في الدليل أو شبهة فى العمل به بل فرارا من دعوى الاجتهاد والظهور بما فيه فخر وتبجح وأنانية ، فكان يستتر فى جميع ما يختاره باتباع مذهب من المذاهب أو قول فقيه من الفقهاء حتى لا يجيبُ سائله أو يحتج على معارضه بأن هذا رأىي ومذهبي بسل يقول اعتمدنا في هذه المسألة عملي مذهب الشافعي أو ابن حنبل أو أبى حنيفة أو على قول في المذهب حكاه فلان عن فلان أو نص عليه فلان في كتاب كذا ليقطع ألسنة الجامدين في التقليد الجاحدين لفضل الله على خلقه ، ولذلك درج أكثر الناس بلكلهم حتى أقرب الناس إليـــه وأشدهم ملازمة له يعتقد فيه التقليد والتمذهب بمذهب مالك وصاروا يحتجون علينا إذا دعو الهم إلى العمل بالسنة ونبذ الاقوال المخالفة لها من مذهبهم بأن الشيخ الوالد لم يكن على ذلك وأنه كان طول عمره مقلدا 'ناصرا للمـــذُهب وحاشاه من ذلك ومعاذ الله أن يكون كذلك ونحن والحمد للهما اهتدينا إلى العمل بالسنة إلا بأمره وتعليمه ولا نبذنا التقليد وراءنا ظهريا إلا باشارته وإرشاده ، ولا هدانا الله وانقذنا من بدءة النقليد إلا باتباعه والاقتداء به والاهتداء بهديه ، ولولاه لـكنا من جملة المبتدعة المقلدين ، والحمــد لله على فضل الله ومنته ، وإعما أوقعهم في اعتقادهم ما ذكرناه مع كونه كان في بداية أمره وعنفوان شبابه وأيام قوته فى تدريس المختصر ينتصر لمذهب مالك ، والراجح المشهور منه على غيره ، حتى أنه لما بلغ إلى موضع سدل اليدين فى الصلاة نصره غاية وايده اتباعا لما عند الشروح لكنهلما اتسع في العلم وتبحر فى السنة واطلع على الحقيقة رجع عن ذلك وأمر أصحابه بوضع النمين على الشمال وأمرنا بالتأليف فيه والانتصارله وكان هو ينتصر له ف مجالسه حتى صار بعض من كان يقرأ عليه من الطلبة قديما يعترض عليه بنفس كلامه السابق فی درس المختصر وانتصاره للسدل وما دری الجاهل أن ذلك هو أكبر دليل

على فضل الشيخ رضى الله عنه وكماله وبلوغه رتبة الاجتهاد لآنه لايتغير رأيه وتختلف أقواله إلا المجتهد الباحث عن الحق العامل بالدليل كما يوجد عن أعمة المذهب الأقوال المتعددة فى المسألة الواحدة ولا يوجد لمقلد فى مسألة قولان أبدا ولو بلغ فى العلم أعلى ما بلغ مالم يصل رتبة الاجتهاد لآن النظر فى الدليل هو الذى يوجب التغير وتبدل الرأى كلا استبان له دليل أقوى مما عنده تبعه بخلاف المقلد فانه يعمل بقول إمامه ولا يعرف حق ذلك من باطله بل هو لاعتقاده حقيته يلتزم العمل به ولا يخرج عنه والشيخ رضى الله عنه لم يكن كذلك فلذلك كانت أقواله تختلف وآراؤه تتبدل.

وكان عبا لسائر المذاهب معظاها مصوبا لجميع الأعمة رضى الله عنهم من جهة اجتهادهم وجلالة منصبهم وعظيم مكانتهم في العلم والدين فكان يمدح مذهب الشافعي للعمل بالحديث ويمدح كتب أهله لاعتنائهم بالدليل ويمدح مذهب مالك لكونه مذهب عالم أهل المدينة إلا أنه يذم صنيع المتأخرين من المالكية في الاعراض عن الدليل وكثرة الاختصار المجحف وعدم بسط القول والتعليل، ويشهد للحنفية بالبراعة في الفقه وكثرة الفروع ودقة النظر في استخراجها ويقول هم الفقهاء على الحقيقة إلا أنه يشهد عليهم بالتعصب المفرط الذي اختصوا به من بين أهل المذاهب ويتعجب من إفراطهم فيه غاية ويحكى عنهم نوادر في ذلك ويمدح مذهب أحمد بن حنبل للوقوف على الوارد غالبا ، ويحب مذهب الزيدية ويمترف بفضلهم وبراعتهم في الفقه واستنباط المسائل وذكر الدليل في كتبهم وكان يحبها ويرغب في الحصول عليها ويسأل عنها بتلهف . لاسما البحر للامام المهدى والسيل الجرار ونحوها عليها ويسأل عنها بتلهف . لاسما البحر للامام المهدى والسيل الجرار ونحوها ومؤلفات غيره

وكان يطالع كـتب سائر المذاهب كبيرها وصغيرها لاسيما الآم للشافعي وشروح المنهاج للرملي وابن حجر والخطيب والمحلي

وفتح القدير لابن الهمام وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ، ويقول إنها عنزلة حاشية الرهوني في مذهب مالك بحثا وتحريرا وجمعا ، والفناوي العالمكرية ويحبهاكشيرا لجمعها للاقوال، أما فتح القدير لابن الهمام فكان يبدى عجبه من صنيـ ع الشارح واتقانه للدليــل وايراده طرق الحديث مع الكلام عليه وكان يتمنى أن لو أطال الله عمره فأكمله على ذلك المنهاج لأنه كان لايرى لتـــكملته قيمة أمام أصله ، وكان يعتني من كــنب الحنابلة بكشف القناع قبل أن يطبع المغنى والفروع لابن مفلح ، فلما طبعا كان مغرما بهما على أنه إذا دعته الحاجة الى تحرير مسألة لا يدع في مكتبته كـتابا في مذهب من المذاهب إلا ويراجعه ويعلم ما يقوله صاحبه في المسألة إلاكتب الشيعة الامامية فاله لم يكن عكتبته منها كتاب أصلا ولتبحره في المداهب ومعرفته بجميعها كان لايرى بالانتقال اليها بأسا لمن أراد ذلك وكنت في بداية طلبي اخترت الانتقال الى مذهب الشافعي لما رأيت كـتبهم تتعرض لدليـل كل مسألة بخلاف كــنب المـالــكية فانها خالية عن الدليل ، ونشأت من صغرى لاأقبل قولا إلابعد معرفة دليله فحسن لى الانتقالإليه وصاريحثني علىالتضلع منه ويرشدني إلى الكتب النفيسة فيه ويعين لي ما أقدم قراءته وما أؤخره منها، ولما رحل إخواني إلى القاهرة لطلب العلم اختار بعضهم الانتقال إلى مذهب أحمد بن حنبل فكتب إليه يحسن له ذلك أيضا ويحثه على إتقانه مع معرفة مذهب مالك الذي هو مذهب البلاد والمشاركة في غيره

ولما توجه إلى الشام لريارة شيخنا سيدى محمد بن جعفر الكتانى رخمه الله وكنت معه. قال له يوما ان مولاى أحمد ترك مذهب مالك وانتقل الى مذهب الشافعى كأنه يريد من الشيخ أن يمنعنى من ذلك ، فقال له هو خرفى نفسه يختار من المذاهب مايشاء فسكت ، وكان عند شيخنا الكتانى رحمه الله نوع من العصبية وميل الى المذهب بل والجنسية مع أنه كان يعمل بالسنة في كثير من المسائل لكن بشرط موافقة المهذهب ولو في بعض الاحوال

وبشرط أن تكون المسألة في الآداب والرقائق لافي الحلال والحرام كإشافهنا به مرارا وذكره في كتابه سلوك السبيل الواضح في أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح مع أن الواجب سلوكه تقديم قول الله تعالى ورسوله في ماكل ورد عنهما لافرق بين سنن وآداب ولابين حلال وحرام وهو في هذه الطريقة أيضا مقلد لغيره فان المواق نقل في سنن المهتدين عن بعض شيوخه أنه كان يقول نحن صوفيون محدون في الرقائق والآداب فقهاء في الأحكام والحلال والحرام أو نحو هذه العبارة فان عهدى بها قديم ، وذلك من الغلط البين والخطأ الواضح والسلام

وكان الشيخ رضى الله عنه عبا للكتب شديد الرغبة في اقتنائها و تحصيلها ولو بالأثمان العالية التى يستغرب من دفعها في مثل ما دفعت فيه ولو لم يكن ذلك الثمن متيسرا لديه ، بل كان يستدين أو يبيع شيئا من اللوازم الضرورية ليشترى ما احتاجه من الكتب ، بل قلما يعرض عليه كتاب فيوجد عنده ثمنه الااشتراه خصوصا في أو اخر عمره حيث كان لا يمسك عنده شيئا من الدنيا أصلا ومعذلك فكان لا يفوت كتابا يمكنه الحصول عليه ووقع له في الحصول على الكتب وشرائها نوادر وحكايات يطول شرحها ، وقد ذكرنا جملة منها في الأصل وكان إذا اشترى كتابا لا يكاد يضعه في خزانته حتى يستوعبه جميعه أو أهم مقاصده على الآقل وكان لا يقتنى كتب العصريين المنفر نجين المتشبهين بعلوم الفرنج ولا يقرأها وكذلك الجرائد بلكان ينهدى عن قراءتها وإضاعة بعلوم الفرنج ولا يقرأها وكذلك الجرائد بلكان ينهدى عن قراءتها وإضاعة المبتدعة والمتفر نجة فيه إلا بواسطة الجرائد فهى والمدارس الافر نجية العامل المجتدعة والمتفر نجة فيه إلا بواسطة الجرائد فهى والمدارس الافر نجية العامل الوحيد في إفساد المسلمين وحدثنى بعض أصحابه أنه سسمعه بأخرة يقول

لوكنت أكتب لالفت كتابا فى ذم الجرائد والتحقير من قراءتها تأليفاً جيداً أسميه الضرب بالحدائد لقراء الجرائد .

قلت ولعل الله يوفقني للنيابة عنه فيه كما نبت عنه في غيره والحمد لله فان الشيخ رضى الله عنه لشدة نفوره من الظهور وما فيه رائحة فخر وتبجح لم يؤلف كتاباً مع أنه لوتصدى للتأليف لكان أسهل عليه من جميع اهل عصره لكثرة حفظه وسعة اطلاعه وشدة استحضاره محيث يمكنه املاء الكراسة والكراستين في المسألة الواحدة ومتعلقاتها بدون مراجعة كتاب كما كان يملي ذلك في مجالس مذاكراته ويجيب به في مكاتبه لمن كتب إليه .

وقد قال له مرة بعض أصحابه لم لا تؤلف يا سيدى ، فقال له لم يبق شى تحتاجه الامة إلا وقد ألف فيه من قبلنما فها علينا الآن إلا أن نشتغل ونقرأ ونعمل بما كتبوه وحققوه .

وسمعته مرة يقول كنت ألفت كتابًا في العبادة في مجلد ثم أحرقته .

وذكر العبادى فيا جمعه من ترجمة الشيخ رضى الله عنه قال تحلى مجلسه الشريف يومابذكرتا كيف نجله مولانا أحمد فقلت لهيا سيدى إنه ينوب عنكم في التأليف، فقال وهو كذلك إن شاء الله فقد سئل القطب أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه عن عدم كتابته ، فقال كتبى أصحابى ، ثم قال رضى الله عنه ، وقد كنت مولعاً بالكتابة قبل هذا ، ثم رأيت الوقت لا يساعد فتركت ذلك وأحرقت بعضها ، وكنت ألفت كتاباً في السيرة النبوية أيام الشبيبة حينا كنت أدرس الهمزية مع الطلبة بغارة وأظنه لا يزال عند بعضهم إلا أن فيه أعاديث موضوعة كنت قلدت فيها بعض المتأخرين كالصبان ، ثم بعد ذلك اتضح لى أنها موضوعة . قال العبادى وله خطب السنة كلها ورسائل في الطريق نحن على غاية الجد في جعها ، وله رسالة النور اللاع في تكفير في الطريق نحن على غاية الجدد في جعها ، وله رسالة النور اللاع في تكفير

الذنوب والقبايح ألفها بسبب خطبة خطبها ذكر فيها طلاة التسبيح وأخكامها وفصلها فطلب منسه بعض أعيان شرفاء وزلن كتابة ما سمعه منه فكتب له تلك الرسالة في صلاة التسبيح وضم إليها غيرها من المكفرات ه.

قلت وقد عثرت على بعض المكاتب التي أجاب فيهما أصحابها عن أسئلة قدموها له أذكرها لتتميم الفائدة .

منها وأمامسألة الجهة التىذكرها فىالغنية شيخ العارفين وقطبالكاملين من ليس له في مقامه ثاني سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأمدنا بمدده الرباني فليعلم سيدنا أني قبل أن أراجع الغنية المذكورة صرت أبحث عما يمكن أن يكون جوابًا عن الشيخ رضي الله عنـــه فراجعت ما أمكنني الوقوف عليــه من كتب موضوع المسألة كاليواقيت للعـــارف الشعراني والفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي والمحاسن الغالية لليافعي المطبوعة بهامش كرامات الأولياء للنبهانى فوجدتهم ثلاثتهم برأوا الشيخ من اعتقاد الجهة وصرحوا برجوءه أو دس ذلك عليه في كتاب الغنية وذلك في المبحث السابع من اليوافيت ومسائل الكلام من الفتاوي الحديثية وآخر المحاسن الغالية ، ولما رأيت ذلك في هذه الكتب الثلاثة كفاني عن تطلب غيرها حيث لم يبق داع للجواب عنه برجوعه عن ذلك المعتقد أو دسه عليــه ثم راجعت الغنية فوجدت عبارته رضى الله عنه لا تقتضى ما نسبوه إليــــــ غاية ما في المقدام أنه ينكر تأويل الآيات والأحاديث التي تقتضي بظاهرها إثبات العلو والفوق والجهة من غير أن يعتقد معناها الذى تقتضيه اللغـة فاعتقاده رضى الله عنمه فيهاأنها صفات أثبتها الله تعمالي لنفسه وأوجب على عباده أن يصفوه بها ويكلوا بمد ذلك علم حقيقتها اليـ ه سبحانه من غير أن يؤول الفوق بالعاووالعزة والقهركما هو رأى الاشعرية ولا بالغلبة والاستيلاء كما هو رأيهم أيضاً مع المعتزلة بل ينبغي أن يترك تفسير ذلك والخوض فيه برأساً مع تنزيه الله تعالى عن ظاهر معناها ، وهذا الذي قاله رضي الله عنه هو

معتقد الصحابة والسلف الصالح قاطبــة . وفى مقدمتهم الائمة الأربعة وهذا أيضاً معتقد أكابر الاولياء الذين جعل الله الشيخ في مقدمة صفوفهم فلم يأت الشيخ فى المقـــام بما يخدش فى عقيدته ولا بما يشين عرض ديانته وإنما خالف المتأخرين من الاشاعرة والما تريدية في عدم التأويل تبعاً للامام أحمد ابن حنبل فانه كان شديد الانكار على المؤولين ويأمر بامرار ما وردكا ورد من غيراعتقاد معنى يخالف الربوبية وعظمتها والمؤولونكامام الحرميز والغزالي والباقلانى رضىالله عنهملا ينكرون هذا ، بل يقولون انه الافضل والاولى . وإبما أولوا خوفاً على العامة أن يفهموا تلك الآيات والأحاديث على ظاهرها فيقعوا في ورطة النجسيم ، وذلك يؤديهم إلى أن يكون الخالق كالمخلوق وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان الله كان ولا فوق ولا جهــة ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا زال سبحانه كها كان فكيف يكون في جهــة من الجهات وهو الذى خلقها وكيف يحتاج إليها وهو الذى أوجدها فهوسبحانه قبلأن يخلقها وبعد أن خلقها هوالله الاحد الصمد موصوف مجميع الكالات منزه عن سمة الحادثات لا يشك في هـذا مسلم لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ولم يأت الشيخ رضى الله عنــه بما يخالف هذا وحاشاه من ذلك ، وكيف وهو الرجل الذى لم تنتج الأرحام مثله ولم يسمح الزمان بمشابه له فى. ولاينه ومعرفته بعده رضى الله عنهوعن جميع أولياء هذا الامةفتأمل هذاوأمعن فيه نظرك فان كفاك و إلا فعرفنا لنتذاكر في المسألة ان شاء الله تعالى .

قلت ومن جواب الشيخ رضى الله عنه يظهر لك موافقته للساف ومخالفته للمخلف الذين تجهموا فضلوا وأضلوا من قلدهم واعتقد سنيتهم حتى صار يستشكل كلام كبار أهل الله الموافق لما نطق به القرءان وتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه الصحابة والتابعون والسلف الصالح من الايمان بالصفات وامرارها كهاجاءت من غير تكذيب ولا تعطيل باسم التأويل إذ لو اراد الله سبحانه وتعالى تأويله لما أنزله بتلك الالفاظ الموهمة للتشبيه

والجهة والتجسيم والموقعة في الضلال والكفر والبدعة على زعم المتأخرين والله تعالى أنزلالقرهان هدى للناس وشفاء لما في الصدورمن الريبة والشكوك والوسواس والأوهام لاضلالا وحيرة وشكا وريبة محتاجا الى إصلاح زيد وبيان عمرو وتعقب بكر وشرح خالد فقبح الله العقول التي تتقدم بين يدى الله ورسوله وترى أنها أولى بالهداية والبيان و نصيحة العبادمن الله ورسوله.

ومنها فاما مسائل الحيض التي أفادها الشبلي لابيءمران فلم أر من تعرض لحسا فقد راجعت الديباج لابن فرحون والطبقات للشعراني فلم أر ذكراً لها فيهما على أن اجتماع أى عمران بالشبلي فيه ما فيه وذلك أن أبا عمران ولد بعد ما توفى الشبلي بنحو ثلاثين سنة فكيف يجتمع وهو لم يوجد بعد اللهم إلا أن يكون أبو عمران المذكور في القضية غير أبي عمران الفاسي وكينما كان الحال فلا غرابة في إفادة الشــبلي أبا عمران بتلك المسائل ولوكان أبو عمران من كان فى العـــاوم الرسمية لأن اهل الــكشف والعيان يعلمون من الاشياء ما لا يعامه منها أهل الرســوم والأفــكار لنظر أهل الـكشف اللاشياء بعين الحقيقة التي هي عليها في نفس الأمر حتى أنهم يدركون بنور كشفهم حقائق المحدودات على ما هي عليه بخلاف أهل الرسوم والافكار فانهم لا يدركونالا رسومها وخواصها وحدودهم كلها رسوم فى الحقيقة وعند التأمل حسما أفصح بذلك رئيس أهل الأفكار المعلم الثالث ابن سينا بعد ما أفنى عمره في تطلب حقائق الاشياء و إدراك ما هي عليه في نفسها وارتكب لادراك ذلك كل طريق يمكن للبشر ارتكابه فلم يحصل من ذلك على طائل بل في آخر عمره اعترف بأن العقل والفكر لهما حد لا يتعديانه إلا بقوة مفاضة عليهما من الخارج، وتطلبه لادراك الحق في الأشياء بنفسه هو الذي تركه متذبذباً في دينه فأنه كان يريد أن يعرف الحق ويصل الى ماينبغي من معرفته بعقله وفكره من غير طريق الأنبياء وسيدهم وامامهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنا منه أن العقل يغى بذلك وخصوٰصاً اذا كاملاً في إدرا كه كعقله فخاب ظنه وخرج من الدنيا كم دخل اليها. من غير فائدةتنفمه في معاده كما وقعذلك الهيره من الفلاسفةالمتقدمين عليهوالمتأخرين عنه وهذه القوة التي أشآر اليها هي القوة المفاضة على الانبياء عايهم الصلاة والسلام وعلى اتباعهم الاولياء لكن من غير مساواة بينهم فيها اذ ألاولياء لا يشاركون الانبياء في شيء من أحوالهم أصلا ولاجلٍ هذه القوة المفاصة عليهم كانت علومهم كلها ضرورية لانظرفيها ولاتفكرأصلا بخلافغيرهم فاذ علومهم كلها نظرية مجلوبة بمقــدمات وأفـكار لا تخلو فى الغالب عن أغلاط وأوهام لقصور الافكار عن الاحاطة بذاتيات الاشياء ولذلك يقع بين أهلها التنازع والتخاصم فترى هذآ يقول الحق معه وهذا يقول الحق معه والمسألة واحدة بخلاف علوم الاولياء فانهالاشىء فيهامن ذلك لاستيلاءأر واحهم المقدسة على الانوار التيكان منها بروز الاشياء فتعطيهم الاشسياء بسبب ذلك علما من نفسها بما هي عليه في الواقع فأنى يتطرق لهم الغاط والحالة هذه ولهذا قال. الاصوليون لا يقع التخالف بين قاطعين أبدآ ولماذكرناه من استيلاءأرواحهم على الانوار التي كان منها بروز الاشـياءكانت الاشياء في نظرهم كالشيء الواحد لايحاد منشأها فعندهم الماضي والحال والمستقبل نقطة واحدة مايعرفمِنأولهايعرف من آخِرِها ولا يغيبعنهم منأمرهاشيءحتى أنالواحد منهم لو أرَّاد أن يخبر بما هو آت على ما هو عليه وقت ظهوره لفعل ويخرج كما أُخبر من غير زيادة ولا نقصان مع أنه لم يوجد بعدوما ذلك إلا أنه ينظرُ بعين الروح المحيطة بالزمان ومافيه بدأ ونهاية ولولا تحجير الشارع عليهم لامكن أن يخبر الواحد منهم بما كان وبما يكون وبتعيين أهل الجنة وأهل النار وأهل السعادة وأهل الشقاء وغير ذلك من شئون الا كوان ولكن لم. تتعلق مصلحة العالم بذلك فأمروا بكتم ما يعلمون من شئونه الا من أذن له في افشاء شيء من ذلك وان وقع وافشي أحدهم شيئا بما علموا عوقب بعقاب لو عوقب بهجبل لذاب وتفتت اذا علمت هذا تبين لك يقيناً أنه يمكن لَلْشَبْلَى وَمِنْ كَانْعَلَى شَاكَلَتُهُ أَنْ يُفِيدُ أَبَاعُمِرَانُ وَغَيْرُهُ بِأَلْفُ مُسَأَلَةٌ مِنْ الحَيضَ مثلا من غير أن تخطر على باله ولا مفهوم للحيض بل سائر أبواب الشريعة وفروعها له أن يفيده فيها بها لا يخطر له على بال ولا يهجس له بخاطر لمدم المناسبة بين فكره و بنها وكفي وعلوم هؤلاء علوم الهام و تحديث و إلقاء في الروع من غير فكر و دراسة و نظر مع إحاطة النور النبوى بعو المهم الثلاثة المحفوظة من التلبيس بسبب ذلك النور وعلوم الفقهاء وغيرهم علوم فكر وظن وشتان ما بينهما فالب علوم الطائفة الأولى لا تردد فيها ولا وهم ولا غلط لأخذها من طريق محفوظ من ذلك وعلوم الطائفة الثانية كلها ظنون وغالبها أغلاط من طريق معها خفاء في المدركات بوجه من الوجوه ولا يمكن لظلام أن يتسلط عليها وقت سلطانها أبداً والطائفة الثانية علومها كالضوء في الظلام أن يتسلط عليها وقت سلطانها أبداً والطائفة الثانية علومها كالضوء في الظلام فانه وان كان في الاشراق ما كان لا يقع به الظهور الذي يقع بالشمس مع امكان تسلط كان في الاشراق ما كان لا يقع به الظهور الذي يقع بالشمس مع امكان تسلط الموارض التي تزيله عليه كالربح وغيره فافهم وتأمل ولولا ضيق المكتاب العوارض التي تزيله عليه كالربح وغيره فافهم وتأمل ولولا ضيق المكتاب الموارة الذي يقالم الله التوفيق الكتاب أمام وبالله التوفيق

وأما أول من أسس الطريقة وهل كان تأسيسها بوحي الخ. فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحى السماوى في جملة ما أسس من الدين المحمدى إذ هي بلا شك مقام الاحسان الذى هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه والهوسلم بعد مابينها واحدا واحدا دينا فقال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم فغاية ما تدعو اليه الطريقة وتشير اليه هو مقام الاحسان بعد تصحيح الاسلام والايمان ليحرز الداخل فيها والمدعو اليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة أيضا لمحرزها والقائم بها السعادة الابدية في الدنيا والآخرة والضامنة أيضا لحرزها كال الدين فانه كما في الحديث عبارة عن الاركان الثلاثة فمن أخل بمقام الاحسان الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه ولها ذي الطريقة وسلوك من أركانه ولها ذي الطريقة وسلوك

طريق النصوف وجوباً عينيا واستدلوا على ذلك بما هو ظاهر عقلا ونقلا ولسنا الآن بصدد بيان ذلك ، وقد بين القرآن العظيم من أحوال النصوف والطريقة ما فيه الكفاية فتكلم على المراقبة والمحاسبة والتوبة والانابة والذكر والفكر والمحبة والتوكل والرضى والتسليم والزهد والصبر والايثار والصدق والمجاهدة ومخالفة النفس وتكلم على النفس اللوامة والامارة والمطمئنة وعلى الأولياء والصالحين والصديقين والمؤيدين وغير هذا مها تكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم .

وأما قولكهل لما أسست الطريقة الخ فجوابه يعلم مهاقبله فانها إذا كانت من الدين بل هي أشرف أركانه وكانت بوحي كما قلناه وكانت الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواترا من المسارعة إلى امتثال أمر الله كانوا بالضرورة أول داخل فيها وعأمل بمقتضاها وذائق لاسرارها وثمراتها ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا والمجاهدة لانفسهم ومحبــة الله تعالى ورسوله والدار الآخرة والصبر والايشار والرضى والتسلم وغير ذلك من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله وتوصل إلى قربهما وهي المعبرعنها بالتصوف والطريقة وكما كانوا رضى الله عنهم على هــذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضاً عليها وإن كانوا دونهم فيها وكذلك كان أتباع الاتباع وهلم جرا إلى أن ظهرت البدع وتأخرت الأعمال وتنافس الناس في الدنيا وحييت النفوس بعد موتها فتأخرت بذلك أنوار القلوب ووقع ما وقع فى الدين ، وكادت الحقــائق تنقلب وكان ابتــداء ذلك في أواخر المــائة الاولى من الهجرة ولم يزل ذلك يزيد سنة بعــد أخرى إلى أن وصل إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين فانتدب عند ذلك العاماء لحفظ هذا الدين الشريف فقامت طائفة منهم بحفظ مقام الاسسلام وضبط فروعه وقواعده ، وقامت أخرى بحفظ مقام الايمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح ، وقامت أخرى بحفظ مقام الاحسان وضبط أعماله وأحواله فكان من الطائفة الأولى

الأئمة الاربعة وأتباعهم رضى الله عنهم وكان من الطائفة الثانية الاسعرى وأسياخه وأصحابه وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من أنها بوحى إلهى وإنما نسبت إليه لتصديه لحفظ قواعدها وأصولها ودعائه للعمل بذلك عند ما ظهر التأخر عنها وبهذا السبب نفسه نسبت العقائد إلى الاشعرى والفقه إلى الائمة الاربعة وغيرهم مع أن الجميع بوحى من الله تعالى .

وأما اذعان ابن عبد السلام للشاذلي فلما ذكرناه سابقا من اتساع علوم الأولياء رضى الله عنهم إلى حد لابخطر على بال الفقيه ولا يطمع في شم رائحته وكيف يشم رامحته أو يخطر على باله وهو من وراء ألف ألف حجاب وذلك أنالاولياء رضى الله عنهم يصلون إلىمقام يأخذونفيه العلم عن الله ورسوله بلا واسطة ولا يصلون إلى ذلك المقام حتى يقع لهم المرور على مقامات علية ومراتب سامية كل مقام منها لوحله الفقيه ولوساعة لرمي ما بيده من العلوم الرسمية إلا القرءان والسنة ورآها جهلا وبطالة بالنسبة لما رأى ولو كان أعلم عالم على وجه الارض بل لو جمع الى علمه علم جميع العلماء و إلى حكمته حكمة جميع الحكماء لرآى ذلك بالنسبة إلى ذلك المقام كلاشيء وهذا بالنسبة لمقامات مطلق الاولياء أما أقطابهم وكبراؤهم كالشاذلى رضى اللهعنه فان عندهم ما يقف العقل عن التصديق به لولا تواتر وجود ذلك عندهم وإذا كانوا بهذه المثابة فكيف لا يخضع ابن عبدالسلام وغيره للواحـــد منهم وعندهم من سر الله والمعرفة به ما لو ألتى على جبل لدك وصارهباء بل يصلون من هذه المقامات الى مقام يستخرج أحدهم جميع العلوم الموجودة على وجه الأرض مر_ أى حرف شاء من حروف القرءان حتى أنه لو انقطعت العلوم من الدنيا لوجدت عند الواحد منهم كما ينبغى وفوق ذلك لا فرق فيه بين العلوم النورانيــة والظلمانية والدينية والدنيوية من غير مراجعة كتاب ولا مدارسته مع أنوار واصرار تطوف على قلوبهم لو ظهر شيء منها

لحيوان لهام ولمقعد لقام ولاعمى لا بصر في الظلام وتأمل قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرءان على جبل الآية يظهر لك ما قلناه فلما عندهم من هذا وأمثاله مما لا يعرفه إلا هم رضى الله عنهم خضع ابن عبد السلام للشاذلي وغيره لغيره.

وأما ما عند ابن الحاج من أقسام الشيوخ الحسة قان الاربعة بعد الاول كل واحدمنهم يفيدفى التسليك والوصول إلى الله تعالى و انكان يعضهم أعلى من بعض فىذلك أما الاولىنانما يفيدفىالتعليم الممزوج بنورتنبسط بسببه أشعةالعلم على باطن التلميذ فتنشط جوارحه للعمل بذلك العسلم الذى يتعلمه وبذلك يفارق غيره من العلماء المعلمين اما تسليكه للمريد وأخذه بيده و رفعه الحجاب عنه حتى يقول للمريد هاأنت وربك فلا سبيلله اليها لان هذه الحالةلا تكون إلا لمن سلك الطريقة على أيدى الأشياخ العارفين بالله تعالى أما من لم يسلك فلا مطمع له في التسليك والتربية ولوعلم ما علم وعمل من الاعمال ما عمل سنة الله ونن تجد لسنةالله تبديلا مم أكمل الشيوخ المذكورين عند ابن الحاج وهم المربى والمرقى والحرفى والكامل هو المربى إذاكان التاميذ قابلاللتربية لجمعه في السلوك على يده بين الجذب والسلوك وانفناء والبقاء وذلك غاية ما يطلب من كمال السالك أما إذا كان المريد غير قابل للتربيــة لغلظ حجابه وكُثافة حسه ورضاه عن نفسه كها هو الواقع في هــذه الأوقات فلا يبعد أن يقال أن الاكمل هو المرقى لاخذه بيد المريد من غير تعب ولا مشقة ولكن قلما تسلم عاقبة المربى بالترقية وأولى وأحرى بالحرفية والكامل منـــدرج في المربى فلا يقال كيف وفع تركه وبالجلة هـ ذا مقام يحتاج إلى بسط وطول كلام والمقصود الاقتَصار على ما يتعلق بجواب ما سألت عنــه على سبيل الاختصار

ومنها فاما الاوراد والوظائف من الزروقية وحزب البحر وحزبالنووي فاذكرها وواظب عليها باذن تام منا وإن وقع وحصل لك منها ملل في بعض الأوقات فاتركها حتى يعود اليك نشاطك لتـذكرها باستحضار تام وتوجه عام لتجد بركتها وممرة ذكرها فان الذكر من حيث هو لا ينتفع به صاحبه إلا إذا أقبل عليه بكايته وتوجه اليه بخالص قلبه وما يعتريك من الكسل عن العبادة في بعض الأوقات سببه برودة حرارة الروح وانقباضها عن الانتشار في أعضاء التعبد وموجب ذلك اما خوض فيما لا يعني واما تناول ما فيه حرام أو شبهة واما تطلع إلى الدنيا وشهواتها وحبالبقاء فيها فتدخل بسبب هذا ظلمة ويرودة على القلب فتنقبض حرارة الروح من أجلهما فيحصل الكسل والملل من العبادةوتميل الذات بطبعها الى البطالة ودواء ذلكأ ولا أن تلتجيء الىاللة تعالي في الاسحار و تطلب منه أن ينقذك من وحشة الغفلة و الاعراض والادبار مع ملازمة الاستغفار ، وثانياً أن تستحضر وقت ما يقع لك ذلك ما أنعم الله به عليك من النعم الجليلة التي لا سبب لك في تحصيلها كالاعان بالله تعمالي الذي أتحفك به وحفظك لكتابه العزيز ومعرفتك بأحكام شريعة دينه معما أعطاك من السمع والبصر والعافية وغير ذلك من النعم التي لا تحصى وتشكره عليها في باطنك وترجوه أن يتحفك بجميع ما تحب كما أتحفك بمما ذكرناه وتدوم على هذا الاستحضار وعلى هذا الرَّجاء حتى يمتلىء قلبك من الفرح به سبحانه فاذا امتلاء من الفرح به امتلاء بأثر ذلك بمحبته فاذا أحست الروح بمحبة الله في باطنك حييت باذن الله تعالى وانتشرت حرارتها في الذات كلهآ فترتحل بسبب ذلك تلك البرودة وتنعشق الذات بطبعها عبادة الله تعالى فلا تشبع ولا تمل منها حتى أنه ربما تمر عليها الاوقات الكثيرة ولا يقع لها شعور بمقنضياتها من طلب الأكل والشرب والنوم والكلام وغير ذلك من أوصاف البشرية القاطعة للعبدعن وصول الأمداد إلا لاهية لقلبه ولاتزال الذات تترقى فى هذا الحال من عبادة إلى عبادة ومن مفضول إلى فاضل ومن فاضل إلى أفضل حتى يستولى عليها النور ويحيط بها ظاهرا وباطنا فتتخلص العبودية بعــد ذلك ولا يبقى للذات ميــل إلى شيء من الاكوان الظلمانية بوالنورانية فاذا تمكنت في هذا المقام رفع الله عنها الحجاب في الحالوأشهدها من جلاله وجماله ما تقربه عينها وتثبت به سـمادتها إلى أبد الآبد ثم يفاض عليها من مقامات الولاية والمعرفة به سبحانه ما يناسب قدرها وصدقها إلى آخر ما يقع للسائرين إلى الله جعلنا الله وإياك منهم بفضله وكرمه آمين فدم على هذا ثم إياك والالتفات الى غير الله على أى حالة كنت .

وأما الشرط فاياك ثم اياك أن تتأخر عنه فانه من أرفع العبادات وأشرف الحالات ويكفيك فيه أنك تظل يومك وليلك تعلم كتاب الله لأولاد المسلمين وتدعوهم بسببه الى توحيد الله تعالى وعبادة رب العالمين مع ما ينضم الى ذلك من ملازمة بيت الله الذي قال الله تعالى فيمن يلازمه نما يعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الآخر الآية وإقام الصلوات الحس في أوقاتها والآذان الحاخس مرات في اليوم الى غير هذا من العبادات التي لوظفر الانسان بواحدة منها لكفته يوم القيامة فكيف بها اذا اجتمعت.

وأما ما يقع للفقهاء الذين يقرئون الصبيان من عدم الالتفات الى العبادة والتخلق بالاخلاق النبوية المحمدية فيس الشرط هو الذي أوجب لهم ذلك وانما أوجبه لهم عدم تطلعهم الى العبادة وعدم تشوقهم الى معرفة الله ومعرفة أخلاق حبيبه صلى الله عليه وسلم اذ المعرفة بالله وبرسوله لا ينالها الا من تشوق اليها وتطلبها وارتكب أسبابها التي أشرنا اليها سابقا والتي ألف فيها القوم العارفون بالله كتبهم ورسائلهم، وأما من يعبد الله تعالى ويناو القرآن ولا همة له في معرفة الله ولا عنده ميل اليها كغالب أحوال المدرين فهو لا ينالها ولو بقى على عبادته الدهركله فاعرف هذا واعمل عليه والسلام.

ومنها وحديث البخارى لا إشكال فيه اذ لا يأتى الاشكال الا لو أتى رسول الله صلى الله عليه وسام بالآية الشريفة على سبيل النلاوة وهو انما أتى بها على سبيل الاستشهاد لماذكره من حكم تلك المسألة والقرآن إذا استشهد به المستشهد لحكم من الاحكام أو أتى به تمثيلا لوعظ أو تذكرة لا يلزم أن

يُؤتَّى بِهُ عَلَى وَجِهِـهُ مِن غَيْرَ زيادة ولا نقصان لاتفاق السلف والخلف على جواز ذلك بالحذف والزيادة عند استعاله ويسمونه ضرب مثل وتمثيلا وربما سموه اقتباســا بحسب اختلاف المورد، وقــدكثر ذلك في كلام النبي صلى. الله عليـه وسلم والصحابة والتــابعين واتباعهم وهلم جرا، ولم ينكر احد منهم نقص حرف او زیادته اذا لم یقصد التلاوة وجیء بالآیة لما ذکرناه فما ورد من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مع نقص حرف من التلاوة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث للترمذي اذاجاء كمن ترضون دينه وأمانته -وخلقه فزوجوه الاتفعلوا تكن فتنةفى الأرض وفسادكبير بحذف لهاء من تفعلوا مع أن التلاوة باثباتها ومما جاء عنه مع ابدال حرف من كلة قوله صلى الشعليه وسلم من تـكام والامام يخطب فهّوكالحمار يحمل أسفارا مع أن التلاوة_ كمثل الى غيرهذا ممايطول جلبه من الاحاديث أما ما ورد عن الصحابة من. هذا فشىء يفوق الحصر وكذا ما وردعن التابعين وأتباعهم الى وقتنا هذا .. وقد بسط هذه المسألة الحافظ السيوطي في كشف الالتباس عن جواز ضرب المثل من القرآن والاقتباس أوكها هو اسمها فانه غاب عني اسمها وأشار الى شيءمنهافي آخرعقو دالجمان نظها وشرحا وسبقه الىذلك معايراد نصوص الائمة العارف ابن باخلا في شرح حزب البحرافانظر ذلك فيه آذا عرفت هـذا ظهر لك انه لا اشكال في الحديث وانه يقرأ كها قلته من غير تبـــديل ولا زيادة.. واو لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصــد التلاوة وانما قصد تقرير ذلك الحـكم السابق بالآية الشريفة .

ومنها واما رؤيا الشيخ أحمد خادم الحجرة وأمره بابلاغ تلك الوصية . فلا يخفاك أن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق لا شك فيها وما يأمر به . كذلك فان أمر بما هومتعلق بالدنيا من غير دخل في الدين فلا شك في قبول ذلك وتعين العمل به على الرائي ولابد أن يجد ما امره به صلى الله عليه وسلم وان أمر بماهو متعلق بالدين فان امر بواجب او مندوب او ما يندرج تحتهما

تمين قبوله والعمل به ودل امره بذلك على مصلحة ثامة تعلقت بذلك المأمور به في الحال المرائي ولمن صدقه ولراد ان يعمل بعمله الآن امره صلى الله عليه وسلم بمثل هذا لا يهدر وان امر بما هو محظور في شرعه الشريف وجب تأويله وصرف الرؤيا عن ظاهرها لانه صلى الله عليه وسلم لايأمر بغير الحق وبما يخالف الشرع الشريف اصلا هذا حكم ما يأمر به صلى الله عليه وسلم في الرؤيا لكل احد كائنا من كان اما رؤيا الشيخ احمد بالخصوص فأنت تعلم أنه لا يقبل رواية احد في الدين الا اذا عرفت عينه و تحققت عدالته ، اما اذا جهلت عينه وعدالته كحال الشيخ احمد هذا فانه مجهول العين والعدالة فروايت مردودة اجماعا كه في كتب الأصول ووصيته ما وافق منها الشرع الشرع الشريف قبلناه لا لرؤياه بل لموافقته لما هو معروف من الشرع وما خالفه منها رددناه عليه وعلى غيره لان الدين قد تم موكل فلا يحتاج إلى رؤيا احد ولا وصيته هذا ما يتعلق بتلك الرؤيا في الحال على سبيل الاجمال والاختصار وان اردت بسط العبارة عليها و تتبعها كلة كلة فعرفنا يصلك ذلك حالا ان شاء الله تعالى .

ومنها: اما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها اختلافا طويلا فقال ابن اسحاق في جماعة من اهل العلم ان الصلاء عليه صلى الله عليه وسلم كانت بغير امام ولا دعاء من الدعوات المعروفة في صلاة الجنايز واعا كان الصحابة رضى الله عنهم يدخلون افواجا افواجا فيقفون ويدعون ويصدقونه في رسالته ثم يخرجون وتدخل طائنة اخرى ثم تفعل كذلك وهكذا واستدل من قال هذا بأمرين اولهما ان الصلاة المشروعة في الجنائز إعا شرعت شفاعة للهيت وهو صلى الله عليه وسلم غنى عن شفاعة غيره له ثانيها ان الله تعالى أخبر انه يصلى عليه وملائكته وطلب من المؤمنين ذلك، قال السهيلي وهذا الطلب يشمله صلى الله عليه وسلم حياً وميناً فالصلاة عليه قال السهيلي وهذا الطلب يشمله صلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد الن الصلاة

الابراهيمية ، ثم يدعو لنفسه و يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رسالته ثم ينصرف الى حال سبيله . و ذهب الجهور إلى أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كانت كالصلاة المعهودة فى الجنائز ، قال القاضى عياض والنووى وهو الصحيح الذى لا يلتفت إلى غيره ، لكن اتفقوا على أنها لم تكن بامام لقول سيدنا على كرم الله وجهه كما رواه ابن سعد والبيهتي هو إمامكم حياً وميتاً ، فلا يقدم عليه واحد ، وكذلك اتفقوا على أنهم لم يدعو احال صلاتهم بدعاء الجنائز ، وإعما كانوا يقولون كما رواه ابن سعد والبيهتي أيضاً « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله ، اللهم إنا نشهدك أن سيدنا محمداً قد بلغ ما أنزل عليه ونصح النبي وجاهد في سبيلك حتى أعز الله كلته ، فاجعلنا نتبع ما أنزل إليه و ثبتنا بعده ، واجمع بيننا وبينه » ثم يقولون « آمين » يفعل هذا كل واحد بغده ، والحمد كل تكبيرة من النكبيرات الاربع ، والحال أنهم صفوف منفود كما قدمنا ، هذا هو الصحيح في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

واما الخرطال فالذي يظهر من مذهبنا ومذهب الشافعية أنه لازكاة فيه لأنهم وان عللوا ما فيه الزكاة بالاقتيات والادخار ، فقد استرطوا فيه أن يكون اقتياته معروفاً عند الخاصة والعامة ولو في بلد المقتات أما ما كان مختلفاً فيه هيل هو مقتات أم لا كهذا فالذي ينبغي الجزم به عدم الزكاة فيه ، ولهذا اتفق شراح المختصر ومحشوه على تخصيص الزكاة بالأنواع العشرين المعروفة للاتفاق على وجود الاقتيات بها وأخرجوا كرسنة من الأنواع العشرين ، وقالوا انها الى العلف أقرب واختلفوا في النين والمشهور عدم الزكاة فيه مع أن الاقتيات فيه محقق بلا شك ، حتى قال الشيخ الرهوني في حواشيه على كبير ميارة بلا شك ، حتى قال الشيخ الرهوني في حواشيه على كبير ميارة الول بالزكاة فيه هو الذي ينبغي التعويل عليه ، بل قال لوكان عنده

منه نصاب لزكاه ، ومع هذا لم يلتفتوا إلى قوله لأجل ما وقع فيه من الخلاف وهل هو مما يقتات أو لا ، واذا كان هذا في التين المشاهد اقتياته عند القبائل الجبلية ، فما ذا يقال في الخرطال الذي لم يصل اقتياته إلى درجة الشك فضلا عن الظن فضلا عن التحقيق والقطع . وبالجلة فالذي تحصل لنا من مراجعة كتب المذهب هو عدم الزكاة في الخرطال فتيقن هذا وكن منه على بال . نعم على مذهب الحنفية الذين لا يشترطون اقتياتاً ولا ادخاراً ، بل ولا نصابا ففيه الزكاة ولا إشكال ولولا خشية الطول لذكرنا دلياهم ودليلنا ومع من الحق في ذلك .

ومنها وما يذبح على ضرائح الأولياء حسباً جرت به عادة المسلمين في هذه الأعصار وقبلها لا يخلو حال ذابحه إما أن يعتقد أن الولى المذبوح عليه يضر وينفع بذاته ، وهذا حكمه حرمة أكل ذبيحته لكونه كافرا باعتقاده ان لله شريكا يضر وينفع ، وإما أن يعتقد أن الولى لا ينفع ولا يضر بذاته ، ولكن جعل الله فيه قوة بها يضر وينفع ، وحكم هذا كراهة أكل ذبيحته وهو فاسق باعتقاده التأثير بالقوة المودعة في المؤثر . وإما أن يعتقد أن الولى لا يضر ولا ينفع لا بذاته ولا بقوة مودعة فيه ، ولكن جرت عادة الله بقضاء الحوائج عندالذبح والتعلق بالأولياء، وهذا حكمه جواز أكل ذبيحته من غير كراهة ، فان جهل حال الذابح ولم يعرف من أى قسم هو حمل على القسم الجائز ان كان الغالب على أهل البلد معرفة النوحيد ومخالطة أهله ، أو كان فيهم الموحد وغيره فالورع ترك أكل الذبيحة ، هذا هو الذى يؤخذ من شراح المختصر ، وشرح الزياتي على ذكاة خاله ، ونصوص كل قسم ، من شراح المختصر ، وشرح الزياتي على ذكاة خاله ، ونصوص كل قسم ، من هذه الاقسام موجودة فتأمل هذا ، وانظر ما هو واقع الآن بهذه البلدة من أى قسم من هذه الاقسام هو يظهر لك حكمه والدلام

ومنها وحـديث « لا يبطل حق امرىء مسلم وان قدم » معنــاه أن حق المسلم لا يضيع بقدمه فن كأن له مثلا حق على شخص بحجة ثابتة

شرعا وسكت عن طلبه المدة الطويلة كالثلاثين والاربعين سـنة ثم قام يطلبه فانه يستحقه ولا يهدر حقه بسكوته عن طلبه المدة المذكورة وأما رتبتــه من الصحة والحسن والضعف ومن خرجه من المحدثين فاني أعرف أن الحطاب ذكره آخر الشهادات من شرحه على المختصر ناقلاله عن ابن رشــد ولم يعزه لاحد ولا تكلم على رتبته وكذلك فعل من نقله عنه كالزرقانى بالمحل المذكور والشيـخ الرهوني في حواشيه عليه والشيـخ التاودي صدر البيوع من شرحه على التحفة والشيخ التسولى وجميعهم يسلم الاستدلال به على المعنى الذى قررناه أما فى كتب الحديث فلم يوجد له أثر ولا ذكر فيما رأيناه منها ومنها وحديث ليس منامن لم يتعاظم بالعلم ذكره ابن الحاج فى حواشيه على المكودى حديثا وتبعه على ذلك سيدى المهدى الوزاني في حواشيه على الاستمارة وغيرها من حواشيه وأولا ظاهره المقتضى لطلب التعاظم بالعـــلم وهما تبعا فى ذلك الطرنباطى فى حواشيه على الخلاصــة وثلاثتهم لم يعزوه لكتاب مر الكتب الحديثية على عادتهم في ذكر مايستدلون به من الاحاديث أما كنب السنة المسندة التي هيعمدة كتب السنة فلا يوجد في شيء منها

ومنها وقد تعجبت من بيع من باع شرح اللقاني الكبير والأجهوري على المختصر مع ماهو مكتوب عليهما من الوقف في غالب الأوراق وإن كان ذلك لا يضر شرعاً لما نص عليه البرزلي من أن كتابة لفظ الوقف على كتاب من غير اشهاد لا يمنع من بيعه و تعلىكه و نقله عنه جماعة من المتأخرين وسلسوه كابن هلال والسجلماسي في عمله المطلق وشرحه والحمد لله على خلاف العلماء فانه رحمة ومثل ما قاله البرزلي للحنفية فان الوقف عندهم لا يثبت حتى يحكم به الحاكم.

ومنها أما الحديث الذي أخبركم به ذلك المخبر فهو بلا شك مختلق موضوع ومخترع مصنوع ليسعليه أثر من طلاوة النبوة ولا هيمنة من حلاوة الرسالة الفظه فى غاية الركاكة ومعناه بلغ الغاية فى السماحة وقد عد علماء الحديث من علامة وضعه ركاكة لفظه و برودة معناه بحيث إذا سمعه السامع لا يخضع له سره ولا يقبله عقله ولهذا قال ابن الجوزى إن الحديث المنكر إذا سمعه الطالب يقشعر منه جلده وينفر منه قلبه وقال الربيع برخثيم إن للحديث ضوء كضوء النهار ولغيره ظلمة كظلمة الليل نعم معناه صحيح بلا إشكال فقد ورد فى هذه العجائب العصرية من الاحاديث مالا يدخل تحت حصر منها ماهو صحيح وحسن ومنها ماهو ضعيف إلا أنه منجبر بكثرة شواهده ومنابعته فصار من المقبول المستحسن فها من شىء من هذه المخترعات العصرية الا ويوجد حديث يشير اليها إما بصراحته واما بتضمنه والتزامه فصلى الله على هذا الرسول العظيم الذي أخبره الله بما كان وما يكون وأطلعه على مالم يطلع عليه غيره من السر المكنون.

قلت والحديث المذكور سألت عنه من أرسل اليه الشيخ هذا الجواب فيكتب إلى بأنه كان بوجدة فاجتمع بها ببعض علماء الجزائر و تذاكرا في المخترعات الوقتية فأورد ذلك العالم حديثاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا نطق الحديد وقرب البعيد فالامر قريب غير بعيد وهو حديث موضوع كما قال الشيخ رضى الله عنه ومثله حديث افتراه بعض علماء الازهر وادعى أنه في صحيح البخارى وهو ما نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قال إنكم ستجيئون أو ستفدون إلى المدينة على صفائح من حديد و فولاذ

أما ما أشار اليه الشيخ مر ورود الاحاديث بالاشارة إلى المخترعات العصرية فقد يستغرب القارىء ذلك ويتشوف إلى الوقوف عليها فليعلم أن الاحاديث بذلك على قسمين قسم اجمالى وقسم تفصيلى ووردت الاشارة اليها في القرآن العظيم

أما الاجمالي فروى الطبراني من حديث سمرة قال قال رســول الله صلى

الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أما كنها وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها فني هذا الحديث اشارة إلى سكة الحديد التي تزال الجبال من أما كنها في سائر البلاد الجبلية التي تمد فيها شرائطها وأشار بقوله وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها إلى سائر المخترعات الغريبة من أوطم بلات ووابورات وطيارات وغواصات وتليفون وتلغراف وراديو وكهرباء وغير ذلك مما حدث أو سيحدث بعد .

ومن أعجب العجب أن كثيراً من الناس بالمشرق والمغرب سألني مراراً هل ورد في الحديث النبوى ما يشير إلى هذه المخترعات العجيبة المدهشة فأجيبهم بماورد في ذلك وشرعت في كتابة تأليف فيه لم يبيض بعد مموجدت في الحديث إخباره صلى الله عليه وسلم بتساؤلهم هذا أيضاً عن هذه العجائب وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيا رواه البزار والطبراني في حديث سمرة المذكور سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما تقولون هل كنا حدثنا بهذا فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة حتى قال سوف ترون جبالا تزول قبل حق الصيحة الحديث فصلى والخوارق الباهرة

وأما التفصيل فالطائرات اليوم على نوعين نوع خاص للتجارة والبريد. وركوب النجار والسواح ونوع خاص للحرب ورمى القنابل .

أما طائرات النقل والتجارة فقد روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا تنطح ذات قرن جماء وحتى يبعث الغلام الشيخ بريدا بين الافقين ووحتى يبلغ التاجر بين الافقين فلا يجد ربحاً

وفى رواية لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة وحتى تتخذ المساجد طرقا فلا يسجد لله فيها وحتى يبعث الغلام الشيدخ بريداً بين الافقين

وحتى يبلغ التاجر بين الافقين فلا يجد ربحا رواهم الطبراني وأصل الحديث في مسند أحمد فارسال الغلام الشيخ بريداً بين الافقين وبلوغ التاجر بين الافقين إلا هو بالطائرة وهو واقع بكثرة فان غالب التجار اليوم ينتقلون في حركات التجارة بالطيارات ومنهم من لا يربح شيئاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وأما الطائرات الحربية فني قوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم الآية إشارة إلى الطائرات الحربية والغواصات بل هي ظاهرة في ذلك لا سيما وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسيرها أنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد رواه أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص بل مع هذا الحديث يجزم بأن الآية واردة في هذا لا في غيره مما ذكره المفسرون وهي أيضاً شاملة للالغام التي تزرع في الارض وتنفجر من تحت الارجل.

وكذلك قول الله تعالى (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات فشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذراً أو نذراً إنما توعدون لواقع) فانه وصف للطائرات الحربية بجميع حركاتها وأفعالها تعصف بقنابلها وهي تحتمل معنيين في اللغة تترك الناس كعصف مأ كول وتميل أحياناً عن هدفها وهذا معنى العصف في اللغة وتنشر المنشورات في ميادين القتال على الجنود وفي المدن على الأهالي والسكان بالدعاية والاخبار عن الحقائق التي تسترها عنهم حكومتهم كما هوالواقع اليوم وتفرق بين الجموع والكتائب فرقاً لأن الرعب بها والهزيمة أشد من غيرها بحيث لايثبت تحتها فرد ولا جمع بل بمجردرؤيها يقع الفرار والتخني تحت الكهوف والملاجىء وتلتى ذكراً في المنشورات عذراً أو نذراً تنذر وتخوف وتهدد وترعد وربما اعتذرت عن بعض ضربها للاما كن البريئة كما هوواقع ومشاهد وربماأرسلتها بين يدى هجومهاوضربها انذاراً وطلباً للخضوع

وأما السيارات على اختلاف أنواعها فوردت فيها أحاديث كــثيرة مصرحة

وملوحة فمن الاحاديث المصرحة ما رواه أبو يعلى بسند صحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقترب الزمان وتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة كاليوم واليوم كاحتراق الحزمة فهذا حال السيارات وقدر طبها للمسافات.

وورد فى من الاحاديث الآخبار بتقارب الآسواق وذلك بسبب السيارات أيضاً وانفهم العلماء أن ذلك بكثرتها وقرب بعضهامن بعض والواقع خلاف ذلك لأنهم لم يكن فى زمانهم سيارات حتى يحملوا الاحاديث عليها كه هو الواجب لان الاسواق لم تكثر عما كانت عليه كثرة يقرب بعضها من بعض بل لم تكثر أصلا ولا تزال كها كانت وإنما قربت بسبب السيارات

ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ابن مريم حكماعدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها والقلاص الجهال وإنما يترك السعى عليها استغناء عنها بالسيارات وقد ظهر أثر ذلك في الحجاز فانه مع عدم تعبيد الطريق لسير السيارات وكون السفر فيها لا يزال منعباً ومعرضاً للخطر بانكسارها في الرمال والاحجار لم يبق أحد يركب القلاص إلا القليل عن لا يستطيع دفع ثمن السفر فيها فاذا ما عبدت الطرق وسهل السفر فيها ورخص ثمنه فان السعى على القلاص يترك تماماً في الحجاز كما ترك في غيره طبقاً لما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

ويشير الى هذا أيضاً قول الله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم فى الفلك المشحونوخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان مثل الفلك المشحون الذى يركب هو السيارات وبابور السكة الحديد لا الجهال كها يقوله المفسرون المعذوروق المعدوروق المعدوروق المعدم وجود ذلك فى أزمانهم

ومن الاحاديث المشيرة إلى ذلك حديث أبن مسعود أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفى لفظ الحاجة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على النجارة وحتى يخرج الرجل بماله إلى طرف الأرض فيرجع فيقول لم أربح شيئاً رواه أحمد والحاكم واللفظ له . وعند أحمد وابى نعيم فى التاريخ من حديث عمرو بن تغلب نحوه فما فشت التجارة حتى دخل فيها النساء بكثرة وصرن يعن أزواجهن فيها إلا بظهور الوابور والسيارات كما هو مشاهد الآن فى تنقل النسوة بالبضائع من مأكولات وملبوسات من مدن إلى أخرى لسهولة ذلك عليهن معركوب السيارات والوابور الحديدى مدن إلى أخرى لسهولة ذلك عليهن معركوب السيارات والوابور الحديدى امرأة أن تسافر فى تجارة مسافة نصف يوم فضلا عن يومين وثلاثة وهكذا مار يخرج الرجل إلى أطراف الارض فلا يربح شيئاً لكثرة انتشار البضائع ووجودها فى كل الآماكن بواسطة السيارات بخلاف ما قبل ذلك .

وقال الديلمي في مسند الفردوس أخبرنا أبي أخبرنا أبو الحسين بن النقور أخبرنا الكناني حدثنا يعقوب بن ابراهيم البزار حدثنا على بن مسلم ثنا ابن ابى فديك عن عبد الله بن أبى يحيى عن سعيد بن أبى هند عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج الناس من المدينة إلى الشام يبتغون فيها الصحة ، فهذا لم يقع الا في زمن وصول وابور السكة الحديد من الشام إلى المدينة المنورة فانه كان كثير من أهلها ينزلون إلى الشام ابتغاء الفسحة والصحة وهكذا يعود ذلك ان عاد وصولها أما بدونها فلا يتصور الخروج من المدينة إلى الشام ابتغاء الصحة مع وجود النعب العظيم ومقاساة أنواع العذاب من حر وبرد وعطش وجوع وألم بسبب ركوب طهور الجمال ما يقرب من شهر ذهاباً ومثله إياباً لاجل ابتغاء الصحة بلماكان شهروجه إليه في الحاجة اللازمة إلا أصحاب الضرورة الاقوياء في ابدانهم الذين هم غير محتاجين إلى صحة كالنجار الضاربين في الارض من البدو الذين الذين هم غير محتاجين إلى صحة كالنجار الضاربين في الارض من البدو الذين المنادو اذلك.

وأما الراديو والتليفون فيشير اليهما قول الله تعالى ويقذفون بالغيب من من مكان جيد بلهى ظاهرة فيهما ويشير إلى إذاعة المقالات العامية فى الراديو الخبر الآتى فى المطابع .

فقد قال الدارمي في سننه أخبرنا مخلد بن مالك عن حجاج بن محمد عن ليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أبى الزاهرية يرفع الحديث ان الله قال أبث العلم في آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصعير والكبير فاذا فعلت ذلك بهم أخنتهم بحتى عليهم .

ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي الزاهرية من رواية ابن وهب عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية به إلا أنه قال بلغني في بعض الكتب فذكر مثله وانتشار العلم قد حصل بسبب ظهور المطابع التي كثرت الكتب بطبعها وصارت تدخل في يد الناس كافة إلا أن الحديث يفيد أن الراديو سيزيد انتشاراً في العالم حتى يمنلكه كل غني وفقير ويوجد في أغلب البيوت وانها ستكثر المحاضرات العلمية فيه حتى يعلم ذلك من طريقه النساء في البيوت والحدم والعبيد وغيرهم فيقع ما أخبر الله تعالى به نسأل الله اللطف والسلامة والمغفرة بمنه

«فائدة » ستخترع فى المستقبل أمور أخرى لم تظهر بعد منها أحذية ونعال فيها آلات فو تو غرافية أو محوها يرتدم فيها كل ما يقابلها أو فو نوغزافية ينحبس فيها كل صوت قريب منها وكذك سياط بهذه المثابة تستعمل فى الجاسوسية و توضع أمام من لم يشعر بها ينطق ويتكلم أو يفعل ما يريد وكل ذلك يرتسم وينحبس فى ذلك الحذاء أو السوط فيكون مخبراً به وشاهداً عليه ويتركه الرجل فى بيته بين أهله فاذا رجع أخبره مجميع ما فعلوه هكذا وردت به السنة وهو و إن لم يظهر بعد فقد ظهرت بعض انواعه .

ومن رسائله الى الفقراء رسالة الى أهل طنجة أرسلها اليهم في ســفرة سافرها ونصها: اخواننا في الله وأحباؤنا فيه السادات الاجلة البدور الأهلة الذاكرون الله بالزاوية الدرقاوية من آلحضرة الطنجاوية صغيراً وكبيراً السلام عليكم ورحمة الله ما قامت الأشياء بالله أما بعد فموجبه السؤال عنكم وعن كافة احواً لكم أجراها المولى على وفق آمالكم وإن تفضلتم بالسؤال عن عبدكم ومحبكم فانه لا بأس عليه الا ما يجده منألم فراقسكم والبعد عنكم نطلب الله أن يجمعنا معكم قريباً غير بعيد هذا واعلموا رحمكم الله أن الانسان إذا كان ممتثلا لامر الله مجتنباً لنهيه بظاهره وباطنه متحققاً مع ذلك في الظاهر بالعبودية التي هي الذل والفقر والضعف والمسكنة وعدم الانتصار للنفس ومنحققاً فى الباطن بالحرية التي هي الحلم والكرم والصدق والمحبة والثقة بالله وحسن الظن به والرضى والايثاروالزهد والاكتفاء بالهوغير ذلك من أخلاق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الانسان لا محالة عارفاً بالله مستنمرقاً في شهود عظمة الله لا يعرف غير الله ولا يميل لسواه رفض في الله كل شيء وخلصه الله من كل شيء فهو أبدا يهيم في الله ويتلذذ بمشاهدة قدسه وسناه ليس له عن نفسه إخبارولا مع غير الله قرار لا يفرح بشيء سوى اللهولا يحزن على شيء أزال الحق سبحانه عنه الحجب والآستار وأكر. بالمعارف والاسرار فانيا عن رجوده باقيا بشهوده ذاته مع الخلق وقلبه مع الحق يأخذ من كل شيء ولا يأخــذ منه شيء يتقرب الى الله بكل شيء ولا يحجبه عن الله شيء حركاته وسكناته كلها لله وبالله ، ليس للشيطان عليه من سبيل لأنه عبد الله ، ومن كان عبد الله تولاه الله ، ومن تولاه كفاه إن عبادى ليسالك عليهم سلطان . ألا إن أو لياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فمــا حجب القلوب عن علام الغيوب إلا عــدم العـودية ، فأو وجدت لوجد الخــيركله ،

وحيث فقدت فقد الخيركله ، فها اتصف أحد عا ذكرنا إلا وكان من الأولياء الكاملين لأنه تخلق بسنة سيد المرسلين ، ولا اتصف بأضدادها إلاوكان من الشياطين ، ولوكان عند الناس من الصالحين وأنتم يا إخواننا لـــكم إن شاء الله المعرفة الكبيرة والولاية العظيمة بحسب مالكم من الصدق في العبودية التي هي سبب للعلوم الالهيمة ، فأنتم في الزيادة بفضل الله شمرتم بذلك أم لا وستعرفون ذلك ، ولا بد لكل واحد منكم أن يكون منه ما يكون إن ثبت في باب الله وفي صحبتنا ، إذ بالثبات مع بعضنا يكوزننا ولكم ما كان لمن قبلنا من أولياء الله تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين . المرء على دين خليله فاثبتوا ولابد ولا بد فى اخــلاص العبودية لله ، ولا تلتفتوا لشيء من الأشياء ، فغي الله كفاية ، وارتكبوا شرائع الطريق لتلوح عليكم أنوار المعارف والتحقيق ، وتأدبوا باكاب الأولياء لتكونوا من المخصوصين الاصفياء ، فالآداب تفتح الابواب، وبارتكابالشروط يذاق المشروط واسمعوا ما أقوله لكم وأفهموه واعملوا به فانكم فى الحين تعرفون ربكم وتصلون إلى مناكم ، وهو أنى أحبكم ان يكون لكم القصد الصحيح والصدق الصريح والآداب المرضية والاحوال الزكية وحفظ الحرمة وحسن الخدمة ورفع الهمة ونفوذ العزيمة وخلع العذار والذل والانكسار والبذل والايثار وصّحبة العارفين الاخيار وبذلّ المجهود في الطاعــة والاذكار أما القصد الصحيح فالمراد به ان تكون نيتكم فى صحبتنا تحقيق العبودية ومعرفة الحق سبحانه لا طلب كرامات ، ولا إدراك درجات ، إذ ذاك حاصل على كل حال وأما الصدق فالمراد به ان تصدقوا بسر الخصوصية والولاية وتجزموا بما لاهلها من المعارف الالهية وتعتقدوا ذلك فى شيخكم والصدق بهذه الكيفية هو أساس الوصول ، فكل من صدق وصل وذاق ومن لا فلا ولو بقى مع الشيخ سنين لان الشيوخ لا ينظرون فيمن لا يعتقدهم سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وجذا الصدق يغترف المريد من بحر المعارف ولو كان ضعيفاً عن المجاهدة ، ولولا ضيق القرطاس لذكرنا لكم من فضل هذا المقام ما تحير فيه الآلباب . وأما الآداب المرضية فالمراد بهما حفظ الجوارح من المخالفة والبواطن من الاعتراض والتدبير والاختيار والمحافظة على السنن النبوية ومحبة الاخوان وتعظيم الشيوخ .

وأما الاحوال الزكية فالمراد بها خرق عوائد النفس وتخريب ظاهرها أكلا وشرباً وملبساً والسعى فيما يزيل جاهها ورياستها ، فكل من خالفها وخرق عوائدها بهذه الكيفية خرقت له العوائد وأكرمه الله بالعلوم والفوائد كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد مع كف الاذى عن الناس وحمل الاذى منهم .

وأماحفظ الحرمة فالمراد بها حرمة الشيخ حاضراً وغائباً حياً وميتاً فلا يجلس الفقير في موضع يهان فيه شيخه ، وكذلك حفظ حرمة الاخوان بأن يحمل أذاهم ويكف أذاه عنهم ويكرمهم لله ويعظمهم لله ، وكذلك حرمة المسلمين فلا يذكرهم بسوء

وأما حسن الخدمة فالمراد بهـا خدمة الشيخ والاخــوان ومجاهدة النفس لله .

وأما رفع الهمة فالمراد بها أن يكون القصد معرفة الله والتمتع بمشاهدته مع الاعتماد عليه والفرار من كل شيء إليه .

وأما نفوذ العزيمــة فالمراد بها أن لا يمل ولا يكسل ، ولا يلتفت إلى شياطين الجن والانس ، بل يدوم على سيره حتى يصل لربه

وأما خلعالعذار فالمراد به أن يخلعالاوصاف المذمومة، كالكبر والحرس على الدنيا ، ويتحلى بالأوصاف المحمودة ، كالحب والشؤق والزهد ، ويخلع لباس العز والاستكبار ويلبس لباس الذل والانكسار .

وأما الذل والانكسار فالمراد به الخضوع لله سبحانه ولا يظهر ذلك إلا

يالخضوع لعباده

وأما البذل والايثار فالمراد به الجود بالنفس والمال محبة في ذي العظمة والجلال ، والجود شرط في الطريق أقبح من كل قبيح صوفى شحيح ،

وأما صحبة العارفين فالمرادبها سلب الارادة لهم، وصحبتهم وحدمتهم لله ، وهو القطب في الطريق، وليست المعرفة بالعزلة إنما المعرفة بالصحبة.

وأما بذل المجهود في الطاعات والأذكار فالمراد به ألا تمر ً عليه ساعة إلا وهي في طاعة الله ، وهذا هو المقصود من الطريق ، والأهم عند أهل التحقيق ، فكل ساعة مرت على الفقير لم يذكر الله فيهاكانت عليه حسرة وندامة فأوقات الفقير دائرة بين ذكر ومذا كرة وفكرة ونظرة ومنخلا وقته من هذا فهو فى بطالة وفترة ليس له من الطريق إلا الاسم ، لا يذوق للولاية طعماً ولا يجد لايمانه حلاوة ولا لعامه فهما فهذه شرائع الطريق وشروطها، فكل من عمل بما ذكرنا نال المعرفة الكبرى ، إذ ما ذكرنا هو اب الشريعة المطهرة فتخلقوا بما ذكرنا لكم ولا بد ، واستعينوا على ذلك بالله فانكم عن قريب تصلون إلى مقام تأخذون فيه العلم عن الله وتزول عنكم اوصاف البشرية ، وتحيى لكم اوصاف الروحانية وبحياتها تصلون للحضرة القدسية ولا تحجبون عنها بشيء منالاشياء ويصير الغيب الشهادة عندكم سواء ، ومن لم يسلك كما ذكرنا غابت بشريته على روحانيته فانطمست بصيرته وحجبت بالأكوان عن المكون فحسرت ضفقته وضاعت حياته ، فاذكروا الله ولا بد واثبتوا في باب الله واجتمعوا على ذكر الله وتواصلوا وتزاوروا ، واعلموا أن أمركم عند الله عظيم وقدركم جسيم ولا بد ان يجدد الله بكم هذا الدين فاثبتوا ولا بدولا بدوالسلام.

ومنها: إلى إخواننافى الله وأحبائنافيه كافة فقراءالعرائش حفظ كم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى .أما بعد: فأحبكم احبكم الله ورسوله ان تقوموا بالوظائف الدينية

القلمية والقالبية ففيها السعادة الآخروية والراحمة الأبدية فمن الوظائف النطق بالشهادتين مع اعتقاد معناهما الذى هو ثبوت الوحدانية لله ذاتا وصفة وفعلا وثبوت رسالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تصــديقه فيما جاء به عن الله واتبــاع أوامره ونواهيه. فمنها وهو اهمها بعــد الشهادتين أداء الصــلوات الحنس في اوقاتها المعينة لهـا مع إيقاعها فى الجماعة والاتيان بجميع شروطها من الطهارة الكبرى والصغرى. واستقبال القبلة وستر العورة واتقان الوضوء باتقان الاستبراء الذي هو استفراغ ما في المحلين من الأذي مع الاستجماربالاحجار إن أمكن والغسل بالماء بعده والاتيان بجميم الفرائض والسنن والمستحبات، ولا بدمع هذا من المحافظة علىالنو افل ، كَالُوتر والفجر والضحى والرواتبالقبلية والبعدية . ومنها الزكاة فأدوها إن وجبت عليكم ولابد ولابد فانها طهارة وبركة وسبب للغنى ، واحفظوا مع هذا جوارحكم التي هي الآذن والعــين واللسان والبطن واليد والفرج والرجل من المنهيات ، فلا تسمعوا إلاالوبمظ والذكر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا تنظروا إلى ما لا يحل لكم من النساء والصبيان والامتعة ، واحفظوا ألسنتكم من الكذب والغيبة والنميمة والزور والبهتان وأيديكم من أذاية الناس فى أبدانهم وأموالهم وبطونكم من الحرام وفروجكم من مماسة ما لا يحل لكم وأرجلكم من المشى فى غير طاعة الله وقلوبكم من العجب والكبر والرياء والحسد والبغض والغل والحقد والغش والخديعة والمداهنة وحب الرياسة والتقدم وحب المدح وخوف الذم والاهتمام بالرزق والخوف من الخلق، وتفكروا فى مصنوعات الله واستحضروا اطلاعه عليكم فى جميع الحالات ولا تستعظموا هذا فانه سهل ان استعنتم عليه بالله . مم المؤكد به عليكم الاجتماع لذكر الله وقت فراغكم من الاشغال، وخصوصا فيما بين المغرب والعشاء، وفيما بين

صلاة الصبح وطلوع الشمس ففى ذكر الله فى هذين الوقنين من الفضل والثواب شىء عظيم، وتزاوروا فى الله وتحابوا فيه، وواسوا محتاجكم، وصلوا أرحامكم، وعودوا مرضاكم، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، واحتملوا أذى من آذاكم، ولا تجالسوا من يقطعكم عن ذكر الله ولا تخالطوه فانه يميت قلوبكم وفى موتها فساد الدبن وضعف اليقين، وفى ذكر الله ذكره ورضاه ومجالسته وطمأ نينة القلب وفى الاجتماع عليه رياض الجنة وغشيان الرحمة ونزول السكينة وحفوف الملائكة حسبا وردت به الأخبار وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآثار، وإياكم والانصات لمن يعذلكم أو يلومكم فانه شيطان مارد ومطرود شارد، ولاتسيئوا لاحد من عباد الله ولا تخافوه ولا ترجوه فان الامور كلما بيد الله، لا يملك أحد لاحد منها ضراً ولا نفعاً ، ولا خفضا ولا رفعا ، وصونوا قلوبكم من الطمع فى الخلق فانه الفقر الحاضر والذل الظاهر، واعلموا أنكم ان فعلتم الطمع فى الخلق فانه الفقر الحاضر والذل الظاهر، واعلموا أنكم ان فعلتم هذا ثبتت خصوصيتكم ونلتم مطلوبكم من ربكم، أعانكم الله وقواكم ومن نزغات الشيطان حفظكم ووقاكم والسلام.

ومنها: الىكافة اخواننا فى الله السادات الفقراء العارفين الكبراء أهل الزاوية الأيوبية من الحضرة الفاسية دفع الله عنها كل فتنة وبلية امنكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى .

أما بعد تجديد العهد بمحبتكم والسؤال عن أحوالكم والنماس صالح أدعيتكم فانى أعلمكم أنه ما قامت الطريق ولا حصل طالبوها على التحقيق إلا بدوام الاجتماع مع أهلها والمذاكرة فى شروطها والعمل بمطلوباتها ولابطل أمرها وحرم منها طالبوها إلا بالاعراض عن أهلها وعدم العمل بشروطها فاجتهدوا وفقكم الله تعالى فى القيام بشرائع الدين ، والتخلق بأخلاق سيد المرسلين صلى الله على و واجتنبوا ما يبعد كم عن الله من ارتكاب المناهى الشرعية ، وارتكبوادا ألما ما يقربكم إلى الله من النوافل على اختلاف

أنواعها بعد أداء الفرائض العينية والزموا طهارة الثياب والبدن والمكان والوضوء دائمًا وصلاة ركمتين بعده فان لها سراً خاصا في تنوير الباطن وننير الخواطر الرديئة عنه ، وكذلك الزموا تحية المسجد والزاوية وصلاة الضحى وأقلها رَكْمَتَانَ ، وأ كثرها ثمـان ركعات وقيام آخر الليل والدعاء عقب الصلوات، وفي وقت السحر وخصوصا إن وجدتم رقة ونشاطا فيه فان ذلك من علامة الاستجابة ، ولا تخصوا أنفسكم بالدعاء ، بل عمموا ليكون أنجبح وأقرب للاجابة ، وواظ.وا على حلقة الذكر صباحا ومساء إن أمكنكم ذلك وإلا فغي يوم الجمعة وليلتها وليلة الاثنين فان لهــا بركة وأثراً عظما. في التخلي والتحلى ويكفيكم نزول السكينة عِليها وغشياذرحمة الله لاهلها وغفران ذنوبهم ورفع درجاتهم كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة الشريفة ، ولا تتهولوا من إذاية الخلق، ولا تـكرهوا ما نزل بكم من الفاقات والامراض فان ذلك سيعود على من ينزل به بالخير والفوز والبركة إنصبر ورضى ورجع إلى الله وترك تدبيره واختياره وفر من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ك والزموا الصمت إلا عن ذكر الله أو امر بمعروف أو نهيي عن منكر أو إصلاح بين الناس أو مذاكرة في علم أو عمل ، واتركوا ما لا يأتى نخير من الأقوال والأفعــال ، واجتنبوا الكذب والغيبة والنميمة والنجسس على عيوب الناس، وارقبوا الله في سركم وعلانيتكم واستحضروا دائما اطلاعه عليكم، وتحققوا أن ناصيتكم وناصية الأكوان كلما بيد الله سبحانه، يصرفها كيف يشاء فما يشاء لا فعل لاحد معه سبحانه ، ولا تشتغلوا بأمر الوقت وما هو جار فيه فان ذلك يتلف قلوبكم ويصدها عن ذكر الله وعبوديته ، وبعد ذلك لا يكون إلا مراده سبحانه واقنعوا من الدنيا بما تيسر من غيركلفة ولا تعب ولا مزاحمــة ، ولا تعاق بمخلوق تعلقا يؤدى إلى رقيته ونسيان الله تعالى لأن ذلك نوع من أنواع الشرك، ولا تتناولوا من المأ كول والمشروب والملبوس إلا ما تقوم به البنية ويقع اليه الاحتياج مئن

غير إسراف ولا مبالغة فان من أخذ فوق ما يكفيه أعمى الله عين بصيرته ومن تناول شهوته عدم صفوته وتزاوروا في الله وتحابوا فيه فان ذلك من أعلى شعار الدين الموجبة لمحبة رب العالمين وعظموا المسلمين والعلماء وأهل البيت النبوى الشريف وأحبوا لهم ما تحبون لانفسكم واشتغلوا بعيوبكم عن عيوبهم واستغنوا بالله عن كل شيء سواه ففيه سبحانه الكفاية ولا تنظروا إلى من هو فوقكم في الدنيا وانظروا اليه في الدين من غير حسد ولا حقد عليه ووقروا مقدمكم ولا بد وكبراء كم في الطريق وفي السن واحترموهم لله وفي الله واسمعوا اليهم واتركوا ما تعرفون لما يعرفون فان البركة كما في الحديث الشريف مع الاكابر ، وتحققوا أنكم ان عملتم بما ذكرناه أخذ الله بيدكم في الحال ورحاتم إلى الله بظاهر كم وباطنكم وأدركتم ما أدركه الرجال قبلكم وجربوا فني التجريب كشف الحقائق وإظهار ما خني من الطرائق ، وواصلونا ما دمنا في الحياة ، فبذلك يدوم سيركم ويكمل أمركم ، والله تعالى ينولانا ويتولا كم ويحفظ كم ويرعا كم ،

ومنها: أمابعد فقد بلغنيا أنك وجميع الاخوان لازلتم مشتغلين باستنشاق طاباق في انوفكم كما بلغنيا أنكم تؤذون الآخ الصالح الفقيه وتعرضون عنه إذا لقيتموه في الطريق فلا تسلمون عليه ولا تصافحونه فساءنا فملكم لهذين الأمرين القبيحين استنشاق طاباق وإذاية الانخ المذكور واستقبحناه غاية الاستقباح. أما طاباق فلا يخفاك انه اتفق على محريمه علماء الباطن قاطبة والصلحاء العاملون من علماء الظاهر لا خلاف بينهم في ذلك حتى قال العارف بالله القطب شيخ شيوخنا سيدي محمد بن ناصر ان من يستعمله في انفه او يتدخن به في فيه لا حظ له في طريق اهل الله ولا ينال منها شيئا وكذلك يتدخن به في فيه لا حظ له في طريق اهل الله ولا ينال منها شيئا وكذلك ذكرهم و في العمليات الفاسية.

وحرموا طابا للاستعمال وللتجارة على المنوال

ولا تغتروا باستنشاق من يستنشقها من فسقة العلماء المهتوفين المارقين فانه لا دليل معهم فيها ولا نور ببصريتهم يصلون به إلى الاطلاع على قبأمجها فالفرار الفرار منها والبدار البدار عاجلا إلى تركها إن أردتم سلامة دينكم وصلاح ظاهركم وباطنكم

وأما إذا يتكم للامخ المذكور فلا يخفاكم ما ورد في توقير مطلق المسلمين واحترامهم فضلا عمن كان منهم من أهل الفضل والصلاح والدين وذوى الشيبة والوقار المتين ، ويكفيكم قوله عليه الصـلاة والسلام « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » وقوله عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق الامام المقسط والعالم العمامل وذو الشيبة في الاسلام » إلى غير هذا من الاحاديث الـكثيرة في هذا المقام. وفي القرآن العظيم « ومن يعظم حرمات الله فهو خييرله عند ربه » ومن أعظم حرمات الله المسلم الصالح ذو الشيبة في الاسلام ، واذا كان هذا في مطاق حق المسلم على المُسلم فما ذا يكون حق الآخ على أخيــه في الله الآخوة الصالحـة التي جعاما الله بابا من أبوابه وطريقا موصلا إلى رضوانه مشل أخوتكم مع الاخ المذكور فانها عقتضى شريعة الطريق تستوجب عليكم أن تعظموه وتحترموه وتوقروه وتتحملوا ما عسى أن يصدر منه ، وتقابلوا إساءته بالاحسان محبة فى الله ورسوله وتخلقا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم وأخلاق كبار أمته فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . وكان لا ينتصر لنفسه من مظامة ظلمها كها فىالصحيح وكان يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عمن ظامه ويقول بهذا أمرنى ربى وقد تبعه على هـــذه الاخلاق الــكريمة سلف هذه الامة وكبراؤها من العلماء العاملين والأولياء الكاملين عملا بقوله تعالى « قل إن كنتم تحبون الله

فاتبعونى يحببكم الله » فنالوا بذلك ما نالوه من سعادة الدارين ، والفوز بمعرفة الله ورضاه فى الكونين ، وليست الطريق إلى الله بكثرة الصلاة والصيام ، بل بالقيام بالواجبات فقط مع التواضع وحسن الخلق مع الآنام والاعراض عن النفس وما تطلبه ،ن الرياسة وعلو المقام فبهذا بلغوا ما بلغوه من الولاية الكبرى والصلاح وحسن الختام .

وقد قال شييخ شيوخنا القطب مولاى العربى الدرقاوى رضى الله عنه من تعذر عليه الفتح فليعمد إلى فاس الاحسان وليحفر به في قـــلوب الاخوان يخرج له ينبوع من العلم يغنيه عن مــذاكرة الذاكر ومطالعــة الدفاتر فاعرف هــذا وعرف به الاخوان. وبادروا بعــد ذلك إلى الأخ المبذكور واستعطفوه عليكم واستجلبوا رضاه ووقروه وقدموه فى الصلاة وغيرها فانه ممن يستحق التعظيم والتقديم ولا تلتفتوا إلى أنفسكم وأهوائكم وكونوا معه يداً واحدة فى الله ولا تسمعوا فيه قول قائل ولا إنكار منكر فان الوقت كها لا يخفاكم لا يسلم أحد مر أهله هذا واجتهدوا فى طاعة ربكم وعمارة أوقاتكم بذكر الله والتخلق بأخــلاق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقنعُوا من الدنيا بمـــا تيسر من غير كلفة ولا تعب ووقروا الكبير وارحموا الصغير واعتمدوا على الله فى جميع أموركم وقدموا أمره سسبحانه وتعالى على شهوات أنفسكم ليقرب عليكم الطريق وتحصلوا في أمد قريب على التحقيق وتلقوا الله كما تحبون وتنالوا فىالآخرة ماتطلبون وماترتصون وتمسكنوا فانالمسكنة فىهذهالدار سبب للنجاة منالبوار ومنالعذاب ودخول النار وارضوا بما يبرز منالقضاء يرضى الله عنكم واحفظوا أمرالله فى الرخاء يحفظكم فى الشدة واذكر وهفى اليسر يذكركم فى العسر وخافوه يؤمنكم واتقوه سبحانه يكرمكم والديعينكم ويحفظكم اه

ومنها رسائل أخرى مذكورة فىالأصل

البــــاب الخامس

فى سرد جملة من أخلاقه السنية السنية وأحواله الركية المرضية التى انفرد بها فى دهره ولم نرها مجموعة فى غيره ولا سمعنا بها عن أحد من أهل عصره لا من الموصوفين بالولاية والمشار اليهم بالخصوصية ولا من المشهورين بالمشيخة ورسوخ القدم فى التسليك والتربية فضلا عن غيرهم من أهل العلم الظاهر مع اجتماعنا بكثير من شيوخ المغرب والمشرق ووقوفنا على أخبار جل من لم نره منهم من طريق أصحابهم وكتب تراجمهم وأخبارهم بل لم نر أخبار الشيخ رضى الله عنه مجموعة إلا فى السيرة النبوية وتراجم كبار أفراد الأمة المحمدية وكمل رجالها من السلف الصالح والخلف الناجيح رضى الله عنهم وعشرنا فى زمرتهم آمين .

فن ذلك شدة تعظيمه ومجبته واحترامه للشيوخ الذين أخذ عنهم ولو دروساً قليلة من العلم فكان يبالغ في الأدب معهم ولايتقدم أمامهم في شيء من المسائل ولا يظهر علمه بميحضرهم وإنكان أعلم منهم ولا يجادلهم ولا يناظرهم في شيء إلا على سبيل الندرة مع كمال الأدب والاحترام.

وكان يشد الرحلة من طنجة الى فاس في مدة ثمانية أيام لزيارة شيوخه ، ولما توجه الى القاهرة لحضور مؤتمر الخلافة شد الرحلة منها إلى الشام لزيارة شيخه سيدي محمد بن جعفر الكتبانى رضى الله عنه . وكان وقتئذ ببيروت قبيل نزوله إلى المغرب ، فلما وصل إلى الباب واستأذن خرج الشيخ لمقابلته فلما وقع بصره عليه انكب على رجليه يقبلها والشيخ يحاول منعه

من ذلك وهما فى الشارع خارج الدار ومكث عنده ثلاثة أيام طلب منه فيها ان يذهب لزيارة الامام الاوزاعى ، فقال له : والله لوكان حياً ماذهبت إليه لانى قصدت زيارتك فلا أزور أحداً معك . وكان لا يشكام فى مجلسه كائنه لا يما من العام أصلاً وكذلك كان حاله مع غيره

وكان شديد التعظيم والاحترام لحملة الملم ولوكانوا حساده وأعداءه الذين بالغوا في إذايته والمجاهرة بعداوته وكأن للأذكياء والنبغاء منهم أشد احتراماً ومحبة وإكراما ينوه بقدوهم ويشيد بذكرهم وينشر فضلهم بين أقرانهم وكان لا يأتي اليه أحد من أهل الدلم إلا وينهض لمقابلته عزيد فرح وسرور ويقضى حوائجه بعناية تامة ويكسوه إنكان محتاجا ويتحفه بتحفة من كتاب ونحوه ويصله بالمال إن كان من الفقراء المحتاجين ويبالغ في الوصاية باكرامه والبر به من هو مكاف بالضيوف في زاويته إنكان ميي الغرباء الوافدين عليه وهم الأكثرون لأن طنجة قليل بها أهل العلم لا سيما إذا سبق لأحدمنهم إذاية فىجنابه أوكان يتظاهر بعداوته ويتكام فيه يما لا يليق في غيبته فانه يقربه ويدنيه وبكرمه بما لا يكرم به أحب الناس اليه . فمنهم من ينجع ذلك فيه لسابق عناية من الله به فتنقلب عداوته محبة وإذايته براً واعتقاداً ومنهم من يغلب عليه طبعه اللئيم فيصر على ما كان عليه ، وربما خالف ظاهره بأطنه . وقد بالغ بعض القضاة في عداوة الشيخ إرضاء للفرنسيين وتقرباً اليهم إلى أن مرضمرضا أعيى الأطباء دواؤه وايس معه من العلاج بل والحياة فأرسل الى الشيخ يقول قد عجز الأطباء وانقطع الرجاء ولم يبق إلا الالتجاء الى الله تعمالى وأنتم أبواب الله فعالجه الشيخ بأدوية وصفها له فشفاه الله فى الحال وبعد قيامه استدعاه الشيخ وعمل له ولىمة فاخرة

وجاء بعد انتقاله قاس آخر فأظهر من العداوة للشيخ إرضاء للفو نسيين

أشد مها كان يظهره الأول ودام على ذلك مدة إلى أن اجتمع بالشيخ ورقه فلاطفه وأكرمه فانقلبت عداوته محبة وتلمذ للشيخ وصار لا يصدر إلا عن رأيه وإذنه في غالب مهامه إلى أن مات

وقدوفد بعضالمدرسين إلىطنجةواتخذهادارآ وشرع فىالندريس وتظاهر أيا بالعداوة الشديدة للشيخ حسدا منه وبغضا كما هي عادة جل طلبة الوقت وصار يعرض بالشيخ فى دروسه ومجالسه واشتهرت إذايته بين الناس كافة لـكثرة ما كان يطلق لسانه في الشيخ رضي الله عنـــه الى أن نزل به ما اضطره إلى القدوم إلى الشيخ والتعلق به كما هي عادة الله مع غالب أعدائه فأكرمه وبالغ فى إذلك وأعطَّاه كتباً جليلة فتلمذ له وأخذ عنه الطريق وصار يلازم مجلسه ويستفيد منه مدة إقامته بطنجة مم لما رجع إلى بلده صار يتردد منها بقصد زيارة الشيخ واستشارته والاستعانة به في بعض أوطاره ، وطلب منه أن يلقنه الاسم الاعظم ويأذن له في علم الحرف والتصرف به ٤ فأجابه بأن هــذا الامر رفع سره والتصرف المطلق به من سنة عشرين وسيقع الاذن بذلك في سنة أربع وخمسين فاذا حصل الاذن فاني سأعلمك لتقدم. فلما دخلت سنة أربع وخمسين كتب الشيـخ اليه يخـبره بأن الاذن قد حصل ويقول له: إذا أحببت ذلك فاقدم قال فشغاني عن القــدوم شأن. الوظيفة الحكومية وأشغالها وبقيت أنتهز الفرص وأسوف نفسى باليوم وغد الى أن بلغني خبر وفاته فحصل منالندم والحسرة مالا يعلمه الاالله تعالى. وكم لهؤلاء من نظير .

وكان يحترم حملة القرآن العظيم ، لاسياحفاظ السبع والمتقنين لعلم القرآت بل كان يتعشق هذا الصنف من الناس ويطير فرحاً عند رؤية واحد منهم ويكرمه بكل ما لديه وبحفظ ترجمته وأخباره ، ويتحدث بها عنه في غيبته تشويقاً للسامعين الى الاشتغال بحفظ القراءات وعملا بالوارد في اكرام حملة القرآن ، وربحا علل ذلك في بعض الأحيان بقوله ان هذا العلم كاد ينقطع وقد كان جدنا سيدى الحاج أحمد يتقنه غاية وبلغ فيه رتبة الامامة ، فكان.

الواجب علينا الاقتــداء به والاعتناء بهذا العلم ، فاذ فاتنا فلنحب أهله ولنعتن بهم .

وكان يبالغ فى إكرام معلم أولاده القرآن ويحترمه احتراماً زائداً وينزله منزلة سامية ويغدق عليه من العطايا مالم يعهد له نظير من غيره ولا ينازعه فى شىء يفعله بأولاده ولو ضربهم الضرب المسبرح الخارج عن الحد الشرعى الأدبى ، بل والذى لا يكاد يقبله أكثر الناس فكان لا يكلم المعلم فى ذلك بحكمة ولا يوافق من يريد أن يكلمه من الفقراء ، بل يرد اللوم فى ذلك على الولد ، ويقول لو لا أنه مشتغل باللعب غافل عن حفظ سوره ولوحه لما فعل به الفقيه ذلك مع أنه كان إذا رأى معلما يضرب أولاد الناس بأقل بكثير من ذلك يمظه ويزجره ويذكر له ما ورد فى الظلم والتعدى ، ويحدد له الآدب الجائز شرعاً من عشرة أسواط ونحوها . أما معلم أولاده فلا يسمعه شيئاً من هذا إكراماً له وقياماً بحقوقه وهضا لحقوق نفسه وعياله وحبا فى القرآن العظيم

وكان يحترم أولاد الشيوخ وحفدتهم ويبالغ فى إكرامهم قياما بحقوق آبائهم وأجدادهم ، فكان إذا قصده واحد منهم يبادر إلى لقائه ويظهر مزيد الفرح والسرور به والاعتناء بشأنه ولو كان غير ظاهر الاستقامة ، ويصله بما لديه ، ويلاطفه ويسأله عن أحوال والده وجده وعن كتبه ومؤلفاته ، وربما كان الشيخ هو المفيد له بترجمة والده وجده وذاكرا له منها مالا علم له به

وكان يوصى أصحابه وقرابته بمثل ذلك ويقول لايفتر بظاهر حال أولاد أهل الله فانهم كالرماد لا نار فيه ، ومن داسه بقدمه أحرقه . فذرية الأولياء وإن لم يكن لهم من الفضل والصلاح ما كائل لآبائهم فان من آذاهم أصيب بعطب غيرة من الله لاسلافهم ، وكذلك كان يذكر في حق أولاد العلماء ما يحمل على إكرامهم واجتناب إذايتهم واحتقارهم ، هذا كال حاله

رضى الله عنه معاولاد مطلق العلماء والشيوخ أما أولاد شيوخه هو وحفدتهم فكان إذا ورد عليه واحد منهم يظهر له من الاجلال والتعظيم مالا يوصف بلكان ينزل نفسه منهم منزلة التلميذ من الشيخ.

حدثنى بعض من كان يجالسه قال : حضر شابان من حفدة شيخه سيدى محمد بن جعفر الكتانى من فاس و نزلا عند الشيخ فحضرت معهما ذات يوم وقد أنى بالعشاء فصرنا نأكل والشيخ يحدثنا عن أدب الأكل وماينبغى أن يقدم ويؤخر من جهة الشرع والطب ويذكر ما يتعلق بذلك من الحكايات فلما أردنا الانصراف قام إلى باب الغرفة وصار يصفف نعال الشريفين ، فقالا له يا سيدى نستشير معك في الذهاب الى تطوان . فقال لهما النظر لكما فان عنى الجلوس فأنتما في بيتمكما أو على الذهاب فالرأى رأيكما وأما أنا إلا عبد لكما .

وكان لأهل البيت أشد احتراماً وتعظيما وعبة من كل من تقدم على أى حالة كانوا لا يشترط فيهم صلاحاً ولا علما ولا فضلا ولا تقوى ، ويقول : علينا أن نقوم بواجبهم ونكل أمرهم الى الله تعالى وكان لحبهم يحب الكتب المؤلفة فى فضائهم وببحث عنها ويجمعها ويحب من يحبهم ويؤلف فى فضائلهم ويعنف من تصدرمنه اذاية لواحد منهم اذا كان من تلامذته وأقاربه ولو أنهم من أهل البيتأيضا صدر ذلك منه مراراً عديدة مع جماعة كثيرة فى وقائع مختلفة .

منها أن شريفا صدر منه ما يوجب تأديبه من الحكومة النابع لها ففر وجاء إلى الشيدخ مستجيراً فا واه وأكرمه وأنزله فى منزل مجاور لبيته مع يعض أنجاله وجعله واحداً منهم. فلما طالت عليه المدة واشتاق الى أهله ووطنه ، صار يسمى فى ذلك فاتصل ببعض الجواسيس فأرشده الى أن الطريق التى يمكن رجوعك بها وعفو الحكومة عنك هوالتجسس على الشيخ وتقديم أخباره وأسراره اليها ، فأجابه الى ذلك واستصدر له العفو من

الحتكومة فصار يتردد اليهم وينقل لهم أخباراً يفتريها حتى أدئ به الظيف إلى أن نسب إلى الشبخ أمراً عظيما في السياسة . ثم جاء اليه يريد أن يحتال عليه في الموافقة على أمر يحقق له دعواه وكذبه على الحكومة ففطن له الشيخ وصار يلاطفه ويعده وعنيه مع إكرامه وبره المستمر معه فلما صدر منه هذا الأمر العظيم وكان قد سبق منه أمور كثيرة هي أخف من هذا دخل بعض الفقراء على الشيخ متضجرا من أفعال ذلك الشريف طالبا منه وقله ، وصار يقول له : ماذا نقعل مع جذه صلى الله عليه وسلم أيتصور في فوهه وصار يقول له : ماذا نقعل مع جذه صلى الله عليه وسلم أيتصور في ذهذكم أننا نؤذي شريفا ونظرده من بابنا ولو فعل بنا من الاذاية ما فعل ، وهل رأيتم إذايته وصلت الينا ولحقنا من ضررها شيء ، فلم يمكن ذلك الشريف وينصرف

وكانى بعض الأشراف يلازم مجلسه سنين عديدة وبتناول الظعام معة ق أكثر الأيام ويكثر من سؤاله عن المسائل العلمية والتضوفية فاطلع منه يو ما على سر يناقض مقصود الحكومة فأفشاه اليها ليتوصل بذلك الى المال أو إلى وظيفة وحصل من ذلك الافشاء فتن عظيمة دامت أكثر من عشر سنين ولا يزال أثرها ساريا إلى اليوم في زاده ذلك الامحبة فيه وتقريبا له وسعى له بعد ذلك في وظيفة يرتزق منها ودام معه على البر والاكرام والمحبة الاكيدة إلى الحتام

وهـذا كان دأبه وديدنه مع أولاده وقرابشة يربيهم دائمًا على محبة الأشراف وتعظيمهم وإجلالهم وعدم مقابلتهم بمثل ما يبدو منهم من الاساءة ووجوب تحمل ذلك منهم ويذكر الاحاديث الواردة بذلك وحكايات الضالحين في تعظيمهم وما نالوه من الفضل عند الله تعالى وعظيم المنزلة عندة بسبب ذلك حتى كان الصغير من أولاده وخدمة يعرف من قدر اهمل البيت

مالا يعرفه الفقيه العـــالم المدرس وكذلك في حق الفقراء المنتسبين إلى أهل الله لأنه كان يربيهم على ذلك بحاله وقاله وعمله ، لا بمجرد لسانه كما كان يحقر فى أعينهم الدنيا وأهلها و يعرفهم أن محبتها والنظر اليها والى أهلها بعين الرغبة والاجلال يوجب المقت من الله تعـالى والبعد من رحمته ويظلم القلب ويبعده من حضرة الله ويطمس عن بصيرته عن التطلع إلى العلوم والانتفاع بمــا يسمعه المرء من القرآن والسنة والموعظة ، ويقول يكفيكم أن الاغنياء لو بلغوا ما بلغوا في الغني لا يصلون إلى درجـة اليهود والنصاري فهم أغني الناس على الاطلاق ، فلوكانت الدنيا ترفع من قدر صاحبها لرفعت من قدر اليهود والنصارى ولجرتهم إلى الخير وما ينفعهم في آخرتهم في أمثال هذا مها کان رضی اللہ عنه یربی به أولاده وأقاربه ویذکرہ فیکل مناسبة حتی نشأ أولاده والحمد لله على هذا الخلق العجيب الغريب بين أهل الوقت فلا يرون لاحد من أهل الدنيا والمراتب السامية في الغني والرياسة قدراً ولا مزية من جهة غناه ورتبته ، بل ينقبضون عنه وينكمشون ولا ينبسطون إلا عنــد رؤية أهل الفضل والدين والصلاح والعـلم والعمل لا سيما اهل البيت منهم والذاكرين المنتسبين إلى أهل الله .

وكان يربى أولاده من صغرهم على الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة وتعلق القلب بالله وبمحبته والاقبال على العلم والعمل وترك ما فيه شهوات النفس وحظوظها ، ولا يسمح لهم بالتشبه بأهل الدنيا وأولاد الاغنياء فى الملابس لا فى جودة الثياب ولا فى كيفية اللباس ، بل يلبسون ما توسط من الثياب وعلى الكيفية التى يلبسها الفقراء ولا يسمح لاحد أن يلبس فى رجليه الشرابات أو التقاشير ولا غيرها من ملابس الترف أصلا واذا رأى على واحد منهم شيئا من ذلك غضب غضبا لا مزيد عليه ، بل لو رآه يزنى

ما زاد غضبه على ذلك ويأخذ منه ذلك الثوب فيقطعه او يتصدق به فى الحال ويقول لا تطمعوا فى الترفه والتدخل فى مداخل الدنيا ما دمنا بالحياة فنحن لو أردنا ان نلبسكم الذهب والفضة ، وكان ذلك جائزاً لما غلبنا ذلك والحمد لله ، ولكن موتكم والبكاء عليكم خير لنا من البكاء منكم ورؤيتكم فى حالة لا ترضى الله والرسول وتخالف طريقتنا وطريقة سدفنا الصالح .

و من أغرب أحوال الشيخ رضي الله عنــه مع أولاده أنه كان يقدم غيرهم فى المحبـة والاكرام وجميع المصالح عليهم بمالا أظَّنه يوجد فى غيره بل أكاد أجزم بأنه انفرد به في الدنيا من مشرق الشمس إلى مغربها بحكم ما فطر الله عليه طبيعة المخلوق من تغلب حب الأولادعلى القلب وفرط ميله إليهم لا سيما إذا كانوا بارين مطيعين سائرين فيما يحبه الوالد ويرضاه كما كان أنجال الشيخ معه ومع ذلك فكان لا تتعارض مصلحتهم أو واحد منهم مع مصلحة غيرهم من أقاربه وأصحابه وفقرائه بل وأعـدائه الاقدم مصلحة ذلك الغير عليهم ولا جاء أحد صديقًا كان أو عدوًا يشتكي أحد أولاده في شيء حقًا كان أو باطلا الاقام وقعد انتصارا لذلك الشاكى وأهان ولده أمامه ليشفى منه غيظه مع علمه غالباً بأن الحق مع ولده لا مع ذلك الغير وبالجملة فها رأيتــه في مدة ثلاثين سنة ولا سمعت عنه يوما أنه آنتصر لاحد من أولاده في شيء أصلا حتى من كبر منهم وصار فى مصاف الرجال بل والعاماء ونبغاء الطلبة بل غاية ما كان يفعله أنه بعد أن يهينهم ويوبخهم التوبيخ البالغ الذي لا يوبخه أحد من أهل الدنيا عبده فضلا عن ولده أماء أحد من الأوباش والموغاء فاذا ذهب ذلك المشتكى وانفرد بالولد يصير يلاطفه ويقول نحن ما فعلنا بك ذلك بغضاً وإهانة إنما فعلناه امتثالا لأمرالله تعالى وقياماً محقوق الآخوة وارادة أن تكون كاملا من أكابر الرجال وأفراد الامة فانه لا يسامح فى حقه ويصبر على هضم نفسه امتثالا لامر الله وتخلقا بالاخلاق المحمدية إلا أكابر الرجال.

والناس اليوم لا يرون لاحدحقا عليهم وإتما يرون حقوقهم على ألغير فعلينا أن نقوم بحقوقهم ولا نطمع في أن أحدا مهم يقوم بحقنا وإذا ساويناهم فى أخلاقهم واضاعتهم للسنة المحمدية وعدم العمل بها فمن يقوم بها وأى مزية لنا من بينهم ونحن ماشرفنا الله تعالى إلا بالعمل بالعلم والاقتداء بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبروا ولا تضجروا من هذا فعما قريب يجنون ثمرته وهم سيجنون ثمرة أعمالهم وإنكنت على الحق فسيرفع الله قدرك ويزيدك بهذا شرفا ويمدك فى باطنك بأنوار ومعارف وسترى بعينك ماذا سينزل بعدوك إذا أنت امتثلت أمر الله فيه إذ عصاه هو سبحانه وتعالى فيك ولم يقم بحقوقك التي أوجبها الله عليه في أمثال هذه المواعظ يسلي بها الولد بعـــد إهانته وسلبه حقوقه وتمــكين عدوه منها أما كو نه ينتصر له أو يرد على من نسب إليــه شيئًا من القبائح والجرائم المحقق كذبها فذلك من المستحيل عنده، ثم ليس هذا مع البعيد فقط بل ومع الاماء والخدم داخل الدار أيضًا فما علم أنه رجح ولدًا له على خادم أو خادمة أصلا فقد كانت عنده أمة أورثها فرط حلمه ومساواته للخدم بأخله وعياله أنفة وكبرا وعظمة لا توجد إلا فى أبنـــاء الامراء والوزراء فــكانت تأنف أن تطيع أوامر أحد من أولاده , زوجاته بل وحتى الشيخ نفسه فيما لا يوافق هواها فكانت بخلقها هذا تثير غضب أولاده فى بعض الاحيـــان فربما أسمعها بعضهم كلمة قبيحة فاذا أوصلت ذلك إلى الشيخ انتصر لهــا وجاوز الحدكاءنه هو العبد وهى ابنته مع أنه كان كثيرا ما يتضجر من خلقها وكبريائها وعظمتها ثم يقول أمرنا الله تعالى بتحمل أخلاق السفلة وعدم معاملتهم بالمثل ونحن نرى أن لو طردناها لما وجدت من ينحمل خلقها ويقبلها على كبريائها وعظمتها وهي لالوم عليها في طبعها لأنها جاهلة و إنمــا اللوم على من يدعى العلم والطريق واتباع السنة فهو الذي يجب عليه تحمل خلقها .

وكان بعض أهل الأخلاق السيئة والطباع الذميمة من أتباعه يؤذى الفقراء

غاية ويجترىء عليهم بيده فلا يكاد يمر عليه شهر بدون أن يؤذى أحدا من الفقراء ، ثم زاده حلم الشيخ وكرم أخلاقه غرورا إلىأن ضرب يوما بعض أولاده النبغاه الآذكياء ضربة منكرة ثم لم يكتف بذلك حتى صار إلى الشيخ يشتكيه أيضاً فبدلا من أن ينتصر الشيخ لولده و بخده غاية أمامه وأمره أن يقبل رجله أمام الشيخ رضى الله عنه .

وكان له تاميذ آخر اليه المنتهى فى سوء الخلق والظلم والفسق والجور والكبرياء والعظمة والخداع والنش والرياء والتصنع وسوء الظن والجهل بالله تعالى والغرور بالنفس والحقد والحسد واذاية الفقراء والأشراف والعلماء والصغار والكبار وأهل الحواضر والبوادى وأهل الفضل والدين لا سيا من قرابة الشيخ وأنجاله فانه يأتى إليهم من أنواع الاذاية والاهانة بما لا يتسبع لشرحه إلا مجلد حافل وبما لا أظن أنه يخرج معه من الدنيا سالما أو يمتم له بخير لفرط اذاينه بحيث قل عنه حجاج الفقراء ولا لوم اللهم إلا أن يتداركه الله برحمته فيتوب توبة تكون سبباً لأن يرضى الله عنه ذلك الجم يتداركه الله برحمته فيتوب توبة تكون سبباً لأن يرضى الله عنه ذلك الجم من القصاص .

وكان الشيخ رضى الله عنه لفرط هماقة هذا الرجل وكثرة اذايته للضيوف والزائرين والفقراء لايكاد يمر عليه يوم أو أسبوع بدون شكاية تردبه وشكاية منسه بمن يظلمهم ويؤذيهم لانه لفرط حلم الشيخ وكرم أخلاقه وفرط حمانسه هو واغتراره وقلة حيائه وصفاقة وجهه كان يؤدى ولد الشيخ ويسمعه من السب والاهانة أمام الناس ما هو لائق بدينه وسفالة أخلاقه أو ابن اخى الشيخ او صهره او ابن عمه العالم الفاصل المدرس او الاشيب الذاكر المنتسب ثم بعدان يقضى وطره من عرضه واهانته يشبق إلى الشيخ بالشكاية لاعتقاده ان الله اباح له عرض المسلمين والاشراف والفقراء من أصحاب ابن الصديق بل وظهورهم وأموالهم لفرط اغتراره بنفسه وجهله بالله أصحاب ابن الصديق بل وظهورهم وأموالهم لفرط اغتراره بنفسه وجهله بالله

تعالى وبدينه فكان الشيخ رضى الله عنه يعقد المجالس المتعددة بينأصحابه وقرابته لأمره إياهم بطاعة هذا الجبار العنيد والكون تحت أمره ومهيه مع المبالغة فى تعظيمه واطرائه والثناء عليه فلا يزيده ذلك إلا عتواً واستكباراً وغلظة وفظاظة وجرأة على الله وعلى عباده الصالحين استغلالا لجاه الشيدخ رضى الله عنه ومكانته ولولا هو لما شعر بوجوده أحد من أضعف ضعفاء أولئك الأفاضل ولما خطر بباله هو أن يجترىء على واحدمنهم كما هو حاله اليوم فصلاعن ذلك الجمع العظيم وهكذا استمر الشيخ رضى الله عنه يقاسى معه الشدائد مع المبالغة في إكرامه وتعظيمه إلى أن صرفه الله عنه وشعله بدنياه وأراح الفقراء والزاوية وعمارها وزوارها من ظلمه وجوره وفساده نسأل الله العافيــة ولو لم يدل على عظمة أخلاق الشيــخ رضى الله عنه وحلمه المفرط إلا صبره على إذاية هذا الرجل لكفي ذلك دليلا على انفراده فى الدنيا من مثمرق الشمس إلى مغربها فوالله لو شئت أن أشرح إذاية هـذا الرجل للشيخ فى ذريته وأهله وقرابنه وضيوفه رزواره وأصحابه ثم فى نفسه ومانسبه اليه أخيراً وما قاله فيه مع عظيم اكرام الشيخ له ومراساته إياه لذكرت من ذلك ما يتمجب منه المتعجبون ويستغرب من سماعه السامعون و بجزم القارىء معه بأن الشيـخ لاثاني له في الدنيـا في عصره بل ولا قبله بكثير في هــذه الاخلاق فلقد حكى العارف الشعراني بعض البعض من عشر هذا عن القطب امولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ثم قال وهذا خلق غريب لا يوجد لا عند أفراد اه مع أنه والله ما ذكر عشر عشر معشار ما رأيناه من الشيخ رضى الله عنه في هــذا الباب ولقد رأيت أحد أفراد هذه الأمة المحمدية في عصرنا ممن لم تر عيناى بعد الشيخ رضى الله عنه مثله فكان يميل إلى أولاده بحكم العاطفة ويقدمهم على غيرهم ولا يقبل كلة سوء من أحد فيهم حتى إنه صدر مرة من بعض أكابر أصدقائه ومحبيه الذين كانوا يخدمونه وينفقون

عليه ويواسونه المدة الطويلة أن قابل بعض أولاده بكلام فيــه غلظة حتى أمكاه فدخل على والده وهو يبكى فانفعل والده لذلك انفعالا كبيرآ وقابل ذلك المحب فأغلظ له جداً حتى إنه لما خرج من عنده حلف بالطلاق الثلاث أنه لا يبيت في بلد فيه الشميخ وسافر في الحال وكان ذلك آخر اجتماع بينهما مع أن الرجل من أكابر الاعيان الطاعنين في السن وأعاظم المحبين وَلَم يُصدر منه إلا كلام قاله بشدة في حالة غيظ فكيف بمن يصر على إذاية الأنجال وجميع الاقارب أزيد من خمس عشرة سنة بمالا يقبله المرء في أصحابه وأحبابه. فُكيف به في أنجاله وأفاربه من نسبة جميع الحرائم والطامات حتى في العقائد والديانات والاهانة باليد واللسان والسعى في الاذاية والعــداوة واشاعة الامور القبيحة بالزور والبهتان لكي يتوصل بذلك الى أن يخلف الشيـخ في مكانه حيث أن أولاده بالمثابة المذكورة ويعلم الشيخ منه ذلك وتبلغه إذايته إياهم صباح مساء طول السنين المذكورة ومع ذلك يعقد المجالس الحافلة أمام أعين المئين من الناس يعظم فيها من قدرهذا الجبار العنيد ويرفع من شأن هذا الجاهل المجرم بما لو أنفق مهجته ليشهد له به من هو دون الشيخ بمراحل لم يصــل اليه فــكيف بالشيــخ أمام أولئك الجم الغفير من الناس تحقيقاً لمطامعه وإجابة لرغبته التي يؤذى أولاده من أجل الحصـول عليها فلذلك. قلنا إن هذا مما انفرد به الشيـخ رضى الله عنه فى الدنيا بأسرها والحمد لله. رب العالمين

فص___ل

وكان رضى الله عنه وصالا لرحمه الدينى والطينى أما الدينى فقد ذكرنا صنيعه بأشياخه وأنجالهم وحفدتهم واما رحمه الطينى فكان لا ينسى أحداً مع كثرتهم بل يواسى الجميع ويكسوهم كل سنة ويدفع أصدقة من يريد التزوج منهم حتى تترتب عليه فى ذلك ديون عظيمة كل سنة وينفعهم بالمال والجاه والتوسط والشفاعات عند الحكام مع كون الكثير منهم يؤذونه بأنراع من الاذابات وربما جاءه الواحد منهم فلم مجد ما يعطيه فأخذ من أولاده وأعطاه وكان يحض دائماً على صلة الرحم وبر الوالدين ويبالغ فى ذلك ولا يرخص لاحد فى مخالفة من هو أكبر منه من العائلة فضلا عن إخرانه فضلاعن والديه وهو الذى أمرنى بتأليف مطالع البدور فى بر الوالدين لقضايا صدرت من أقوام ووقع لبعض قرابته ان ادعت عليه امرأته العجوز البالغة من العمر ستين سنة عقب طلاقه إياها انها ولدت منه ولداً ذكراً لا يدرى من أين اتت به فلما ذهبت القابلة والنسوة لم يجدن عليها أثر الولادة والناف اصلا والولد موضوع مجنها فأراد الرجل ان يلاعنها أثر الولادة وكان اكبر منه وقال له ان اللهان فيسه بهدلة لا نرضى بها فأراد ان يخالفه ويلاعن لتحققه بافتراء المرأة عليه من وجوه متعددة فلما جاء الى الشيخ يستشيره قال له حيث إن اخاك أكبر منك قد أمرك بالتخلى عنه فامتثل امرالك يستشيره قال له حيث إن اخاك أكبر منك قد أمرك بالتخلى عنه فامتثل امرالك ولا تخالف إشارة اخيك .

فهـ ــــــل

كان الشيخ رضى الله عنه لايخرج إلى السوق ولا يمر فى الشوارع العامرة بالناس والدكاكين بل اذا خرج يوما لزيارة أخ أو إجابة دعوة أو إلقاء درس يختار الشوارع الخالية ولوكانت بعيدة فراراً من الشهرة وتعظيم الناس وسلامهم عليه وكان يسرع فى المشى ويمشى قصداً لا يلتفت لرؤية من عن يمين الطريق وشما لها حتى كان كثير من الناس إذا رآه مقبلا لا يتهيأ له الخروج من دكانه للسلام عليه حتى يجده قد فاته و بعد عنه .

وكان لا يتولى شراء شيء بنفسه من أمتعة الدنيا وحاجياتها كيفماكانت الا الكتب وكان لا يماكس فيها ولا فى غيرها إذا اشتراه على سبيل الندرة وكان التجار يعرفون منه ذلك فيطلبون فى الكتب أضعاف ثمنها فان وافقه

الكتاب أخذه وإلا رده ولا ينقص من الثمن وكذلك إذا كان حاضرًا وقِت شراء شيء له لا يدع أحد يما كس عنه بل يقول اللوكيل ادفع الثمن وهكذا كان حاله في البيع أيضاً فانه إذا توقف على ثمن شيء باعه بما أعطى فيه ولوكان رام عشر ثمنه وكم كتاب ثمنه أربعون ريالا واشتراه هو بأكثر[ّ] من ذلك فأتاه فيه سمسار الكتب بأربعة وخمسة فباعه كلسِان العرب وفتح البارى وشرح عليش على خليل وأمثالها وكم كتاب اشتراه بعشرين فأتاه فيه السمسار باثنين وقد باع بهذه الطريق مئات المجلدات حيث استبدان مرة نجو الف ريال من رجل فجاء يطلبه منه قبل أن يتيسر فأخرج مكتبته وباعها فما أتاه السمسار في كتاب بربع ممنه قط بل على النسبة التي ذكرناها من نصفالعشر وربعه وهو يعلم ذلك ويعلمفساد سيرة ذلك السمسار ومايصرف فيه تلك الأموال التي يسرقها في البيع ولكنه لفرط حيائه وحقارة الدنيا في نظره لإ يتوقف في شيء من ذلك وأين هذا من علماء الوقت الأغنياء الذين يَمكثون الزمن الطويل يما كسون على القرش ونصفه وربما وعظوا من رأوه لاعاكس ويستدلون بحديث ينسبونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ماكسوا ألسوقة وهو حديث باطل موضوع ويعرضون عن السنة الصحيحة الواردة عدح السهولة في البيع والشراء والقضاء والإقنضاء والتخلق بأخلاق كمل الرجال

وكان لا يمد رجليه لا وحده ولا مع أهله لا في حالة المرض ولا في حالة السحة وربما مد إحداهما قليلا إذا تعب بحيث لا يخرج بمدها عن هيأة المتربع وإنما كان يكثر من جلوس القرفصاء لا سما عند المطالعة والكتابة وما رأيته طول عمري ماداً رجليه ولا مستلقياً على قفاه ولا رافعاً إحدى رجليه على الاخرى في جميع أطوار حياته وذلك لعظيم مروءته وكمال أدبه مع الله تعالى وتمام مراقبته .

وكان اذا غاب عنه أحيد من جلاسه تفقده بالسؤال عنه و إذا علم بمرضه

تعاهده بالسؤال وارسال من ينوب عنه فى العيادة مع وصف الادوية ولربما أرسل فى اليوم الواحد مرتين وثلاثاً حتى كأن المريض من أعز أولاده كل ذلك قياما بحقوق الاخوة فى الله وآداب الصحبة والمجالسة فيه

وكان إذا قصده أحدالسلام عليه لايعطيه يده يقبلها إلا إذا انحني هو على رأسه يقبله أوكتفه وما رأيته أعطى أحداً يده يقبلها وهولا يتحرك ولاينحني عليه أصلا إلا مع أولاده الصغار حتى كنا نتعجب غاية ممن نراه يمد يده من العلماء والشيوخ لمن يريد تتبيلها من غير تحرك ولا تقبيل منهم أيضاً ليد المسلم أو رأسه ظناً منا أن ذلك هو حال جميع العلماء حتى علمنا أن ذلك مها ونفرد هو به لكال أدبه مع الله ومع خلقه وتمام تواضعه مع الناس.

وكان مفرد زمانه في قضاء حوائج المسلمين والسعى في مصالحهم لايكاد عمر عليه يوم دون أن يجرى الحق سبحانه وتعالى على يديه فيه قضاء حاجة أو حوائج على اختلاف المراتب والطبقات حتى كأن بيته من أعظم الادارات المقصودة لذلك فمنهم من يطلب المال والمعونة ومن يطلب الدواء أوالتوسط في دخول المستشنى مجاناً أو السفر كذلك أو إخراج ورقة الجواز إذا كان ممنوعاً أو متعسراً على مثله أو الشفاعة عند الحكام في قضية أو عند القاضى أو عند بعض التجار أوطلب وظيفة أو إسقاط دين أو تظلم من ظالم أو نحو هذا مما كان يمضى غالب يومه في قضائه إما بنفسه أو بارسال رسل ومكاتب ورطة سواء من أصحابه أو من غيره إلا ويقصده لفك معضلته وتفريج كربته وكان يحث غيره على ذلك وينوه به غاية ويقول إن المجاهدة ومكابدة الاعمال وكان محث غيره على ذلك وينوه به غاية ويقول إن المجاهدة ومكابدة الاعمال ولمائع أهله ولم يبقاليوم إلا المحبة والتقرب إلى الله تعالى بالسعى في قضاء حوائج

المسلمين وإغائة الملهوفين فان ذلك ممايرجم اللهبه العبد ويأخذبيده كما أخذ هو بيد أخيه ومن أخذ الله بيده فقد أوصله الىكل خير

وكان فىبذل الجاه عند الحكام المسلمين والنصارى فىالشفاعات لامجارى ولا يبارى ولا يستطيع أحد من أهل العصر أن يدرك له فيه غباراً فان الخلق كانت تنو ارد عليه أفو آجاً أفو اجاً فيرسل الرسل ويكتب المكاتب بخطه إلى الجهات المعيدة إلى القاضي والباشاو الوزير والمندوب والحاكم والمراقب بالمدن والقبائل والمنطقتين السلطانية والخليفية وحكام الدولتينالفرنسية والاسبانية وعند سفراء الدول الأخرىأيضاً إن تعلقت المسألة بواحد منهم وربما كتب في اليوم عدة مكاتبور بما أرسل الحاكم الواحدعدة مكاتب أيضاً فيالقضية الواحدة بخسب رغبات أهلها لايضجر من ذلك ولا يمل ولا يرد طلب طالب فيه ولا مسألة سائل سواء قضيت تلك المسـألة وقملت الشفاعة أم لاورها يبلغه عن الحاكم كلام قبيح قاله في حقه وفعل فعله مع بعض أصحابه ثم إذاجاء اليه أحد يطلب الشفاعة عند ذلك الحاكم أيضاً لايعتذر له بأنه عدوله أو بأنه لايقضى مايطلبه منه مل يسارع إلى إجابة طلبه وإرسال رسول من جهته أو كتابة كتاب اليه فلا يحصىكم مسجون خرج منالسجن بشفاعته بعد أن حكم عليه بالسنين الطويلة ومنهم جماعة كبيرة ممنحكم عليهم بالثلاثين والأربعين لعظم جرائمهم السياسية فيخرجون بعد السنة ومنهممن لم يكمل السنة ولا يحصىكم وظف في الوظائف المختلفة من قضاءو ولاية على قبيلة أو قرية وكتابة وتدريس وعدالة وغير ذلك مها لايكاد يدخل تحت الحصر ولا رأينــا شرقا وغربا من الظاهرين في الوقت بالفضل والرياسة والجاه من يستطيعأن يتحمل عشرمعشار ذلك ولعلم الناس بهذا أقبلوا على الشيخ رضى الله عنه

وكان لايدعو أحداً من الناس السلام المجرد بدون سيادة ولايذكره كذلك في غيبته ولا يقتصر على ماجرى به عرف الناس من لفظ السي بحذف الدال

بل يذكر لفظ السيادة بكامل حرونه الشريف والمشروف والغالم والجاهل وكان كثيراً مايخاطب الرجل بمولاى زيادة فى الاكرام والاخترام امثنالا لامر الله تعالى بأن نقول للناس حسناً

وكان لا يمزح ويكره المزاح وينهى عنه حتى صفار الاولاد ويتعجب من أهل العلم الذين يمزحون لاسيا في دروسهم فانه لما توجه الى القاهرة سنة خس وأربعين وكان يسمع عن بعض الظاهرين فيهابالدعوة الى العمل بالسنة والقيام بها وبلغه أنه يقرأ سنن أبى داود ذهب لحضور مجلسه والتبرك به فلما جلس لم يلبث إلا لحظة واذا بالشيخ المربى صاحب الاتباع الكثيرين الدامى إلى السنة فيا بزعم شرع يحكى الوروس ليلة دخولها ويقلد فعلها وصوتها وصوت النسوة اللاتي يكن معها وهو بلحيته البيضاء فوق الكرسي يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعايم واللحي ملتفة حرله . فقام الشيخ وخرج متدهشاً مها لم يره ولاخطر له على بال أن يوجد مثله وكان يحكى دلك على سبيل التعجب طول حياته ويضيف اليه ماهو قريب منه مها رآه من بعض علناء القاهرة أيضاً

وسمعت شيخنا الامام أبا عبد الله سيدى محمد بن جعفر الكتانى يقول كنت مرة أذكر الله تعالى فرأيت كانشخصاً لطيفاً وقف بين يدى فقلت ما الذي قطع فلاناً عن الله وسميت بعض من كان و الوقت ينسب الى الصلاح و يحدث عن نفسه بأشياء فقال كثرة مزاحه معالناس قال وقلت له ذلك باللسان الذي لم يفتر عن الذكر يعنى أنه نطق بالكلام المذكور في حال نطقه بالذكر معاً فكان رضى الله عنه يحكى أن هذا من الكرامات التي وقعت له

وكان الشيخ رضى الله عنه ينزل الناس على حسب منازلهم التى أنزلهم الله بها ويعامل كل واحد منهم ظاهراً فى المجاملة والبر والاكرام على قدر منزلته فلايساوى بين الشريف والعامى ولابين العالم والجاهل ولابين أهل النسبة والققراء المتجردين لذكر الله وغيرهم من عوام الناس امتثالا للسنة الواردة بذلك وقياما

بالتدبير الذي جعله الله بين عباده فلأند دبر الهم الأخوال من غنى وفقر وغزو ذل ورقعة وصفة وعلم وجهل وقوة وضعف لتقوم بذلك حكمته فيهم فالماقل عن الله يعامل أهل وقته على مقتصى تدبير الله للم فاذا لم ينزل الرجل منزلته التي أنزله الله بها فقد استهان به وجفاه و ترك موافقة الله تعالى في تدبيره وكان ما أفسد أكثر مها أصلح الأنه عكس تدبير الله على مقتضى الحكمة البالغة فالغنى اذا أقصيت مجلسه أوحقرت منزلته حقد عليك وتظاهر بعداوتك وأطلق لسأنه فيك الآن الله تعالى لم يعوده ذلك عاخوله من نعمه وأسبغ عليه من فضله واذا عاملت الولاة والحكام بمعاملة الرعية فقد تعرضت لما هو أكثر فسادا وأعظم شراً لاعتياده العزة والرفعة وتقوذ الكامة والاقتدار على التصرف في الغير فلا يقبل المساواة عن ولاه الله الحكم عليهم وأعطاه نفوذ الامرفيهم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أنزلوا الناس منازلهم كما في سنن أبي داودمن حديث عائشة رضى الله عنها وفي مقدمة صحيح مسلم عنها قالت أمر نارسول حديث عائشة رضى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم

وورد من طرق متعددة تزيد على العشرة عن النبى ضلى الله عليه وسلم قال اذا أتاكم كريم قوم قال الشيخ قال الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه يدخل فيه كل كريم لقوم من سائر الاديان لا من المسلمين فقط لعموم اللفظ وشمول المعنى وتحقق الحكمة والعلة في الجميم

وكثير من الجهال يظن أن الصلاح والتقوى فى التسوية بين الشريف والمشروف وربما يجعل ذلك ميزاناً يحكم به بالفضل وغيره فيقول لوكان فلان فاضلا أو صالحا لسوى بين عباد الله فى الرتبة والبر والاكرام واذ لم يفعل ذلك فهو ذو وجوه وأغراض وذلك من فرط جهلهم ووجود حقد فى بواطنهم وتطلع الى منازل ورتب لم يجعلهم الله من أهلها ولم يقض لهم بشىء منها فهم شيوعية الجاه والمنزلة يريدون أن يقلبوا حكمة الله فى خلقه وسننه بين عباده

والمقصود أن الشيخ رضى الله عنه كان ينزل الناس منازلهم كما امره الله تعالى وذلك بالنسبة الى الظاهراما ما يتعلق بالباطن والمحبة القابية فكان عجباً لا يفهمه الا من يفهم ما لاولياء الله تعالى من الكشف والنظر بعين البصيرة والسير مع مراد الله تعالى من خلقه فى الباطن وحقيقة الامر لا ماهو ظاهر عليهم فى الحال من الحركات والاعمال فان الشيخ رضى الله عنه كان يحب بعض الافراد محبة زائدة ويعتنى من شأنهم وقضاء أوطارهم وإجابتهم إلى رغبانهم عالا يفعله معغيرهم ويفرح عقابلتهم وينشط لمجالستهم وهم من أهل التخليط فى الاعمال وتباغه عنهم تلك الاعمال السيئة والافعال القبيحة وترد اليه الشكايات المتعددة فلا يزيد على أن يتعجب مر ذلك أو يضحك منه ولا يكلم ذلك الشخص ولا يو بخه وربما كله بلين ورفق اجابة لرغبة الشاكى فقط ولا ينقص الشخص ولا يو بخه و ربما كله بلين ورفق اجابة لرغبة الشاكى فقط ولا ينقص والعسلاح والفضل فيثقل عليه أمره ويقابله ظاهراً بما يجب له ويقضى ما ربه ولا يفرح وينشط كما يفرح لغيره وهذا من كشفه رضى الله عنه واطلاعه على المقامات الباطنة

قال سيدى ياقوت العرشى رضى الله عنه ينبغي للفقير ان يعظم الناس بحسب دينهم فى الساطن لا بحسب ثيابهم قال وقد رأيت شيخنا ابا العباس المرسى رضى الله عنه كثيرا ما يكرم بعض العاصين اكثر من بعض المطيعين فقلت له يوما فى ذلك فقال انه يظهر لى من المطيع عز النفس والكبر ومن العاصى ذل النفس والاحتقار فأعامل كل واحد بحسب ما فى باطنه ه. فحالة العارف الشيخ رضى الله عنه جامعة بين الشريعة والحقيقة وهى اعلى من حالة العارف الشعرانى رضى الله عنه الذى كان ينزل الناس منازلهم بحسب ما هم عليه من خالفة المفس ولا يعظم بحسب الظاهر والثياب والضخامة لما فى ذلك من مخالفة الحكة التى درها الله لحلقه وامر بها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

فص ___ ل

وكان لا يذهب إلى أحد من أهل الدنيا وأغنياتهم المشاهير ولو ألحوا في دعوته لا سيا في أواخر عمره وكذلك كان لا يذهب إلى الحكام ولا إلى المحاكم بل كان يرسل في الشفاعات أصحابه تارة بالمشافهة وأحياناً بالكتابة وربما طلب من الحاكم أن يقدم اليه ليكامه في القضية إذا كانت مهمة فلا يتأخر عن ذلك لا سيا حكام النصارى فأنهم كانوا يريدون الشرف برؤيت والافتخار بالاجتماع به ولم يذهب إلى الحكام بنفسه إلا مرتين سافر من طنجة إلى تطوان لمقابلة المندوب السامى في شأن مصالح المنطقة الفهارية مع الدولة الفرنسية والمراقبة الدولية والحاكم العام المنطقة الخليفية بتطوان لا يسمح له بالقدوم إلى طنجة فلذلك اضطر الشيخ أن يشد الرحلة لمقابلته مع عظم مصلحة تلك القبائل كافة

وكان شديد الكراهة للرياسة ، ولمن يميل اليهاو يستجهله غايه ويعد قلبه خارغا من النور والاخلاص في الأعمال اذ لو كان نور العمل حالا بقلبه لا كسبه حب الخفاء والتواضع والاستكانة لله عز وجل ولعرفه بقدر نفسه ومنزلنها من خلق الله تعالى الذين يريد ان يترأس عليهم وما يدخل على دينه في ذلك من عظيم الشر والفساد فكان لا يميل الى ما فيه رائحة تقدم أو رياسة حتى التقدم للصلاة ، بل كان يقدم لها من حضر غالبا وكذلك اذا خرج لا يترك أحدا من أصحابه يتبعه ويمشى خلفه لاسيا معالتعدد والكثرة بل يقدمهم أمامه اذا كانوا قاصدين جميعا محلا واحدا ومن أجل ذلك كان لا يمر في الشوارع العامرة لئلا يزدحم الناس للسلام عليه كما قدمناه .

وكان لا يتميز عن العامة في الملبس ولا ينفرد عنهم بشيء أصلا مما ينفرد يه العلماء وأرباب المناصب والوجاهة فلايلبس الكساء ولا البرنس ولايركب

المغلة كما هو حال علماء المغرب ووجهائه قبل ظهور العربات ، بل وحال علماء المشرق أيضاً فكان لا يزيد على الجلابة التى يلبسها عامة الناس لا فى الاعياد والمواسم ولا فى سائر الايام ولا يوافق على شىء من ذلك لا بجاله أيضاً ولا يتصوران يرى واحداً منهم متميزاً عن عامة الناس فى شىء من الاشياء أصلا وذلك كان حال النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح والعلماء العاملين حتى ظهر الفجار من العلماء الذين هم ليسوا على شىء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فترخصوا فى الترف والترفة وتوسعوا فى مخالفة الشريعة والسنة محتجين لهوى نفوسهم بالمصالح المرسلة الهادمة للدين منمةين ذلك ومزوقين إياه لالقاء الغبار فى أعين العوام حتى لا يحتقروهم ويفسقوهم ومزوقين إياه لالقاء الغبار فى أعين العوام حتى لا يحتقروهم ويفسقوهم فاضر الدين بهلاكهم والقضاء عليهم آمين .

وكان يكره التشبه بأهل الدنيا في الملبس والمعيشة وفراش البيت وكل ما فيه دفاهية وترفع على الناس فلا يلبس الثياب الرفيعة الجيدة ولا الرقيقة ولا ما فيه خيط واحد من الحرير ولا الثوب المزرر كالقفطان والفرجية ولا ما تفصيله وهياته من شكل لباس المترفين وهياتهم ولا يفعل ذلك بأحد من أولاده و إذا أهدى له أو لاولاده شيء منها تصدق به في الحال ولم يكن يفرش في الغرف والبيوت زرابي وسجاجيد أصلا بل كلها مفروشة بالحصر ومراتب التبن إلا غرفة أو المنتين في الخال عمر اتب الصوف و الحصر ولماظهر النور المكهربائي امتنع من ادخاله مع حرص الناس عليه في ذلك مدة تزيد على المحربائي امتنع من ادخاله مع حرص الناس عليه في ذلك مدة تزيد على العشر سنين لانه كان في بداية ظهوره من شأن الاغنياء والمترفين وما أذن بادخاله إلى بيته وكان الواقف على البناء بعض أصحابه فعمل مقتضي نظره زليجا في الحائط وشبابيك ذات أقواس منمقة فلما سكن بالدار ومرت مدة أمر بقلع تلك الشبابيك وإزالة الزليج من الحيطان حتى صار البيت في شكله كبيوت الفقراء وعامة الناس

وكان يفضب غضبا شديدا إذا رأى منأحد أولاده ميلا لأنناء الدنيا فى التشبه بهم والسير على منهاجهم لأنه كان لا يرى ذنباً أعظم من حب الدنيا والدخول في مداخلها والتطلع إلى أهلها ويقول لاولاده افعملوا ما شئتم فانى أرجو اكم رحمة الله إلاحب الدنيا وطلبها والتشبه بأهلها فانه لايرجي لكم فلاح مع ذلك وكيف ينظر الله إليكم ويرحمكم ويفتح بصائركم وقلوبكم ملطخة بحب الدنيــا التي هي أبغض شيء إلى الله تعــالي و يحن لا نحب منكم. مالا ولا خدمة و إنما نحب أن تكونوا رجالا نلتى الله تعالى بكم فى صحيفتنا وتبيضوا وجهنا معالله تعالى ورسواه صلىالله عليه وسلم وذلك بالعمل بالسنة واتباع طريق السلف الصالح لا بحب الدنيا والبحث عنها فان كل من فى الدنيا حاله كذلك فأى فائدة للعلم والعمل إذا كنا من حجاتهم وهذا من أغرب ما اختص به الشيخ رضي الله عنه وخالف به أهل عصره من شيوخ الوقت وفضلائه فضلا عن علماء الوقت الفجار الذين هم أشد الناس حباللدنياً ورغبة فيها وحِرصا عليها وعلى تعليم أولادهم ما يوصلهم إلى الدنيا ولو بذهاب دينهم وكُفرهم وإلحادهم لا بأرك الله فيهم ولا فيأولادهم فما خرب الدين إلا من جهتهم .

وكان شديد الكراهة لما فيه تشبه بالكفار ولو في الشيء اليسير ويبالغ في الزجر عن ذلك والنهى عنه ويتعجب من حال علماء مصر في التشبه بهم في البسأحذيتهم وهيأة فراشهم ومساكمهم وفي الأكل بالشوكة والسكين وقص اللحى وحلقها ويقول ما شخوا رائحة العلم ولا وصل شيء منه إلى قلوبهم وإنما هم ساسرة الشهر والفساد يحترفون بالعلم ويأكلون به ويضلون من يقتدى بهم لظنه أنهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء ومعاذالله أن يكون ورثة الانبياء مع ما هم عليه من هتك الشريعة وخراب الدين فكان لا يتصور أن يقطع أحد الخبر بالسكين على ما ثدته فضلا عن أن يأكل بالشوكة والسكين ولا يتصور أن يابس حاجة مما فيه تشبه بالكفار لولده الطفل الرضيع ابن شهرين فضلا عن فوقه ، بل والكتب على كثرتها كانت عنده موضوعة وضعا عزبيا

كل مجلد فوق الآخر إلى نحو عشرين مجلداً وكان دائمًا يتعب فى أخذ المجلد الذي يريده لا سيما إذا كان هو أسفل مجلد وطولب مرارا أن يضع الكتب على الشكل الحديث كل مجلد قائم بنفسه لسهولة تناوله فأبي لما فيه من التشبه بالفرنج فما بالك بما هو أكثر من هذا وأقرب شبها منه بأحوالهم ولمادخل بعض بيوت كبار العلماء ومشايخ الاسلام في مصر ورأى هيأته الفرنجية المنكرة كان يتعجب ويضحك من صنع الله بهم ولا ينقضي عحسه منهم، ويقول لا أدرى كيف يستجيزون هذا أو يرضونه لدينهم ولا على الى دار يعتمدون في ارتكابه نسأل الله العافية .

وإذا كان العارف أبو الحسن ابن ميمون ألف فى أواخر القرن التاسع كتابه غربة الاسلام بين المتفقهة والمتفقرة بمصر والشام وما والاها من بلاد الاعجام وحكم فيه بكفرهم وردتهم ومروقهم من الدين فها بالك لو رأى هؤلاء المجرمين المتفرنجين بل هم والله شر من تحت أديم السماء كما ورد فى السنة المطهرة.

فص___ل

وكان يكرهالوظائف الحكومية وينهى عنها كل من يحبه ويأمره بالتباعد منها والنكسب بالحرفة والنجارة لا سيا خطة القضاء والشهادة فانه كان يبالغ غاية فى الزجر عنهاوالتنفير منها ويقول لان يبيع طالب العلم الفحم والحطب والنعناع ويدور به فى الاسواق والشوارع خير له فى دينه ومروءته من تولية القضاء والشهادة اليوم لغابة الشر والفساد على أهل هذين الخطتين بل كان ينهى عن مجالسة القضاة والعدول ويجعل مجالستهم دليلا على فساد الاخلاق والتهور فى الدين فقد أخبرته يوما أنى رأيت بعض أهل العلم الموصوفين بالصلاح جالساً فى دكان بعض العدول فصار يبدى عجبه الشديد ويقول كيف استجاز الجلوس معهم وهو يعلم حالهم بل نهى مرة بعض أمجاله عن

المرور من الشارع الذى فيه دكاكين العدول .

وجاء اليه مرة من يخبره بأن أحد أصهاره ولى رياسة محكمة الاستئناف بطنجة كانه يريد بشارة الشيخ بذلك فغضب وقال له تريد بشارة الشيخ بذلك فغضب وقال له تريد بشارة الله يفرح به وجاء اليه مرة صهر له يستشيره فى تولية منصب خليفة القاضى بتطوان إذ عرض عليه ذلك المنصب من أهلها وأبى أن يتقدم اليه حتى يستشير الشيخ لعلمه بكراهته لذلك فمنعه منه وأمره بالتدريس ووعده إن امتثل أمره أن يفتح الله تعالى عايه بالرزق من حيث لا يعلم وأن لا يحتاج طول عمره فكان كا قال .

وكان رضى الله عنه وقافاً عنـــد الشبهات شديد التيقظ في شئون الورع يتنمه لمالا يتنبه له غير، ويقف عند مالا يظن بأحد الوقوف عنده من الدقائق والخفيات ولايقدم على أمرحتي يعلم حكم الله فيه ويراجع أقوال أئمة المذاهب ويحيط عا في الأمر من رحصة وعزيمة وتخفيف وتشديد وعند ذلك يترخص في الفمل والاذن لغيره أو يرجح جانب المنع فيتأخر عنــ وعن الاذن به وقضاياه في هذا كثيرة جداً بالنسبة لامور الحادثات والمخترعات الجديدة التي تحتاج إلى بحث عن حكم الله فيها بل التذ. لمسائل الورع كان من أخص حواله وأهم الامور عنده حتى كان ينبه العالم والفقيه والصوفى لما كان الواحد منهم يظن أنه من أشد الاشياء موافقة للشرع وانه لا محظور فيه أصلا فاذا ما ببن له وجه ذلك تعجب من دقة نظر الشيــخ وغوصه على الحقائق في هذا الباب وربما توقف من جهة التهمة وسوء الظن ويقول ان الفعل جائز شرعا لا محظور فيه ولكن الله أمرنا أن نتباعــد من مواقف التهم وأن لا نوقع المسلمين فيه وربما علم حكم الله في المسألة من جهة الدليل من الكتاب والسنة ونصوص فقهاء المذهب ولكنه لخفائه على كثير من الناس لا يأمر به حتى يقول للسائل مثلااستصدر فناوى العلماء حتى لا يكون هومستأثراً بعلمه

ومعرفته وربما توقف فى نفسه حى يسأل العلماء وهو من أعجب الاحوال وأغربها بالنسبة الى ماكان عليه من الاطلاع الواسع فى الفقه بحيث لايكاد يشذ عن علمه منه فرع لا سيا بعد التعبدى للبحث والاطلاع وتوقف فى تجليد الكتب عند مجلد نصرانى حيث لم يكن بالبلد مجلد مسلم فعرف حكم الله فى ذلك من الدليل ووقف على أقوال الائمة فيه ولم تطمئن نفسه دون استيفتاء العلما فأمرنى بارسال سؤال الى مفتى الديار المصرية وعالمها شيخنا الشيب محمد بخيت وكتب هو رضى الله عنه الى مفتى الديار المغربية. وفقيهها صيدى المهدى الوزانى

فكتبت إلى الأول ما صورته ما قولكم أطال الله رعيكم في تجليد كتب التفسير والحديث والفقه وغيرها عند مجلد كافر هل ممنوع كما يؤخذ من كلام بعض المالكية إذ قال يمنع بيع التوراة والإنجيل للكفار وكذا إعطاء دراهمنا التي فيها اسم الله لهم لما في ذلك من إهانة اسم الله وكلامه أم هو جائز كما يستفاد من رسالةالنبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل كما في الصحيح وفيها اسم الله وذكر آيات من كتابه أفيدونا بجواب كاف مبسوط بالأدلة الشرعية ولكم الثواب .

فأجاب بقولة اطلعنا على هذا السؤال ونقول قال قارىء الهداية أهل الذمة في المعاملات كالمسلمين في اجاز للمسلم فعله في ما كه جاز لهم و مالافلا اه و كتب الأصول والفروع مشحونة بأن الكفار في المعاملات كالمسلمين سواء لهم فيها ما للمسلمين وعليهم ما عليهم و كتب الأحاديث مملوءة بأنه صلى الله عليه وسلم استعان بالكفار في عدة أمور اذا علمت هذا علمت أنه يجوز للمسلمين أن يعاملوهم بجميع المعاملات من بينع وشراء واستصناع أهل الحرف منهم كما يجوز لهم ذلك مع المسلمين ولذلك لما كان مدار المعاملات على الدراهم والدنانير وكانت تلك في صدر الاسلام عليها تماثيلهم لم يستنكف المسلمون عن تداولها والمعاملة بها في بينهم وفيا بينهم وبين الكفار المتوطنين معهم عن تداولها والمعاملة بها فيا بينهم وفيا بينهم وبين الكفار المتوطنين معهم

في دار الاسلام كما لم يمتنعوا من مبايعتهم واستصناعهم كما أن عبد الملك بن مروان لما ضرب الدراهم والدنانير فى عصره كتب عليها بعض آيات قرآنيــة. لسبب أمر مذكور في التواريخ تداولها الناسكافة وتعاملوا بها بلا فرق بين مسلم وذمى ومن هذا يعلم أن تجليد كتب التفسير والحديث والفقه وغيرها من الكتب المشتملة على بعض آيات من القرآن و بعض الاحاديث عنـــد مجلد كافر أن هذًّا من قبيلالاستصناع واماما نقلءن بعض أعمَّة المالكية وهو قوله يمنع بيع النوراة الخ . فمثله آيضاً موجود فى كتب الحنفية قال فى شرح السير الكبير لاينبغي للامير أن ببيعالتوراة والانجيل والزبور من المشركين مخافة أن يضلوا به فيكون هو السبب فى فتنتهم واصرارهم على الكفر وذلك لا رخصة فيه وكذلك لا يبيع من مسلم وكذلك لايقسمه بين الغاعين وأما الدراهم والدنانير فلا بأس بقسمته ا وبيعها قبل أن تكسر ألا ترى أن المسلمين يتبايعون بدراهم الاعاجم وفيها التماثيل والتيجان ولايمنع أحدمن المعاملة بذلك وإنما يكره هذا مما يلبس أو يعبد من دون الله من الصليب ونحوه اه . ولا شــك أن هناك فرقا بين الاستصناع وتجايد الكتب لأن المقصود منه مجرد هذا العمل لاغير ، واما بيع التورَّا، ونحو ذلك فالقصد التمليك نعم لا يجوز ان يجلد القرآن لان مسه للمحدث مكروه تحريما او حرام لما فيه من مس الكافر له عند التجليد ولا شك في انه محدث اما حدثا اصغر اوكلا من الحدثين هذا ما رأيناه والله أعلم ا هـ .

وأجاب الثانى بقوله وأما تجليد النصرانى للكتب فيظهر أنه لا بأس به إن لم يظهر منه مكروه فى تجليدها لحمل أمرهم على الطهارة فى الاشسياء التى يتناولها وقد تذاكرت مع بعض العلماء المشاهير هنا فقال لى لا بأس بذلك ويمكن الحكم النظر فيها إذ يرى الحاضر ما لا يرى الغائب.

وكان لاياً كل طعام الكفار ولا حلواءهم وسمعته مرة يقول من نعمالله على أنىماذفت الشكولاطة فىحياتىولماتوجه إلىالقاهرة مكث طول مدة السفر لاياً كل إلا الخبزوالزبدة ولا يأكل مايقدمه أهل البابورمن الإطعمة الفاخرة لأهل الدرجة التي ركب فيهـا ولا من المباحة مثل السمك المقلى والبيض والخضروات ونحوها

وكذلك لايستعمل دواءهم إذا مرض خوفاً أن يكون فيه خمر أو مجاسة مع أنه كان يأمرغيره بالتداوى عندهم وتناول أدويتهم لكنه لايستعمل ذلك فى نفسه وكذلك كان لايترك فى بيته آنية أو ثوباً فيه صورة ولو غير مجسمة وكم أبدى عجبه حين زار بعض كبار العلماء بمصر ورأى فى بيته انصاف صور الرخام المجسمة كما كان يتعجب من لبسهم للقفاطين التى سداها قطن و لحمتها حرير ولا يتفق له مايراه من أحوالهم مع العلم والعمل به

وكتب إلى مرة وأنا القاهرة قول وتغييركم اللباس به حيث اضطررتم اليه لعدم ملبوس المغاربة هذا كم لابأس به ولكرولابد ولابد اجتنب ما يترخص به علماء مصر من الحرير الكثير الذي يستعملونه في ملابسهم فأن ذلك من أقبح ما يرتكبونه من رخصهم البعيدة من منانة العلم والدين المحبوبة للشارع اه

قال فى النسمات لما ترجم لورعه رضى الله عنه كان قويا فى دينه محافظا على أو امر الشرع و اقتاً هند حدوده آخذاً بالعزائم تاركا للرخص لا يقدم على الامورحتى يعلم حكم الله فيها ولا يتناول من الاسياء إلا ما تحقق حليته واتضح حكمه وبانت سلامته ولا يحوم حول ماوقع فيه التردد والشبه بل كانت جميع شئونه مبنية على ماهو خالص من الشبه سالم من الاعتراض ظاهراً وباطناً وكان فى الظاهر متقيداً بمذهب مالك رضى الله عنه وفى حقيقة الامركان مجتهداً يأخذ الاحكام من أصلها والحقيقة من عينها ومع ذلك فكان لا يخرج عن مشهور المذهب لا فى نفسه ولا فى فتواه لغيره إلا لضرورة وذلك لكماله وتحفظه وشدة ورعه وسلوكه طريق الجمهور الذى هو قول العامة من الفقهاء وكان يتورع فى جميع شئونه من أكل وملبس ومسكن وكلام وقد كانت تهدى اليه يتورع فى جميع شئونه من أكل وملبس ومسكن وكلام وقد كانت تهدى اليه أشياء من مأكولات وملبوسات فلا يتناول منها إلاما تحقق سلامته من

القدم في هذا المقام لاتحركه الرياح العواصف ولا تعمل فيه المطامع ولاتستميله الحظوظ ولا تستفزه الرخص فما رأيت أحداً ممن اجتمعت به من علماء الوقت وشيوخه وصلحائه أعلى همة ولا أكمل ورعاولا أكثرعن الله فهما ولاأعظم بالله استغناء ولا اشد له محبة ولحرماته تعظيا من سيدنا رضى الله عنه فلا يعول في جميع أموره إلا على مولاه ولا يطاب حوا تجه إلا من الله ولا يتوكل إلا عليه ولا يستعين إلا به ولا يأخذ إلا من الله ولا يعطى الالله قد سقط الكون من نظره وثبت الحق في مشهده وسره قل جاء الحق وزهق الباطل النا الباطل كان زهوقا اه

وكان لا يكثر من تناول الشهوات ولوكانت مباحة سالمة من الشبه والعلل ويحث على عدم تناولها وعلى التقلل منها ويذم المسترسل فيها لاسيما اذا كان من طلبة العلم وأهل الطريق بل يستدل بذلك على عدم انتفاع الطالب بعلمه والفقير بتصوفه وذكره ويتعجب من حال علماء الوقت وصوفيته فىذلك .

فع___ل

وأما زهده في الدنيا وبغضه لها وإعراضه عنها وعما يقرب اليها فأمر يعترف به الموافق والمخالف من المسلمين والنصاري رجال حكومة الدولتين الفرنسية والاسبانية فقد سلكوا معه كل مسلك وعرضو اعليه من الاموال ووسائل الحصول عليها مايصير به أغنى أهل المغرب فما رفع اليهم رأساً ولا أجابهم الى مطلب ولا أسكت عن المعارضة ونشر ما يقتضيه الدين من الدعاية ضدهم في الدروس العمومية والمجالس الخاصة والعامة والسعى في ذلك بالأقوال والأفعال وبذل الأموال إلى أن أيس من المسلمين وتحقق من مراه الله فيهم فعند ذلك لزم بيته وأقبل على شأنه وترك الأمو له بدون معارضة فيهم بين الشريعة والحقيقة وامتثل أمر الله تعالى في الأول والآخر وحرك سلسلة الأسباب فلما علم أن مراد الله من خلقه في الوقت ماهم عليه ألتي مقاليد

التسليم وصار ينتظر ما يبرز من الحضرة الالهية بدون حركة ولاتسبب متمسكا بعروة انتظار الفرج بالصبر عبادة كها قال النبي صلى الله عليه وسلم

وقد قدم اليه مرة المندوب الاسباني أربعين الف ريال أسبانية ليوافق على تولية بعض الظامة الجائرين على القبائل الغمارية ، فقال له ؛ لو ملأت لى هذه الغرفة ذهبا ما وافقت على تولية رجل ظلم المسلمين ويساب اموالهم ويسفك دماءهم فازداد عظمة وجلالة في اعينهم حيث لم يرفع راسا لما قدموه اليه من ذلك القدر العظيم الذي من كان يمتلكه في ذلك الوقت كان من اعاظم الاغنياء ، لا سيا والرجل المذكور كان متوليا للحكم ، واعما كان الشيخ بنازع في تولينه ويطلب عزله من الحكام لفرط إذايته للمسلمين .

وخاطبته دولة فرنسا مراراً على يد سماسرتها بأنها ستمد له بد المساعدة في المغرب بأسره وترفع من شأنه على جميد ع شيوخ المغرب وتساعد على نشر طريقته وكثرة أتباعه وتسهيل مضالحه ، فكان يجيب عن ذلك بألذم الشديد لهما والتصريح البالغ المنتهى في ذلك عما لا يستطيع احمد سماعه فضلا عن النطق به ، لا سما مع سماسرتها الذين هم عندها بمنزلة الوزراء وعظماء رجال الدولة لحقارة الدنيا في نظره وعلمه بدسائس فرنسا وما تقصده وراء ذلك من القضاء على المرء وهلاك دينه .

واما السلطان عسد الحفيظ فلو اجاب رغبته الآكيدة في الاجتماع به ولو مرة واحدة لاغناه ، وقدم اليه من كرائم الأموال مالا يقدمه ملك لمثله فقد مكث ازيد من شهرين يتملق ويرغب ويتوسل بكل الوسائل فما اجابه إلى ذلك ولا راعى فيه الوسائط والشفعاء الذين طال ترددهم اليه وإلحاحهم عليه في الاجتماع الاخذهم الأموال الكثيرة على ذلك من عبد الحقيظ .

وكانت عنده رسوم معادن للفضة والحديد وانواع اخرى بالبلاد الغمارية فتخاطبه بعضهم مراراً في مباشرة امرها مع الحكومة والشركات فكان يجيب بأنه لا يرشد الكفار إلى معادن المسلمين ولا يكون السبب

فى تملكهم إياها ، ولما كثر الالحاج والطلب عليه اضاع تلك الأوراق والرسوم

وكان كثير من الفقراء يهدون اليه الاراضي ويكنبون له الاثلاث فيرد ذلك ولا يقبله كما أنه زهد في ميراث أيه فها سأل عن شيء منه قط لا عن رقبته ولا عن إيراده من الزيت والحبوب وغيرها في أمثال هذا مما لم نسخ به عن أحد من أولياء العصر وشيوخه الصالحين فضلا عمن دونهم من الدجاجلة المتمشيخين فقد اغتنى جلهم بالمفرب وبلغت رؤوس أموالهم الملايين وامتلكوا القرى والصياع حتى قال لى بمض الفضلاء يوما وهو الملايين وامتلكوا القرى والصياع حتى قال لى بمض الفضلاء يوما وهو يحدثني عن غنى بعضهم أنه جمع من الدنيا ما لم يدخل بيد جميع أسلافه من ظهور الاسلام الى اليوم بل لو جمع ما دخل بيد جميع أسلافه لما بلغ نصف ما امتلكه هو وحده كل هذا ذلوه بموالاة فرنسا وموافقتها على أغراضها وخدمة سياسها وتثبيت قدمها في المغرب وتحكمها في رقاب المسلمين حتى صار شيوخ الطريقة بالمغرب كلهم جواسيس وعيون على حركات المسلمين العامة والخاصة نسأل الله العافية عنه .

ومن زهده فى الدنيا وحقارتها فى نظره عدم اهتمامه بشؤون البيت والوازمه الضرورية فكانت الآيدى الكثيرة كلها عاملة بما تهواه فكل يطبخ مايشاء ويأخذ مايشاء متى شاء فكان يحصل بذلك ضياع كبير فوق الخاجة فى أمور المعبشة والآوانى والملاس بماكان يمرض غيره للاطلاع عليه وهولا بهتم بشىء من ذلك ولا يفكر فيه ولا يجعل لذلك التضييع والاسراف حداً ولا يلقى له بالاكأنه غير موجود فى البيت بل هورضى الله عنه غائب عن كل ذلك مشتغل بربه هائم فى مراقبة جلاله وشهود جاله لا يتكدر للدنياكلها لو خرجت من يده فضلا عها هو فى بيته .

ولما شرع فى همارة البيت لسكناه كلف به أحد الفقراء وصاركهما يفتح الله به يدفعه له ولا يسأله عما دفع ولا ما بتى ولا يأخذ منه حسابا ولا يكلمه

فى ذلك أصلا ولا يأمر فى البناء بكيفية ولا يشير الى حاجة ولا قدم اليه يوما ليراه حتى تم ودخل يسكنه مرة واحدة ثم لما ضاق البيت اشترى دوراً كانت مجاورة له وأدخلها فيه بهذه الطريقة مع فقير آخر وهو رجل مسرف لا يخاف الله ولا يراقبه فى خلقه فكان يصرف من المال الذى يدفعه إليه الشيخ لاجل البناء ما يشاء فى أغراضه الفاسدة وشهواته الساقطة والشيخ يعلم بذلك فلا يرده عنه وعن المعاملة معه كما كان بل قال يوما لمن كلمه فى شأن ذلك من يوكل لا يخاصم نحن فوضنا إليه فلا تحاسبه ولا نراقبه ثم لما طالت الشكاية وكر الكام من الناس أشرك معه بعض من كان يدخل اليه كل يوم بعيوب ذلك المكلف وجعل المال تحت يدهما معا فكانا يصرفان منه جميعا فى شهواتهما وأغراضهما وانضم اليهما ثالث فكان كذلك والشيخ رضى الله عنه لا يزيد على الضحك اذا اخبر بشىء من ذلك

ودخل بيده مرة احدعشر الف ريال فأرسل اليه بعضالفقراء يطلب منه ان يدفعها اليه يتجربها ويقلبها من سكة الى اخرى ثم يعيدها في اقرب وقت ، فكثت عنده سننين وادعى أنه خسر في التجارة والنفقة فذهب جيعها ولم يبق منها قرش واحد . فتعجب الشبخ من حاله وحرصه على الدنيا وعلم ان الدنيا هي منتهى نظره وقصده من صحبته فما كلمه بكلمة واحدة ، بلزاد فأرسل اليه خسمائة ريال لبعضهم يقول له أمنها لناعندك حتى يظهر ربها فادعى بعد أيام أنها سرقت من الدكان مع ان الدكان داخل وكالة لها باب عليها خفير ينام بالوكالة ساهرا على الدكاكين ، في ا تكلم بكلمة مع ظهور كذبه كالشمس في رابعة النهار ، بل قال حيث إنهم لم يريدوا من صحبتنا الا الدنيا فدعهم يأخذون ما وجدوا منها فليست الدنيا كلها بشيء حتى نتكدر لاجلها . ووقائعه في هذا كثيرة جدا لا تكاد محصى .

وفى أواخر عمره بلغ فى الزهـد فيها الى حد لا يمسك عنده منها درها، واحداً أصلا ويبيت دائمًا وليس فى داره قرش واحد. بل كان كلما فنح الله

بشىء أنفقه فى الحال ودفعه فى الديون التى تترتب عليه لاصحاب الدكاكين التى يأخف منها الثياب التى يتصدق بها ويكسوها من يقصده من القرابة والغرباء فى اللباس وأصدقة الزواج ونحو ذلك أو للرجل المكلف بالنفقة على المبيت وكان لا يسأله عن شىء ولا يعين له ما يشترى ، بل كان الرجل يشترى الطعام اليومى بنظره وشهوته والشيخ لا يعلم به ولا بما يطبخ حتى ينزل بديه

وكان لا يحمل معه النقود أصلا لا فى الحضر ولا فى السفر ، بل اذا كان مسافرا يدفع كل ما عنده لمن يصحبه فى السفر ويكون مكلفا بشئونه ، وكان لا يعمل فى ثيابه جيبا أصلاحتى انه كان يضطر أيام تدريسه الدروس المتعددة متصلة فى وقت واحد الى حمل ساءة معه ليعلم الوقت الذى ينهى فيه درس النحو ويشرع فى درس الفقه وكذلك بعده درس الحديث فكان يضع الساعة فى تدكمة السروال .

وكان لا يأكل في اليوم إلا مرتين يفطر في الصباح ويتفدى بعد العصر ولا يتعشى لا في صيف ولا في شتاء. ويستقبح ثلاث أكلات في اليــوم ويقول انها من السرف والشره

وكان اذا أراد شراء ملبوس لا يختاره أيضا لاثوباً ولا لونا بل يكلف من يشترى له الثوب ويخيطه ويأتيه به فيلبسه كيفها أتى به على النحو الذي يلبسه وكان لا يكثر من الثياب ولا يزيد على ثوبين إذا اتسخ أحدها دفعه للغسل ولبس الآخر

وكان لا يتخذ اللباس للزينة بل للحاجة والضرورة فاذا كان عنده ثوب جديد حسن وعليه ثوب دونه أو بدأ عليه أثر الاتساخ وأراد الخروج فانه لا ينزع الثوب الذى عليه ويلبس الثوب الجديد أو الغسيل من أجل مراعاة الخاس بل يخرج بالثوب الذى اتفق عليه ساعة الخروج كيف كان

وإذا أتى بلباس جديد أو حذاء جديد لبسه وتصدق بالذى كان يلبسه قال فى النسمات وأما زهده رضى الله عنه فكان على التحقيق والحقيقة على نعت ما وصف به المحققون من أهل الطريقة متخلقاً به ظاهراً وباطناً لا يتوسع فى ما كله ولا يترفه فى ملبسه ولا يتأنق فى مسكنه بل كان آخذاً من الجميع ما تقوم به ضرورة الحياة مقتصرا على مالابد منه نابذاً للملذوذات والشهوات فلا يعبأ بالدنيا وأهلها وزهرتها ومتاعها استوى عنده وجودها وفقدها فان وجدها أنفقها فيما أمر الله بانفاقها فيه بل آثر منها على نفسه وعياله وان فقدها رضى بمراد الله وفهم عن الله فيه فلا يفرح لوجدانها ولا كزن لفقدانها وهذا هو حقيقة الزهدكما قال ابن عطاء الله رضى الله عنه فى التنوير للزهد فى الدنيا علامتان علامة فى وجودها وعلامة فى فقدها وجود الراحة فى المنار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك بمنها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك بل نعمته بصرفها أنم ،

وقال الشيئ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أيت الصديق رضى الله عنه في المنام فقال لى أتدرى ما علامة خروج الدنيا من القلب قلت لا أدرى قال بذلها عند الوجود ووجود الراحة منها عند الفقد اه

وكان دائمًا ينظر إلى الدنيا بعين الاهانة والاحتقار وينفر منها ويحذر من عبتها واستغراق العمر في طلبها ويقول إذا كان الفقير يتردد الى أبناء

الدنيا وبجالسهم لايجىء منه شىء فى الطربق ولا يطمع فى وجود قلبه ولا فى حلاوة الاقبال على ربه لان أبناء الدنيا أموات القلوب ومن خالطهم مات قلبه مع من تكون بحاله تكون .

وكان رضى الله عنه يقول مثل الدنيا مثـل من يضرب بالحجّارة فها يخطئه منها خير مما يصيبه.

وكان إذا لبس ثوباً جديداً تصدق بما عنده وكان يأمر أزواجه وأولاده بذلك ويقول لهم إنكم لن تزالوا في سعة ونعمة وستر أحياء وأمواتاً ما فعلتم ذلك ولقد صدق رضى الله عنمه فيما قال ووعد به فكان بمقتضى هذه السيرة الحسنة تترادف عليه النعم الجزيلة والخميرات الجسيمة وتحفه العيشة الراضية الطيمة

ومما يدل على صدق زهده فى الدنيا اننا منذ جمعنا الله به وخالطناه ما يزيد على الثلاثين سنة ما سمعناه يذكر الدنيا الا بلسان الذم والاحتقار وكان متبريا من الدنيا وزهرتها وابنائها متصلا بها بجسده منفصلا عنها بقلبه وروحه . لا يدعى لنفسه ملك شىء منها بل يرى نفسه مستخلفا فيه فيضمه بين إخوانه ويجعلهم شركاء فيه

وكان يقول الآخ الحقيقي هو الذي لا سر عنــده مكتوم ولا مال مقسوم

ومما يدل على زهده فى الدنيا أيضا اننا ما علمنا ولا سمعنا أنه تكلم على متروك أبيه وأجداده الكرام أو بحث عنه أو عرض بذكره دارا وعقارا أو حبسا او غير ذلك بل ألغى جميع ذلك وصيره نسياً منسياً كائن لم يكن وتركه لاخوته ينتفعون به وبالجملة فزهد هذا السيد رضى الله عنه فى الدنيا شىء كبير لا طاقة لنا باستقصائه كما لا قدرة لنا على معرفة ما كان عليه من حقيقته وانما أشرنا إلى هذا النزر القليل من زهده تبركا بذكره اه

فص___ل

وأما توكله رضى الله عنسه فكان توكل كبسار العارفين وأفراد الأمة الهيمدية الذين أطلعهم الله على اللوح المحفوظ فشاهدوا فيه رزقهم وحصل لهم بذلك الاطمئنان التام كما قال العارف الكبير سيدىأفضل الدين رضى الله عنه: إن للعبد في أمر الاضطراب في رزقه ثلاث مراتب

الأولى: وهى التى تقع بها الطمأنينة لقلبه ويزول بها الاضطراب عما زاد على الحزء البشري اطلاعه على الامام المبين الذي أحصى الله تعالى فيه كل شيء فان جميع ما كتب فيه لا يصعح فيه تبديل ولا تغيير ولذلك سمى باللوح المحفوظ أى من المحو والنبديل بخلاف ألواح المحو والاثبات فانها تقبل التبديل والتغيير فن رزقه الله الاطلاع على هذا اللوح اطمأن قلبه برزقه ضرورة وهو خاص بأ كابر الأولياء قال وإعما قيدنا زوال الاضطراب عما زاد على الجزء البشرى تبعاً للمحققين لأن حجاب الجزء البشرى لو زال بالكلية من الاولياء لما كان للا نبياء رزية عليهم كما أن الانبياء لا يصح لهم الاحاطة بجميع ما أحصى الله تعالى في الامام المبين فلا بدلهم من الحجاب عن شهود شيء فيه لئلا يساوى علمهم علم الحق تعالى ولا تعنهم الاضطراب في غيرهم من أكابر العارفين

المرتبة الثانية أن يكون مطمح بصر العبد ألواح المحـو والاثبات. الثلاثمـائة والستين لوحاً ومن لازم ذلك عدم الطمأ نينة لقبول هذه الالواح التبديل والتغيير فلا يثق الولى عـا يراه فيها

المرتبة الثالثة: أن لا يكون له اطلاع على اللوح المحفوظ و لا على الواح الحو والاثبات كفالب الناس فمثل هذا لا يسلم قلبه من الاضطراب بغالب أجزائه و لم يزل مهتما بأمر رزقه ليلا ونهارا ولكن من نعم الله تعالى على

أهل هذه المرتبة أن جعل اهتمام أحدهم برزقه مكفرا لذنوبه اه نقله العارف الشعرانى رضى الله عنه فى الفلك المشحون ، ثم قال وعلى هذا التقرير فها سلم أحد من اضطراب قلبه فى أمر رزقه سوى الأنبياء عليهم السلام ، وأماغيرهم فان حفت أحدهم العناية الربانية تعطلت منه صفة الاضطراب عن الاستعمال والا فلا بد من الاضطراب اه

قلت : فكان الشيخ رضى الله عنه من أهل المرتبة الاولى وممن حفته العناية الربانية فتعطلت منه صفة الاضطراب فكان شأنه في هذا الباب من أعجب ما رآه الراؤون وأغرب ما يسمعه السامعون حتى كأنه منأعاظم ملوك الدنيا وأكابر أغنيائها لا يهتم برزقه أصلا ولا يفكر في أبوابه ولا يذكر. على لسانه مع أنه لا يملك دينارا ولا درهما ولا داراً الا التي يسكنها ولا أرضا الاما ورئه من أبيه وقد سامح فيه لاخوانه مع أنه شيء لا يذكر بالنسبة لضعف البلاد وعظم نفقة الشيسخ ولا يزرع ولا يتجر ولا له وظيفة ولا مرتب ولا معـــلوم ألا قدرا بسيطا كان يأخـــذه من الأوقاف في بداية أمره وتدريسه ممسالا يكنى لمصروف وقت واحسد فضلا عن يوم كامل فضلا عن شهركما هي حالة الاوقاف بالمفرب لالضعفها وقلة وفائها بحقوق أهلها ، بل لفساد ولاتها واستئثارهم بها هذا مع ما كان في بيت الشيخ رضي الله عنه من العمائلة الكبيرة المؤلفة من أزيد من عشرين نفساً دون الضيوف من النساء والرجال الذين لا يخـــلو يوم واحـــد منهم من اثنين وثلاثة الى عشرة وعشرين، ومعكونه لا يلنفت الى ما يحصل فى البيت من إسراف وتبذير مفرطين بحيث مَّا كان يستهلكه أهله من أنواع المطعومات ولوازمها ضعف أضعافٍ ما يستهلكه مثلهم فى العدد فى بيوت الاغنياء وأهل الدنيا ومع كونه أيضا لا يدخر قوت أسبوع فضلا عن شهر فضلا عن سنة بلكل يوم بنفقته وكثيرا ما يتفق أن يكون عنده من الضيوف ما يزيد على العشرة بلي والعشرين ويصبح وليس فى البيت مطعوم أصلا ولا عنده كذلك دينار ولا

درهم وهو فرح مسرور غير مهتم بشيء كأن خزائن البلد عامرة برزقه وملكه وربحا زجر من يذكر له ذلك أو يذكره بالضيوف بل اذا أصبح دخل الى مكتبته وأقبل على المطالعة فلا تمر برهة حتى يفتح الله بكل ما يلزم وأكثر منه وأحياناً اذا دخل الضيوف أرسل يستدين مايلزم لطعامهم وربحا استمر على ذلك الحال الاسبوع والاسبوعين والشهر الكامل فاذا فتح الله أدى ما عليه ومع كل هذا فكان أهله لا يأكلون الا اللحم والسمك والبيض و نحو ذلك من فاخر الاطعمة التي لا يدركها كل يوم الا الاغنياء وهذا هو الذي حير الناس في أمره حتى كانوا يظنون به الظنون الكاذبة ويقولون ان الدول تنفق عليه لأنه ما كان يتحرك في شيء ولا يسيح في المدن والقبائل كما يفعله شيه خ الوقت ولا يخرج من بيته أصلا مع هذه النفقات الكثيرة وهذا أيضا هو الذي كان يثيرعليه حقد الدولتين الفرنسية والاسبانية لان كل واحدة منهما كانت تتهمه بالميل الى الاخرى وخدمة مصالحها وكونها هي التي تنفق عليه .

وقد اجتمع الشيخ مرة بعض حكام الاسبان فقال له ذلك الحاكم نحن يبلغنا أنك تأخذ الدراهم من الفرنسيين لتكون ضدنا فقال له الشيخ وهل آخذ منكم دراهم قال لا قال فكذلك لا آخذ منهم لانهم يقولون أيضا إنى آخذ منكم لا كون ضدهم فان كان زعمهم أنى آخذ منكم المال حقا فيمكن أن يكون ما تقول حقا أيضا وحيث إنك تعلم أنى لا آخذ منكم شيئا وأن زعمهم باطل فكذلك زعمكم أيضا باطل

وسأل مرة بعض كبار المتصدرين للمشيخة بالمغرب بعض قرابة الشيخ رضى الله عنه فقال له بكم من زوج يحرث الشيخ فقال له ما حرث طول عمره ولا بزوجة واحدة ولا يملك مزرعة ولا أورا ولا بقرة ولا بيتا وانما هو من المتوكلين على ربه فقال لههذا لا يمكن فان مانسمعه عنه من النفقات الواسعة لا يتيسر الا لمن عنده على الاقل حرث أربعين زوجاً فا كثر فقال له الواقع هو ما أخبرتك به وأنه لا يعلم من أسباب الرزق شيئا فها كاد يصدق وقوفا مع العادة والاسباب ونظرا الى حاله وحال أمثاله من الشيوخ والعلماء

وقال بعضهم للشيخ رضى الله عنـه مرة يا سيدى لو خففت من النـاس الذين فى نفقتك فان الحمل ثقيل والوقت شديد فقال له ان السفينة لايستقيم سيرها فى البحر وتأمن تلاعب الرياح بهـا حتى تـكون عامرة مثقلة

وبالجلة فحال الشيخ رضى الله عنه فى هذا الباب من أغرب الاحوال وأعجب الاوصاف لابالنسبة الىحال أهل الوقت وصلحائهم بل وحال المتقدمين أيضاً من العارفين. فقد ذكر العارف الشعرانى رضى الله عنه أنه كان له وقفية يأخذ منها مايلزم للزاوية وأنه كان يدخر كل سنة نحوعشرة قناطير من عسل النحل وعشرين قنطارا من عسل القصب وثلاثمائة أردب من القمح وأربعين اردبا من الفول وسبعة أرادب من الارز وخمسة وعشرين أردبا من العدس والجلبان وخمسة قناطير من التمر والخرنوب والتين وأشياء اخرى كالبطيخ الهندى كان يدخر منه نحو ألنى بطيخة وكان يأتيه كل سنة من الحطب ما يكفيه للطبخ طول العام الى غير هذا من اللوازم والضروريات

ومع هذا فذكر عن نفسه رضى الله عنه أن ذلك الجزء البشرى لم تتعطل صفته منه تمساماً. أما الشيخ رضى الله عنه فقد سمعت الى اى حد بلغ اطمئنانه وثقته بالله مع عدم ادخاره لقوت الاسبوع فضلا عن السنة

قال فى النسمات وأما توكله فكان على الحال الاكل عند أهل الله الله تمالى لا يدبر ولا يختار منطرحا على باب مولاه على الدوام والاستمرار مستسلماً لامره معتمداً عليه فى سره وجهره فلا يهتم بأمر الرزق ولا يدبر ولا يسعى فيه لا لنفسه ولا لعياله بلكان يرى نفسه هو وعياله ضيوف الحق سبحانه يأكلون من مائدة رزقه ونواله متوكلا على الله حق توكله

فى جميع أحواله شدة ورخاء وعافية وبلاء لايستدعى طبيباً إذا مرض ولا يستعمل فى الفالب دواء وكان يقول فى مرضه اذا قيل له نستدعى لك الطبيب مرض أبو بكر فقيل له ألا نستدعى لك الطبيب فقال الطبيب أمرضنى يعنى الحق سبحانه وتعالى لانه الطبيب الحقيقى اى هو الذى أنزل في المرض وهو الذى يعافينى حين يشاء لا غيره من المخلوقين وهذا مقام الكمل من العارفين بالله

وكان دائم التبسم والبشر والوجـه الطلق وانكان متحملا باطنا من الاحكام الجلالية والنوازل القهرية والحلات البلائية عن الخلق ما لو نزل على شوامخ الجبال لدكت

وكان لا يختار حالا على حال بلكان مع مولاه كالميت بين يدى غاسله . وكان يقول العارف المحقق لا يختار مع الله شيئا فلو أقامه فى الشمس ما اختار أن يكون فى الظل ولو أدخله السجن ما احب ان يكون خارجه وذلك لفنائه عن نفسه وحظوظه وبقائه بربه وسكونه تحت مجارى أقداره اه

وأما السخاء فكان منقطع النظير فيه لا يعظم في عينه شيء يعطيه من مال وأرض وعقار وكتب وثوب وطعام وغير ذلك بلكان عطاؤه للائلف كعطاء غيره للقرش الواحد بل أهون من ذلك بكثير فان الدنيا لم تكن تساوى في عينه شيئا فكان لا يقيم لها وزنا كما تعرف ذلك بما تقدم في زهده وتوكله ويكفيك انه كان يستدين ليعطى سائله بل ومن يرى احتياجه دون أن يسأله

فكان فى غالب أوقاته مديناً لاصحاب الدكاكين الذين يبيعون الثياب

والاقمشة والاحذية يأخذمن كل واحدماعنده ليعطيه للقاصدين والمحتاجين لاسيما أواخر عمره فانه مكث سنين وأعواماً لايأتى عليه فيها يوم لايكون مديناً لهم مع أنه دائم الدفع لهم حتى توفى وترك أزيد من عشرة آلاف ريال وكان يقول من استدان فليستدن على ربه فانه لابد أن يؤدى عنه .

أما إذا دخلت بيده دنيا كثيرة فانه كان يفرقها في الحال كما كان النبي صلى الله عليه وسلم المهدى يحثو سلى الله عليه وسلم المهدى يحثو المال حثياً ولا يعده عداً وقدأ عطى مرة رجلا ممانية آلاف ريال اشترى بها دارين أو ثلاثة وأعطى آخر أزيد من خمسة عشر ألفاً أما الألف والحسمائة والمائة مماكان يتيسر لديه فغير داخل تحت الحصر ما عطى من ذلك

وكذلك كان يجودباً حب الاشياء اليه وهو الكتب حتى إن بعضهم اجتمع لديهم بما أعطاهم من الكتب مايكفيهم فى الفنون التي يعرفونها من نحو وفقه وحديث وتصوف وغيرها

وبالجلة فكان فى الكرم من الطرازالذى يضرب به المثل وتذكر أخباره مدونات الادب والتاريخ

قال فى نبذة التحقيق وأما سخاؤه وكرمه فحدث عن البحرولاحرج فقد ثبت عندى من ثقات أصحابه وغيرهم حتى من المنحرفين عنه أنه كان لايمسك قوت يوم لذه و ربما استسلف مايعطيه لمستحق وهذا خلق فيه على ما بلغنى منذشب وقد كان فى بدايته على أثر دروده لطنجة بهاديه أهل الفضل خصوصاً المنتسبين إلى طريق سلفه فلا يمسك من ذلك شيئا غالباً وساعة السرور عنده هى التى يبذل فها ما بيده لغيره

حكى لى من أعتمد صدقه من أحيائه أنه رأى عليه فى بعض الآيام جلابية ظهر عليها اثر القدم فاشترى له أخرى وأناه بها قال فيينا أنا معه بالطريق نظرت إلى يدد فاذا الجلابية ليست معه فسألته عنها فقال أعطيتها لفقير طلبها منى قال فذهبت فى الحين واشتريت ثوبا وخطت له منه أخرى ثم جئت بها إليه

وألححت عليه أن يلبسها في الحين فأجاب سؤالى فاستبشرت بذلك ولكن بعد يومين رأيته عاد إلى القديمة فلبسها فسألت عن السبب فقيل لى خرج من الدار فلقيه غريب ادعى أنه شريف وتبع السيديسأله إياها فساقه معه إلى الدار وخلع الجلابية فدفعها اليه وابس القديمة

وجاء رجل يشتكى اليه بعض فقرائه وهو من الأشراف قائلا إنه السترى منى زربية بثمن وذكر قدراً له بال وقال انها لسكم ووعد أن يأتى بالثمن فلم يفسعل فدخل إلى الدار وأخسرج له ماكان حاضراً عنده ووعده بالباقى مع أنه لاعلم له بذلك ولا أمر بشراء الزربية وهذا خلق لا يعطيه الله تعمل إلا أحب الخلق إليه وبه وبأمثاله كان لهذا السيد الجليل مكانة عظيمة في نفوس الناس لا سيا المنتسبين

وحضر يوما الذكر مع أصحابه فتواجد حتى سقطت عمامته فبيعت بالمزايدة بين الفقراء بأكثر من ألف ريال عملابقاعدة الصوفية في بيع الثوب الخليع حال التواجد فها أخذ من ذلك المال قرشا واحدا بل تبرع به على الفقراء إلى غير ذلك عما هو كثير ولا شك أن أمره قائم بالله وقد شاهدنا من أحواله ما هو غريب وعلى الاخص مروره وانشراح صدره حيث تكون يده فارغة فيعد ذلك من عظيم نعم الله عليه وهذا مقام عظيم لا يقوى عليه إلا من قواه الله ثم إنه لا يرى فضلا فما يحسن به ولا يعظم في عينه بل لا يراه إلا قليلا وان كان في الواقع كثيرا بل الكثير والقليل عنده سواء كما شاهدنا ذلك من حاله.

ودخلت عليه يوما فالفيت بيده جزءاً من تفسيرالسيد محمد صديق حسن خان القنوجي أحد أمراء الهند في وقنه فلمح منى أنى استحسنته فلما عدت لمنزلى وجهه إلى بتمامه وهو فى أربعة مجلدات بطبع الهند وهو قايل الوجود بالمغرب كما أكرمنى مرة أخرى بكتاب مطالع الزهراء فى نسب بنى الزهراء وهو بخط ملوكى جليل وهو للعلامة النسابة سيذى الزكى العلوى ألفه لقريبه

السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام وهذا المؤلف هو المادة العظمى والعمدة الكبرى لابى العلاء الفضيلى المنوفى فى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف فى كتابه الدرر البهية فى أنساب الحسنية والحدينية المطبوع بفاس فى مجلدين اه.

وقال فى النسمات وكان رضى الله عنه على حال عظيم ووصف كبير فى الكرّم والسخاء والبذل والايثار قد بلغ فى ذلك المنتهى ووصل إلى الدرجة القصوى يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ولا يلتفت إلى ما أعطى ولا يرى له قيمة لما كان عليه من الزهد فى الدنيا والاعراض عنها والنظر إليها بعين الاحتقار قد استوى عنده ذهبها وترابها .

وكان لا يرد ســائلا سأله شيئا كائنا ماكان ان كان ذلك موجودا عنـــده وإن لم يكن عنـــده استدان واعطى أووعد السائل ووفى بالوعد وهو فى كل ذلك يرى المنة والفضل للسائل .

وكان يطعم الجائع ويكسو العريان ويعين المدين ويغيث الملهوف وكان الجم الغفير من الناس معدودين في عياله وتحت نفقته واحسانه لا سما أهل تجكان من الشرفاء وقرابته فانهم كانوا يتواردون عليه في أغلب الآيام فيسد خلتهم يشبع بطنهم ويسترأبدانهم ويزوج عزبهم ويدفع اصدقتهم ويدر عليهم الرزق الواسع ويتوسط في قضاء حوائجهم بجاهه مع الحكام مراسلة ومكانبة ، فكان هو المنكفل مجميع ششونهم ذكورا وإناثا صغارا

وكانت مائدته على الدوام مبسوطة للصادر والوارد وقلما يمر عليه يوم من غير ضيوف فقد كانت تتوارد عليه الجماعات من الفقراء وغيرهم من أقطار مختلفة للزيارة وغيرها فيكرم نزلهم ويحسن ضيافنهم ويطعمهم الطعام الجيد الواسع ويجالسهم ويسامرهم بالمذاكرة في العلوم والمعارف العجيبة والأسرار الربانية والفوائد الغريبة فى كل الفنون ويصبر نفسه معهم طول اقامتهم فلا على ولا يضجر حتى يفادروا حضرته اه. وكان اطعمامه للضيوف فى الافطار يبتدىء من وقت الضحى ولاينتهى إلاالى مابعدالظهر لتوارد الضيوف واحدا بعد واحد وجماعة بعد أخرى بحسب الوصول من البر والبحر فى الأوقات المختلفة وكلما وصل ضيف قدم له الطعام ثم يبتدىء طعام الفداء من قريب العصر إلى ما بعد العشاء بكثير.

وكان شديد الاهتمام بالضيوف والاعتناء بشأنهم فاذا قدم ضيف أو ضيوف لا يهدأ له بال ولا يستريح في مكانه حتى يطعموا ويشبعوا ويشربوا الشاى وكان يأمر الخادمات أن لا يدخلن الطّعام إلى الضيوف حتى يمرون عليه به في محله ليراه خوفا أن يكون قليلا لا يكفى أو غير مناسب للواردين وربحا وقف ينتظر وروده من المطبخ أو يستعجل دفعه إليهم خوفا من التأخر والعطلة.

وكان لفرطكرمه وجوده يحب الكرماء والاجواد على أى حالة كانوا ويرجو لهم الخير العظيم من الله تعالى ويعنى بشأنهم ويفرح بهم غاية الفرح ويثنى عليهم ولوكانوا على غير قدم الاستقامة ويقول إن السخى محبوب عند الله تعالى ولا بد از يرحمه الله ويختم عليه بخير إذ وضع فيه هذا الوصف الحسن الجميل ، ويستشهد على ذلك بالاحاديث الواردة فى فضل السخاء والاسخناء .

وكان يتعجب من حال أهل العلم وميلهم إلى الدنيا مع أن العلم يقتضى العمل به وقد أمر الشرعالشريف بالسخاء والبذل والايثار وذم البخلوحب الدنيا أشد الذم وكان قول على سبيل المباسطة ثلاثة من عجائب الدنيا العالم كريم والحاج صادق والحار أحمر

وكان لا يطالب أحدا بحق له عليه بالغامابلغ بل اذا جاءبما عليهأخذه والا

لم يخاطبه فيه أصلا فكان يعطى بعضهم الشيء يبيعه من كتاب وغيره فيأخذ تُمنَّه أو نصفه فلا يكلمه في ذلك ولما حج توقف غالب من كان في رفقتــه لاتمام نفقة الحج فاستقرضوا منه ريثما يرجعون إلى وطنهم فها أدى من الجماعة إلا اثنان أو ثلاثة والبــاقى لم يدفع ما عليه فها كلم واحدًا منهم إلى أن لقى الله ولما توجه الى الحج اكترى داره التي كان يسكنها رجل من الاعيان الاحبة فاستمر فيها بعــد رجوع الشيخ ثمانية عشر عاما ما دفع كراء ولا خطر ذلك له مِبال واشترى دارا في قرية كان نازلا بها مدة شهر فلما سافر تركها لفقرائه من أهل تلك القرية لتكون زاوية لهم يجتمعون فيها لذكر الله تعالى فتقدم واحد منهم وباعها وأخذ ثمنها لقضاء دين كان عليه فهاكلمه ولا ســأله عن الدار بعــد ذلك وهو أيضا من الناس الذين استدانوامن الشيخ بالحجاز فلم يدفعوا ما عليهم وكم لهذا من نظير بل غالب معاملاته كانت من هذا القبيل وكل هذا ناشيء من سقوط الدنيا في نظره مع الكرم والحلم وعظم حق المؤمن وأخوته عنده فانه كان منأشد الناس مراعاة لحقوق الآخوة والصحبة يستهين في جانبها بكلشيء ويترك من أجلهاكل حق منحقوقه وحقوق عياله ويذكردائمًا الحديث إن الله يسأل عن صحبة ساعة .

وكان يعطى المحتاج من غير سؤال ولا ظهور أثر الحاجة عليه ، بل كان يفعل ذلك كشفا وفراسة فكثيرا ما يرسل للرجل شيئا وهو فى بيته من غير أن يكون ذلك الرجل معروفا بالسؤال والاحتياج فيوافق ذلك منه ساعة الحاجة والضرورة إلى القدر المرسل من الشيخ رضى الله عنه وكذلك يأتيه بقصد الزيارة فقط فيبادره الشيخ بالعطاء من غير سؤال ولا طلب .

وحدثنى الشريف محمد نور الدين قال كنت مع الشيخ يوما فجاء لزيارته بعض العلماء من أهل البادية فحادثه الشيخ مدة وسأله عن بعض كتبكان جلبها من القاهرة أيام قراءته بها ثم لما استأذنه للخروج قال له اصبر فقام

ودخل الدار وأتاه بعشرة ريال وقال خـذ هذه هدية منا فصار الرجل يقبل يده ويقول أشهد أنك ولى لله تعالى فوالله ما جئت إلا لهذا القـدر احتجت إليه ولم أجد ممن أطلبه وغلبنى الحياء أن أطلبه منكم .

وكان إذا أهديت له هدية ومعه جليس شاركه فيها أو دفعها اليه بتمامها وهو الآكثر من حاله سواء كانت الهدية كتابا أو ثوبا أو مالا وسواء كأن الحاضر فقيراً أو غنياً محتاجاً أو غير محتاج ، بل كانت ترد اليه الكنب التي أوصى على شرائها من ماله من مصر أو فاس فاذا أدخلت اليه الخادم الكتاب من البريد وصادف أذيكون معه أحدمن أهل العلم دفعه اليه ولوكان ذلك الكتاب موجودا عند ذلك الزائر .

وقال صاحب حادى الرفيق كنت مع الشيخ يوما فجاء فقير من فقرائه وهو عروس قد تزوج على يد الشيخ فاعطاه أربعة ريال هـدية فرمى لى بريال منها وقال الجليس شريك فجعلته فى صندوقى تبركا به فكان سببا فى ادرار الرزق على ولا زلت والحمد لله فى سعة من ذلك الوقت ا ه .

فص___ل

وأما الحلم والعفو والصفح والاحسان إلى المسيء فهو فرد زمانه فيه على الاطلاق لا يوجد في الدنيا من يدانيه فيه فضلا عمن يماثله أو يساويه فقد كان لا يتصور الانتقام لنفسه ولا يخطر له ببال ولا يعرف الغضب لنفسه وحقوقه أصلا سواء أوذى في نفسه أو عرضه أو ماله أو ولده أو خادمه أو قرابته وسواء أقل الشخص من الاذاية أو أكثر أو بالغ أو قصر أو دام طول حياته أو اقتصر على برهة من الدهر بعيداكان أو قريباً ضعيفاكان أوقوياً كل ذلك عنده في الحلم والعفو والصفح عنه واكرامه واحترامه واعظامه والبر به سواء فماكان مع من يبغضه ويؤذيه ويسعى في هلاكه إلا كما يكون

الولد البار مع أبيه ، بل ما كان ببالغ في الاحترام والمراعاة ويتحمل في ذلك المشاق غالبا إلا مع هذا النوع لأنه كان يعلم من المحب الصادق ثبوت المودة والحبة واخلاص المحبة الموجبة لسقوط الكلفة فكان يقوم بحقوق الأخوة والحبة على قدر مقامه وما أكرمه الله به من جميل الأخلاق لكن لا يتكلف فيها كا يتكلف للعدو المبغض الحسود فإنه لا ينأخر عن مقابلته ولوكان مريضاً كا يتكلف للعدو المبغض الحسود فإنه لا ينأخر عن مقابلته ولوكان مريضاً ولا يصرفه إلى وقت آخر ولوكان مشغولا ويبادر إلى قضاء مطالبه واجابة رغبته من توسط وشفاعة وكل ما أتى اليه من أجله وحكاياته ونوادره في هذا الباب لا تدخل تحت الاحصاء والعد لأن غالب من كان يعامله من أهل طنجة هم من هذا القبيل لكثرة حسدهم وعداوتهم وشدة بغضهم ونفورهم من أهل الفضل .

لاسيم الشيخ رضى الله عنه فانهم ما تركوا من اذايت إلا ما لم تصل طاقتهم اليه وقد ذكرنا فى فصل احترامه ومحبته لاهل العلم وفصل احترامه ومحبته لاهل البيت وغيرهما حكايات من هذا القبيل.

ونورد فى هــذا الفصل بعض البعض نما لا يزال بذكرنا وهو قطرة من بحر ومُشــال معرف لما وراءه ولما كان عليسه الشيخ رضى الله عنــه فى هذا المقام

فمن ذلك أن أحمد المرنيسي الطنجي وهو رجل مسن ذو لحية بيضاء وله حظ من العلم وتظاهر بالصلاح دسه الفرنسيون عند ما حصل الخلاف بينهم وبين الشيخ وادعى أن الغيرة الايمانية وحب الانتقام والتظاهر بالعداء للكفار حثه على مخالطة الشيخ والكون من جملة أصحابه معانه تجاني الطريقة وهم قوم لا يرون الفضل في غيرهم وغير طريقتهم ويه فضون كل الطرق الحقة إلا ذوي الفضل والعقل منهم فصار يلازم مجالسه ويرد اليه كل يوم صباحا ومساء ولا يفارقه إذا خرج لدعوة دعى اليها او غير ذلك ، بل صار ألزم له

من ظله ثم انتقل من دار سكناه البعيدة الى دار بجانب دار الشيخ تظاهرا منه بفرط الميل والمحبة والغرض من ذلك مراقبة الحركات والسكنات والوارد والصادر وكان كلما قابل فقيرا من الفقراء مديده الى حزامه فان وجد عنــده مسدسا قال له هكذا الرجال وهكذا ينبغي أرنى من أى شكل هو وان لم ير عنده سلاحا لامه على ذلك ووعظه بالقرآن والحديث وبالغ في ذلك تحريضا على شراء السلاح واظهارا للغيرة والايمان والواقع أنه يحصى من معه سلاح من الفقراء وما نوع السلاح الذي مع كل واحد منهم ويرفع ذلك الى أسياده فاغتر به الفقراء كافة وألقوا اليه مقاليد أسرارهم وصاروا يقولون عنـــه جبل الاعان والواقع أنه جبل الكفر والنفاق والجاسوسية وغرهم في ذلك لحيته البيضاء وسمتم وهديه وعلمه ومذاكرته بالقرآن والسنة وتقربه من الشيخ الذي كان لا يفارقه أكثر أوقاته وكان يكافه ببعض المهام ويرسله شفيعاً لدى الحكام لا سما الذي أرسله جاسوسا وكان الواسطة بينــه وبين الفرنسيين فكان الشيخ رضى الله عنه يرسله اليه ظاهرا في قضية أو شفاعة والواقع أنه كان يساعده على غرضه باطنا و يجعل له السبيل للاجتماع مع القائد الواسطة ليرفع له ما رآه من أخبار الشيخ والفقراء مما هو حق وباطل وصدق وكـذب. على عادة الجواسيس فاتفق أن عزم الشيخ على السفر إلى تطو أن لقضاء بعض الاغراض. المتعلقة بالقبائل الغماريةومقابلة قوادها ورجالها بتطوان وعزمهذا الجاسوس على مصاحبته كما هو حاله فلما كانت الليلة التي صبيحتها سيكون السفرعقب صلاة الصبح بينما بعض الفقراء مارا في منتصف الليل على باب دار القامد ابن. عبد الصادق إذ رأى المرنيسي خارجا من الدار متقنعا مختفيا فلحقه الرجل ليتحقق منه فسلم عليه فأبلس ولا أدرى نم اعتذر له ثم بعد صلاة الفجر جاء إلى الشيخ وأخبره الخبر وكان الرجل من قرابة الشيخ فقسال له الشيخ رضي الله عنه نحن نعلمماهناك ولكن استرالرجل واكتم أمر. لاتذكره لاحد من

الفقراء وكان قبل هذه المدة أرسل إليسه خفية بعض كبار الحكام المسلمين الذين فيهم غيرة يقول له لا تغتر بالمرنيسي فانه جاسوس بواسطة القــائد ابن عبد الصادق فما زاده كل هذا إلااكراماو إجلالا وبرا واحتراما حتىصاريرسل إليه وقت الطعام ليتناوله معه ومع ضيوفه وصار يشترى له الاضحية فىالعيد ويتحفسه بالهدايا الثمينة من ملبوس وغيره وترتب عليمه مرة دين كبير فاداه عنه ، كل ذلك وهوظان أن أمره ،ستور عنالشيخ والشيخ متحقق من حاله وعارف بأمره من طرق متعددة إلى أن أراد الله فضيحته وهتك ستره في قضيــة طنجة المشهورة التي انفردوا بها بين العــالم بأسره وهي اجماعهم عن بكرة أبيهم باذن منالقائد عبدالسلام بنعبدالصادقخادم الفرنسيينوشهادتهم فى عريضة قدموها للسلطان ظناً منهم أنها سـتكون السبب فى القضاء على الشيخ وابعاده من بلدهم التي لم يألفوا فيها رؤية الفقراء والعلماء والفضلاء فضاقت صدورهم من ذلك وأحبوا البقاء على ما ألفوه فكان المرنيسى المتظاهر بمداوة الفرنسيين نحو السبع سنين والفانى بزعمه وتصنعه في الشيخ والفقــراء وخدمة الدين من أول، الوآضعين أسماءهم فى العريضة فلهـــا انفض المجلس جاء جماعة من الشاهدين الواضعين أسماءهم بكل وقاحة ونذالة إلى الشيخ فأخبروه بما صنعوا كالمعتذرين بأنهم فعلوا ذلك خوفا من القائده الخروج عن دين أهــل البلد وأن من جملة من وضع اسمه المرنيسي الذي كان يقال عنه جبل الایمان مم بعد برهة جاء هو یجری علی عادته و نفاقه یسب آهل طنجة وقائدهم الفرنسي وما فعل من العريضة ففاجأد بعض الفقراء بالساب قبل أن يطلع إلى الشيخ بأنه قدسبقك فلان وفلان وأخبروا أنك منجملة الواضعين أسماءهم فقال نعم لما عرضوا على تلك العريضة وقرأت ما فيهاكتبت: هذا بهتان عظيم فقالوا له لوكانوا صبيانا يلعبون لما استطعت أن تكتب لهم هذا فكيف بقائد البلد وجميع أهلها وسيرفع ماكنبوه إلى السلطان ثم حضر

أيضاً جماعة آخرون فصرحوا بأنهم لما أنزلوا خطوطهم رأوا خطه بالموافقة ولم يروا ما قال فعند ذلك أنزل الله فى قلبه الدهش والرعب والخوف من الفقراء فصار الشيخ يطمنه ويقبل عذره ويوجه فعله وهو فى كل ذلك غير آمن ولا مطمئن بل فارق البيت الذى كان فيه بجوار بيت الشيخ وطلع إلى بستان بعيد من البلد واختفى به ، ثم لم تطمئن نفسه حتى خرج من طنجة وقصد مدينة الرباط يسكنها ونفاه الله تعالى من غير ناف معاملة له بما قصد به الشيخ كا نفى القائد صاحبه الذى لا يزال منفيا إلى الآن ، أما المرنيسي فأنزل الله به من الذل والمهانة والفقر والحاجة ما يستحقه المنافقون أمثاله إلى أن مات وهو جلاس بحام وشتت الله شمله وقطع دابره من طنجة نسأل الله السلامة والعافية من النفاق والكذب والخيانة وعداوة أهل الله ورزقنا حسن الفهم عنه آمين .

ومن ذلك أن رجلا يعرف الحيجراوي أرسله بعض الظاهرين في الوقت بالزعامة والنقدم وارادة الوصول إلى المملكة ليقتل الشيخ لانه كان يظن أن أمره لا يتم مع وجود الشيخ الذي كان دأمًا يعارض في ولايته على القبائل لا سيا القبائل الغارية لفرط جوره وظلمه حتى كان يقال فيه حجاج المغرب فجاء هذا الرجل وادعى أنه فر من ذلك الظالم الذي أراد قتله فآواه الشيخ وأنزله بالباب مع الفقراء الملازمين وبقى مدة يتحين الفرص ثم لما طالت به المدة أجرداراً قرب منزل الشيخ وسكنها مم صار يختفي يومين وثلاثة يذهب فيها إلى صاحبه ثم يعود والشيخ على علم من ذلك وهو ينفق عليه وبواسيه إلى أن سلط الله عليه رجلا ضربه بخنجر عدة ضربات أنحنه بها جراحا فرض وتغيب فافتضح وعرف حاله بورود من أخبر بحقيقته فلم يعدد إلى

ومن ذلك أن عبــد الـكريم بن ادريس الطنجي كان من عــدول طنجة وأبناء أعيانها وكان من عداوة الشيخ والمجاهرة بها على ما عليه أمثاله فأكثر

من شبهادة الزور وارتكاب الجرائم فطرد من الشهادة فافتقر وساء حاله ثم صار يترددعلىالشيخ فيواسيه ويكسوه فلما اشتهربكثرة تردده اليه ومجالسته إياه جعلته الادارة جاسوسا يأتيها بأخبار الشيخ فكان يفترى عليه ويلصق به من الجرائم السياسية ما يناسب عداوته الباطنية وقلة دينه الظاهرة ثم صار يصرح بذلك للشيخ ويقول اننا نأكل الخبز بالكذب عليك فيقول له الشيخ لا تؤذ أحــدا من المسلمين ولك الاذن منا أن تنسب إلينا ما تشــاء وجاه إليه يوما فكساه جلابة جديدة اشتراهامن دكان وألبسه إياها فخرج بهـا وذهب إلى الادارة ، وقال لهم الآن جئتكم من الشيخ تركته وقــد جاء إليه السفير الفلانى وأبرم معه كذا وأمارة ذلك انه كسانى هذا الثوب وجاء إليه يوماً آخر يطلب منه ان يكتب له كتابا لرئيس الجواسيس ليزيد له في أجرة الجاسوسية فكتب له ذلك ففرح بالكتاب الرئيس المذكور ورفع من مرتبه وكلا ازدادالشيخ إليه إحسانا ازداد هو إليه والىدائرته إذاية واستمرمعه على حالته الىان لقى الله وبقى الرجل يعامل انجاله عاكان يعامل به الشيخ نحو اربعة اعوام إلى ان جن ونقل إلى المارستان ومات به على شر الاحوال ووقع يوم ثالث دفنه ما فيــه عبرة وذلك انه اتفق أن مات رجل يوم موته هو لكنه دفن بعيدا عنه فى مقبرة أخرى فلما كان يوم ثالثه أرسل بعض قرابته شيئا من الطمام لحملة القرآن ليقرأوه على قبره ويأكلوا الطمام فأخذه الحاملون إلى قبر ذلك الرجل الذى مات معه وأنزلوه عنده فاجتمع عليـــه الطلبة وقرأوا وأكلوا الطعام وعنــد فراغهم منه وصل طعام صاحب ذلك القبر من عنـــد أهله فأكلوه أيضاً وقرأوا عليه ثانية وهكذا صرفالله عنه بركة قراءة القرآن العظيم عندقبره

ومثله رجل يسمى عبد السلام كريبش قربه الشيخ وأحسن اليه وآواه نحو سبمة أعوام ثم تملق به أن يتوسط له فى وظيفة مع الحكام ففعل ثم صيرود جاسوسا فانى إلى الشيخ ما لا يتصور من أنواع الاذاية والافتراء ولا يزار

حاله كذلك مع أنجاله إلى اليوم قطع الله دابره وعجل بهلاكه وراحة المسلمين من اذايته .

ومثل هؤلاء من الجواسيس الذين كانوا يتواردون عليه ويعاشرونه ويجالسونه وينتفعون به يزيدون على الحنسين ومنهم من كان يباسطه الشيخ ويصارحه بذلك ويقول له لا تتهول من هذا بل اشتغل وخذ من الكفار ما يعود عليك وعلى عيالك بالنفع بشرط أن لا تؤذى مسلما ولا تكذب على احدغيرنا ولو لا الحياء من الله تعالى وارادة الستر على هؤلاء لسمينا منهم جماعة لا يزالون على حالتهم ومنهم من أنزل الله بهم عقابه وصرفهم عن هذه البلدة شر مصرف وإلى الله عاقبة الأمور

ولما رحل إلى القاهرة لحضور مؤتمر الخلافة كتب في اليوم الذي اصبح فيه بالقاهرة رجل رحماني يدعى أنه وزاني مقيم بالأسكندرية مقالا في جريدة نسب فيها الشيخ رضى الله عنه إلى أمور قبيحة يريد بذلك اسقاط منزلنه عند المصربين ولم تمض ساعات على ظهور المقال حتى عرف الشيخ أنه للرجل المذكور ثم إنه بعد يومين شد الرحلة من الاسكندرية لمقابلة الشيخ والسلام عليه فأكرمه وفرح به غاية كلما كان يتردد اليه طول إقامته بالقاهرة ثم إن الرجل نزل الى الاسكندرية ومرض فلما نزل الشيخ اليها في طريق عودته على المغرب سأل عنه فقيل له انه مريض فقال لا بد من عيادته فذهب اليه يعوده مع أنه لم يسبق له به معرفة ولا رآه قبل هذه المرة التي فاتحه بالاذاية قبل أن يجتمع به ومن مرضه ذلك كانت وفاته سامحه الله ورحمنا وإياه.

وذهب مرة بعض القضاة الذين كانوا يجاهرون بعداوة الشيخ الى الفرنسيين وقال لهم كيف شوشكم أمر ابن الصديق وأصحابه ادفعوا الى خمسائة عسكرى وأنا ألتى القبض عليه وأهدم زاويته ثم اتفق بعد ذلك أن اجتمع الشيخ به فقال بلغنا أنك قلت كذا ولو جئت إلى لذهبت معك إكراماً لك دون أن يكون معك عسكرى واحد فخجل القاضى وتاب

وبالجلة لحال الشيخ رضى الله عنه فى هذا الباب من أعجب الاحوال وأخباره فيها من اغرب الاخبار وان كان كل حاله عجبا ،

ومن هذا القبيل ما وقع له مع بعض محبيه من العلماء وذلك في قضية عظم أمرها لدى الحكام وكان ذلك المحب مطلعا فيها على الحقيقة ومشاهدا للواقع فلما اجتمع الشيخ بمندوب السلطان وعرفه أن الامر خلاف ماهو عندهم وأن الحق بيده استشهد بصديقه العالم المذكور وكان مجلس المندوب عاصا بدائرته من العلماء والكتبة فلما حضر ذلك الصديق أنكرأمام الشيخ أن يكون عنده علم بحا قال فسكت الشيخ وفهم ان الرجل خاف لانه كان من الموظفين فلما رجع الى منزله أناه ذلك العالم المحب وقال سامحنى فيا فعلت عالى أعلم انك تقبل معذرتى وهم لا يقبلون فها زاده ذلك إلا محبة فيه وإخلاصا لصداقته وتكاد هذه القصة تكون اءجب من كل مامضى لأنها مسقطة لجاه المرء مصرحة بكذبه ومبطلة لدعواه في الموطن الذي يجب فيه انتصاره واثبات حجته ودعواه

قال فى نبذة التحقيق: وأما حلمه وصفحه عن كان يؤذيه فبالمكانة القصوى والمنزلة الشماء العليا لا يحقد على أحد ولاينتقم من مؤذيه ولو تمكن منه او وجد اليه سبيلا وحسبك مثالا اغضاؤه عنن ساعدوا من ثاروا عليه حتى ممن كانوا يتظاهرون بالاختصاص به والنسبة اليه وفى الحقيقة كانوا مهه وهم عليه وانى لاعرف جلهم عيناً واسماً وصفة وومما

ولوكان هذا موضع القول لاشتني

فؤادى ولكن للمقال مواضع

فكانوا فى صدور من شهدوا فيه وهم زهاء المائتين ولم تـكن شهادتهم إلا بافتراآت واختلاقات وتزويقات وتنميقات تولى كبرها من هو الآن لا رفيق له ســوى عمله وليس له واق من جزاء سوء فعــله إلى آخر ما قال

فصــــــل

وكما كان الشيخ رضى الله عنمه متخلقا بهذا كذلك كان يدعو إليه ويحث دائمًــا عليه فلا يأتيه مظلوم يشتكي غيره في نفس أو عرض أو مال إلا ويأمره بالصبر والاحتمال وكف الأذى ومقابلة الاساءة بالاحسان ويقول المشتكى أطع الله فيمن ظلمك وتعدى عليك بالاعراض عنه وتحمل الأذى منه من حيث عصاه فيك بتعديه عليك فانه ما قابل أحد من عصى الله فيه عثل ن يطيع الله فيمه ويمتثل أمره بالعمفو والاحسان ويفوض أمره الى الله سالى وهو سبحانه يتولى نصرته والانتقام له بمــا لا يقدر هو على مثلة مع سلامة الدين واكتساب الأجسر والمحمدة ويقول للمشتكى أطع أمرى بالاعراض عنه وجرب ما أقوله لك فان لم تر انتقام الله تعالى لك من عـــدوك فامنى على ذلك فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا فاذا أحسنت العمل باتباع السنة والمفو والصفح فلا بد أن يتولاك الله وينتقم لك من عدوك و بؤيد هذا بمــا ورد في أخلاقه صلى الله عليه وسلم من الاحاديث مع حكاية الصالحين فلا يقوم المشتكى من بين يديه إلا وهو فرح مسرور قد طابت نفسه وأعرض عن صاحبه مفوضا أمره لله وربما سامحه ابتغاء مرضاة الله

فِم___ل

وكان رضى الله عنه فىالتواضع بالمنزلة التى يكون عليها أمثاله من أكابر المهرف ولايرى لنفسه امام أهل المهرف الكبر والعظمة ولايرى لنفسه امام أهل الفضل والدين مرتبة يخدم الضيوف بنفسه ويقدم لهم النعال بيده ويجالس المساكين وذوى الخصاصة والأملاق والثياب الوسخة ويتذاكر معهم فى شئونهم الخاصة حتى كأنه واحد منهم ويخرج بالثياب المتواضعة ولا يلبس

الثياب الرفيعة الحسنة ولو أهديت إليه ولا يتميز في الجلوس عن اخوانه ولا يحب التميز عن الناس في شيء أصلا

قال فى نبذة التحقيق وأما تواضعه فكان بالمكانة التى كنا نستحى منه فيها يسبق زائره والمسلم عليه بتفهيل يده أو على الأقل تقبيل رأسه ولا سيما ان كان الزائر من أهل الفضل والدين وربحا قدم النعل بيده الكريمة عند وداعه ويبدى من مخاطباته لى بخطه المبارك ما يوقعنى فى الخجل حين أقف عليه وربما شككنى فى نفسى حينما أراه مبالغا فى اطرائى لكنى أعود لعشى حينما أتذكر أن ذلك كان دأبه مع غيرى والحقيقة أن ذلك من تنزله مع الكبير والصغير والجليل والحقير، والكريم الذى حباه هذا الوصف الجميل والخلق السنى الجليل الذى لا يقدر عليه الاسادات الناس هو الذى جعله من أفاضلهم رضوان الله عايهم أجمعين وعنا بهم آمين اه

وقال في النسبات وأما تواضعه رضى الله عنه فكان تواضع المحققين من أهل الساطن وأرباب القهوب، ممن فنوا عن أنفسهم وبقوا بربهم وشهدوا عظمة علام الغيوب، فكان يتواضع مع الكبير والصغير ويخفض الجناح للضعيف والوضيع والحقير خصوصا أرباب الحنول ورثائة اللباس، عن لا يفتقدون إذا غابوا ولا يعرفون إذا حضروا فكان يعاملهم بمكارم الأخلاق ومزيد الاقبال والتعظيم والاحترام فيلين لهم الكلام ويظهر لهم البشاشة ويصرف لهم الوجهة وينشر عليهم رداء الاحسان ويؤانسهم ويوا كلهم ويحادثهم شا يدخل عليهم السرور ويزيل عنهم الوحشة والنفور وترى منه معهم من البشر وطلاقة الوجه وانشراح الصدر وطيب الكلام وأهل النفضل والدين يعظمهم ويجلهم ويتواضع معهم ويتصاغر دونهم ويغيب عن نفسه في رؤيتهم وينسى حقوقه في حقوقهم بل لا يرى لنفسه وجودا عن نفسه في رؤيتهم وينسى حقوقه في حقوقهم بل لا يرى لنفسه وجودا

معهم. وبالجملة فتواضعه رضى الله عنبه تواضع العارفين وخضوع الاولياء الكاملين لاتكلف فيه ولا إتعمل ولا تخلق بلكان خلقا ممزوجا بذاته ، وهو التواضع الحقيقى الناشىء عن شهود عظمة الحق جل جلاله الذى يغيب صاحبه عن شهود تواضعه وهو وراثة نبوية من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كسائر أخلاقه اه

قلت: ومن تواضعه أنه كان لا يؤم الناس في المحافل والمجالس، بل يقدم من حضر من أهل العلم والفضل حتى من الطلبة الصفار في السن إذا لم يوجد غيرهم . وكان لايحب من يمدحه بالنظم والنثر ولا يترك عنده قصيدة قيلت فى مدحه الا نادرا ولا يظهر ذلك لأحد ولا يذكره قط ولوكان يترك تحت يده ما قيل فيه من القصائد و الامداح و لم يحرقه لجمع من ذلك الشيء الكثير . وكان لايلقن العلماء وأصحاب المظاهر وان طلبوا ذلك منــه وألحوا عليه فيه بل يتواضع معهم ويقول أنتم غـير محتاجين إلى أمثالنا ويعظم من شأنهم ويصغر من نفسه حتى يقوم ذلك الشخص من عنده وهو معنقد أنه حائز لـكل فضيلة وكمال ، وهـذا خلق غريب بالنسبة للمتمشيخين من أهل العصر فانهم يفرحون غاية بكثرة التاقين بل يدعون الناس إلى الآخــذ عنهم وربمــا لقنوا الرجــل وهوكاره لذلك ودعوه إلى ترك ما أخـــذه عن غيرهم قبلهم رغبة فى كثرة الاتباع وحب الرياسة والظهور ، وكذلك كان لا ينظاهر بالكرامات تواضعا وسكونا ورغبة في الخفاء وعدم الظهور الا ماأظهره الله تعالى على يديه من غير اختيار ولا قصد إلى إظهاره بلكان يذم ذلك ويعده من الرعونات والنقص في مرتبة الكمال

قال فى حادى الرفيق بعد حكاية كرامات صــدرت على يديه ما نصه مع أنه رضى الله عنــه كان لا ينظاهر بكرامة ولا يميــل إلى شىء من ذلك وكان يقول: الولى إذا كان يريد ظهور الــكرامة على يده فهو لا يزال ناقصاً ، وكثيراً ما كان يقول لنا فى مجلس المذا كرة نحن لسنا بشيوح وأنتم

لستم بفقراء و إنمــا نحن مجتمعون للتعاون على عبادة الله تعــالى وذكره على قدر الطاقة ويرود همة أهل الوقت اه .

ومن تواضعه أنه كان كثير الاستشارة مع أصحابه بل وخدمه وأولاده الصغار في أغلب شئونه ولا ينفرد برأيه في التقدم إلى شيء وإمضائه دون مشورة إلا في القليل النـــادر مع أن النـــاس كانوا يتواردون عليـــه أفواجاً للمشورة معـ ، في أمورهم المهمة فيرشدهم إلى ما فيـ خيرهم وصلاحهم لا من طريق حسن النــظر وإصابة الرأى فقط بل ومن جهــة الفراسة الايمــانية والكشف النوراني فكثيراً ما كان ينهى أقواماً عن مزاولة أمــور هي في الظاهر وما يبدو للناس فى غاية الموافقة للصواب مم بعــد ذلك يتضح منها ما لم يخطر لأحد على بال ورعما أشار عما يثقل على النفس ويظن أنه بعيد عن النجاح فيكون فيه الخير العظيم والبركة التيامة وقد تأخر قوم عن إشارته بعد استشارته فما أفلحوا ولا أنجحوا بل وقعوا فى المهالك والمعاطب ومع هذا فكان هو لا يقدم على أمر إلا بعد استشارة امتثالا لأمر الله تعالى وسنة رسوله صــلى الله عليه وسلم كما كان .يلازم الاســتخارة ويحث عليها دائمًا ويبالغ في الامر بها ولا يحب من أحـد أن يتقـدم لامر هام دون أن يقــدمها بين يديه ، لا ســيا أهل العــلم والنسبة إلى طريق أهل الله

فصر __ ل

ومن تو اضعه وحبه للخفاء و إيثاره الخول على الجاه والرياسة والظهور اختياره السكنى بمدينة طنجة على غيرهامن المدن ومفارقته وطنه الذى لوأقام به مع مالوالده وأسلافه من الشهرة و الجاه و نفوذ الكلمة ومع ما أكرمه الله به من المواهب والعلوم و الاسرار و المعارف و جميل العشرة و مكارم الاخلاق لحصل له من

الشهرة والجاه والخيرالعظيم وإقبال الخلق ما لم يحصل لفيره وقد تعلق بهأهل فاس وكذلك أهل الاسكندرية والتزموا ببناء الزاوية والقيام بجميع الشئون فلم يقبل إلا أن يقيم بالبلد الذي لايعرف فيه قدره والذي يزداد أهله لهعداوة وبغضآ ومحاربة وحســدآكلما رأوا زيادة فضل الله عليه وبعد صيته واشتهار ذكره وعظمة جاهه كما هي عادتهم مع جميع أهلالفضل من الاشراف والاولياء والعلماء فقد أقام الشيخ رضى الله عنه بين أظهرهم خمساً وثلاثين سنة حييت فيها بلدهم بعد موتها واشتهر ذكرها بعد خمولها وعمرت بذكر الله وذاكريه بعد خرابها وقصدها الاشراف والعلماء والفضلاء والاولياء بعـــد أن لم يكن يقصدها إلاالشرطية والطوبجية وصائدوا الاسماك من الاسبان والبرتغال وصار يسمع في أزقتها ذكر الله تعالى صباحا ومساء بعد ان لم يكن يسمع بهـا إلا زمارة الطوبجية وأصوات السكارى ووقع المجاديف وفشا فيهم العلم والفضل وقام فيهم سوق الادب والدين فكانوا أخسر الناس صفقة فيه وأتىاليهم من المعروفوأنواعالبر والاحسان فالحسيات والمعنويات مالوفعله معأهل قطركافر لأسلموا فلم يكد يخلو فرد منهم من وصول برالشيخ وإحسانه اليه منشفاعة ووساطة فى وظيفة أو معالجة أو مساعدة أو اصلاح أو قراءة علم أو غير ذلك مع ماكان يدافع عنهم هو وأصحابه لدى الحكومة يريد بذلكحفظ حقوقهم ورفعة قدرهم وإبقاء حرمتهم فلم يزدهم ذلك إلاحقداً عليه وحسداً له وبفضاً فيه وسعياً حثيثاً في إذايته وإطلاق اللسان فيه بما هم متصفون به نمم اجتمعوا كلهم مدعوة قائدهم وكتبو اعريضة قدموها للسلطان وغالب من أنزل بهاخطه تلامذته فى العلم والطريق أو ممن دخلوا فى صف الأناسى واستنشقوا رائحة الوجود بوساطته وشفاعته بعدأن كانوا مساوين للعدم منكل الوجوه وقصدوا بذلك نفيه من البلد هو وأصحابه وأرسل اليه بعض أعيانهم يقول اخرج عنا منبلدنا ودعنا فيأمن وعافية فدارت عليهمالدائرة وسقطوآ فى حفرة مكرهم وابتلوا عا صاروا به متميزين عن سائر مدن المغرب من تشتيت الرأىو تفريقًا

الكلمة وفرط الجبن مع الفقر والحاجة والذلة والمهانة ونفى الله من تولىكبر ذلك وأخرجه من وطنه وأنزل بهم عقوبته على عدم شكر نعمته وجملها سارية فى عقبهم إلى يوم القيامة علىأن الله تعالى سلك بالشبخ فى ذلك مسلك سلفه الاولياء الاكابر أفراد الامة المحمدية وورثة الانبياء والمرسلين كاهى سنة الله تعالى فيهم

قال القطب الكبير مولانا ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه وأوليائه أن يسلط عليهم الآذى فى ابتداء أورهم باخراجهم من أوطانهم ورميهم بالبهتان والزور ثم تكون الدالة لهم آخراً ان صبروا قال ولما علم الله عز وجل ماسيقال فى أنبيائه وأصفيائه قضى على قوم بالشقاء فعلوا لله تعالى زوجة وولداً وقالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حتى إذا ضاق ذرع النبي أو الولى من كلام قيل فيه نادته هو اتف الحق تعالى أما لك بى أسوة فقد جعلوا لى زوجة وولداً ونسبوا إلى مالا يليق بملالى وعظمتى وأنا خلقتهم ورزقتهم فلا يسع ذبك النبي أو الولى إلا التأسى وللدك تحمل الانبياء والاولياء مايرميهم به قومهم من الزور والمهتان والجنون والسحر وغير ذلك مما هو مشهرر فى الكتاب والسنة اه

وحكى العارف تاج الدين ابن عطاء الله عن أبى الحسن الشاذل رضى الله عنهما أنه كان يقول لايكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع شماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء فان صبر على ذلك جعلها أنه اماماً يقتدى مه اه

ومن الغريب أن بعض زعمائهم فى الاوصاف والاخلاق المذكورة قال فى هذه الايام وهو فى مجلس جرى فيه ذكر الشيخ رضى الله عنه لو أقام السيد بباريز المدة التى أقامها بطنجة لكان اله شأن عظيم ولكنه أقام بين من لا يعرف قدره

فم ___ل

وكان رضى الله عنه شديدالحياء لايكاد يكلم إنسانا وهو ينظر إليه إلا فى ساعة المذاكرة العلميـة أو مع من هو من خاصة أحبابه وجلاسه ولا يواجه أحداً بمكروه ولا يطلبه أحـد فى شىء فيرده أو يمتنع من اجابنه إلى مراده ويتخمل ضرر الثقلاء وكثرة كلامهم وإطالتهم المجلس ولا ينصرف عنهم حتى يكون الواحد منهم هو المنصرف بنفسه ولا يعارض أحـداً فى قول ولا يرد عليه كلاما ولا يكذبه فى خبر أو حكاية ولو تحقق كذبه

قال في نبذة التحقيق كان أشدحيا، من العذراء في خدرها فكثيراً ماتلقاه ولا تكاد تراه إلامطرقاً بعينه ورأسه يكلمك وربما لاترى داخل عينيه .

وكان لايحضر المحافل العمومية لا سيما أواخر عمره فاذا حضر كان على غاية من الأدب والـكمال والتواضع فى جلسته وهيأته وكلامه

وكان على أدب كامل مع الله تعالى ومع شريعته المطهرة وسنة نبيه المشرفة ومع جميع عباد الله تعالى فى سكناته وحركاته فلا يخرج عن طريقة الآداب الشرعية فى شيء اصلا فلا يمد رجليه لا مع الناس ولا منفرداً وحده لافي حالة المرض ولا كان ينام على ظهره و يجعل إحدى رجليه على أخرى ولا يجلس جلسة المترفين أو يتكىء على احد جنبيه و إنما كان يجلس متربعاً أو محتبياً لا سيا وقت المطالعة

وكان يتأدب مع كنب العلم فى الوضع وانترتيب فلا يضع كناب بحو أو أو تاريخ أو ادب على كتاب فقه او تصوف فضلا عن حديث او تفسير بلكان يضع كتب التفسير العليا ثم التى تليها كنب الحديث ثم الفقه والتصوف ثم الكلام والاصول ثم النحو واللغة والادب والتاريخ وإذا رأى مجلد تفسير

او حديث تحت مجلد نحو او تاريخ بادر في الحال ووضعه في اعلى الكتب وقد دخلت يوما بمصرعلى بعض العلماء الذين يدعون العمل بالسنة فوجدت بين يديه كتباً كثيرة فيها النهاية لا بن الاثير في غريب الحديث والقاموس وغيرها وكان يصحح تاريخ الحطيب عند طبعه وإذا هو واضع صينية القهوة بأوانيها فوق تلك الكتب يشرب هليها القهوة فنهيته عن ذلك فقال لم أحسب ان فيها هدئا ولا ان فيها اهانة .

ودخلت يوماً على بعضمن يدعى أنه شييخ للطريقة الخلوتية فاذا هورجل جالس على كنبة وفارش تحت رجليه كثيراً من الجرائد واضع رجليه عليهـــا مع انها لاتخلو من مقال فيه آية أو حديث او من اسم الله على الآقل

فص ل

وكان رضى الله عنه سايم الصدر والنية كثير التصديق حسن الظن يسلم لكل ، دع دعواه ويصدق كل قائل فيها يقول لا يكاد يخطر بباله يهمة احد بكذب او تدليس او غش أو خديعة و نفاق مجبولا على ذلك بطبيعته وفطرته التى فطره الله عليها معالتخلق بالأخلاق النبوية فى ذلك و الاوامر الشرعية بحسن الظن والحث عليه والترغيب فيه

وكثيراً ما كان يرد عليه المتمشيخون فيدعون عنده بالمقامات العالية والكرامات الكنيرة وحضور الديوان ونحو هذا فيصدقهم فيه ويعاملهم على مقتضى دعواهم من الاجلال والاكرام اللائق بصاحب تلك المنزلة وإن كان كاذباً فيها بمقتضى شواهد الحال فضلاعماورا وذلك وما علم أنه امنحن احداً فى مقام ادعاه او رد عليه ذلك لافى حضوره ولا فى غيبته بل يسلم ذلك ولو تحقق فى نفسه بكذبه بل كان يعتنى غاية بالستر على الكذابين المدعين ويذب عنهم ويتأول ماصدر منهم مما يجالف اصول الطريقة او يباين حال العامة من الناس ويجيب عن ذلك بأجوبة ويعتذر عنهم بوجوه من الاعذار ما لم

يكن ذلك مخالفاً للشرع خارجاً عن حدوده . وقد ذكرت في الأصل عدة حكايات وقعت له في هذا الباب

وكان ستيراً على أهل المعاصى فاذا اطلع من أحد على شيء لا يفضحه ولا يذكر ذلك لاحد بل يغض الطرف عنه كأنه لا علم له بشيء وإذا اقتضى الحال زجر الفاعل عن ذلك الفعل دعاه فى خلوته من حيث لا يطلع عليه أحد وزجره ونهاه حتى كان كثير من خدمه وأصحابه وأولاده يخافون من اطلاع أحدد عليهم فى شيء ولا يخافون من اطلاع الشيخ لتحققهم بستره عليهم وعفوه عن جنايتهم دون غيره

وكان يقوم محقوق أصحابه وإخوانه من جميع الوجوه ولا يتشوف هو لأن يقوم أحد بحقوقه ولا يعتب على أحد فى تضييع حق من حقوقه أو إساءة أدب معه أو هفرة صدرت منه وإن عظم أمرها وتكررفعلها ويقول لمن يذكر له شيئا من ذلك إن الناس اليوم يرون لهم حقوقاً على غيرهم ولا يرون لغيرهم حقاً عليهم . فالواجب علينا أن نقوم بحقوقهم امتثالا للسنة المحمدية وعملا بأخلاق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ننتظر من أحد أن يقوم لنا بحق وإلا قاطعنا الجميع وأعرضنا عن الكل وعاديناهم لان هذا وصف غالبهم وما بذلك أمرنا الله

وكان يقول: الناس كلهم يحتاجون الينا و محن نرجو الله تعالى أت لا يحوجنا إلى أحد منهم .

وكان إذا كثرت عليه الشكايات بالفقراء وتكررت لديه الاخبار عنهم عــا يسوء يقول لم يبق اليوم فقراء وإنمـا هم قفراء بتقديم القاف على الفاء .

ويقول فى حقهم أيضاً إن الفقراء فيما مضى كانوا فقراء بلا بطون ثم صاروا فقراء ببطون، وأما اليوم فبطون بلا فقراء

وكان يأسف لموت أحد من إخوانه في الله ومجالسيه ويبكي بكاء شديداً

لاسيما فى أواخر عمره فانى رأيته يبكى عند موت بعضهم بكاء شديداً وينتحب نحيباً يسمع من بعيدكما يبكى الرجل على والده وأمه وأعزأولاده لكثرة محبته وألفه باخوانه وجلاسه

وكان يحب موافقة السنة فى كل شىء ويسعى جهده أن يحصل له كل ما حصل النبى صلى الله عليه وسلم وبحث على هذا وينبه العمل به ويحكى عن الشيخ الآكبر محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه أنه أخذ يوماً طفلا فبال عليه ففرح بذلك أو قال أولم لاجل ذلك وقال الحمد لله هذه آخر سنة لم نكن أدركناها قد حصلت لنا الآن ببول هذا الطفل لان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بطفل رضيع لم يطعم فبال عليه وكان الشيخ يجب كل ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يجبه من الاطعمة كالدباء ونحوه مما ورد في السنة وكذلك كان يحد المعاملة مع اليهود والاستدانة منهم لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعاملهم ويستدين منهم ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودى

ولحبته في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وموافقة سنته اختار الله له موافقته في كثير من أموره بغير قصد منه واختيار فتزوج قبل وفاته بشهر ونصف أو بحوه بزوجة لم يدخل بها لانها زفت إليه في رمضان وكان الضعف ومرض القاب الذي مات منه قد اعتراه مع الصيام إلى أن مات في سادس شوال ، وكذلك تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قيلة بنت قيس الكندية قبل وفاته بشهرين وقيل في مرض موته وقيل في ربيع الاول ولم يدخل بها لتأخر قدومها عليه إلى أن انتقل إلى الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم

ولما حج الشيخ رضى الله عنـه كانت وقفته بالجمعة كما كانت وقفة النبى صلى الله عليه وسلم مع أن الشيخ خرج للحج قبل ظهور ذلك لان خروجه من وطنه كان فى شعبان كما سبق • وتوفى الشيخ رضى الله عنــه وعليه ديون كما توفى النبى صــلى الله عليه وسلم وعليه دين كـذلك .

وَلَمْ يَنْزُوجَ عَلَى زُوجَتُـهُ الْأُولَى إِلَى أَنْ تُوفِيتَ ثُمَّ أَخَـٰذُ بِعَدُهَا زُوجَاتُ متعددات وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج على خديجة رضى الله عنها إلى أن ماتت فأخذ زُوجات متعددات

وكانت زوجته الاولى فاضلة عاقلة صالحة ذات مناقب وكرامات كما كانت خديجة رضى الله عنها ذات مناقب جمة وفضائل عديدة

وكان إذا نابه شيء فزع إلى الصلاة كما كانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم فكان يفرج ما نزل به في الحال ويقضى ما قصده بامتثال أمر الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

وكان بكرم الجار غاية ويراعى حرمته وحقوقه على أى حالة فلقد كان له جارمفرطالجهل والاسراف على النفس مع التكبر على الله تعالى وعلى عباده الصالحين فلا تلين قناته لأهل الفضل والدين ولا يظهر لهم ميلا ولا احتراماً كأنه غنى عن رحمة الله تعالى . ومن جهله المفرط أنه باغ السبعين من العمر وما سجد لله سجدة قط ، فقال له بعضهم يوماً ألا تصلى ، فقال نحن ما كنا نلعب صغاراً فضلا عنا ونحن كبار وبالجملة فكان في منتهى الجهل والجفاء والاسراف كاتقتضيه طبيعة أرضه لانهمن ذوى بيوتها . فكان الشيخ رضى الله عنه يكرمه على هذا الحال ويراعى حق جواره لانه كان ملاصقاً له ولما توفى خرج لحضور جنازته والصلاة عليه بباب الدار مع أن الفقهاء يكرهون الصلاة لمن هو دون الشيخ على من هو أحسن حالا من هذا الجار سامحنا الله وإياه وعاملنا جميعاً بفضله ورحمته

وكان ينخدع لمن خدءه ولو كان خداعه من البين الواضح المكشوف فكان جماعة من أتباعه وفقرائه يبغضون أولاده وأقاربه محكم طبيعة البلد التى ينبت ماؤها وهواؤها الحقد والحسد فى القلوب كما ينبت المهاء البقل

والربيع وكانت تحصل منهم إذاية عظيمة وإهانة كبيرة لأيتحملها بشرخ لأولئك الاقارب والانجال ثم يأتى أحــدهم الى الشيخ رضي الله عنه يريد خداعه والتلبيس عليه قائلا إنى فعلت مع الشريف الفلاني كذا وكذا من سبو إهانة واحتقار وأخذ حق ومال ، وما قصدى بذلك الا تعظيم جنا بكم وتبرئة ساحتكم لأنى رأيت منه مالا يليق بمقامه ومقامكم فيعلم الشيسخ أنه كاذب في دعــواه وأن الذي حمــله على ذلك فرط حقد وحسد في قلبه وحب انتقام من أهــل الفضل والدين ولكنه يظهر له الفــرح والسرور' ويقول جزاك الله خيرا ويمدحه على فعله. ذلك ويطريه حتى يذهب الأحمق المغرور وهو ظان أن خــداعه قمد راج على الشيخ بل لا يكتني بذلك حتى. يعتقد أنه على حق وصواب وفضل كبير كما حلاه به الشيخ الذي قد عرف قصده وتحقق من كذبه ليس في مرة واحدة فقط بل والله في مئات المرأت وقد يستدعىالشيخ رضىالله عنه ذلك المظلوم المعندى عليه من ذلك الجاهل: المجرم فيوصيه بالصبر والاحتمال ويقول له أنا متحقق من أنك مظلوم برىء مما نسبه اليبك فلان وأنا أعرف قصده من ذلك ولكن حيث وقعنا معهم وابتلانا الله بصحبتهم فلا حيــلة لنا الا احتمال أذاهم والصبر عما يأتينا من إذايتهم كما أمرنا الله نعمالى وما هي إلا أيام قليلة يصبر فيها المرء ثم يعاجله الله تعالى بالنصر والفرج على عدوه وإن أحياك الله تعالى فسترى من أعدائك ما يسرك إن امتثلت أمر الله فيهم بالصبر والاحتمال وعدم المقابلة بالمثل وقد وقع والله كل ما قال وظهر ظهور الشمس في رابعــة النهار ولا يزال يظهر وينمو حتى يصل المنتهى والحمد لله رب العالمين

وكذلك كانوا يخدعونه من جهة المال والتوسط فى الحصول عليه بضانة ووساطة ونحـو ذلك بأعـذار وكلات ظاهرها حق وصدق وباطنها غش وخـداع فينخدع لهم و يوصلهم الى ما أرادوه مع تصريحه لبعض خواصه

فى كثير منهم أنه يعلم كذبهم وغزمهم من أول مرة على أكل المال وعدم رده إلى أربابه ليدفعه الشيخ من عنده ولا يحصى من كان يعامله بمشال هذا وهم على قسمين منهم من كان يعتقد أنه لحدقه وذكائه يخدوع الشيخ ويغره اسلامة صندره وصفاء طويته . ومنهم من كان متحققاً بأن الشيخ غير مخدوع فى الواقع وإنما يتظاهر بأنه قد انخدع لارضاء الخادع ومع ذلك فكان يعامل الشيخ بطريقة المكر والخداع لفلهة ذلك على طباعهم مع قلة حيائهم

وقد روى البخارى فى الآدب المفرد وأبو داود والترمذى والحاكم والبيهتى وغيرهم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا المؤمن غركريم والفاجرخب الميم a يعنى ان المؤمن المحمود فى الفمال والخصال من كان طبعه الغرارة وقلة التظاهر بالفطنة المشر وترك البحث عن الامور وليس ذلك منه جهلا وغباوة بل تجاهلا وتسامحا لكرم أخلاقه وحسن طباعه والفاجر من أخلاقه الخبث والدهاء والتوغل فى معرفة الشر والحذر لدناءة طبعه ولسوء أخلاقه وفقده الكرم من نفسه ،

قال بعض العارفين كن عمرى الفعل فان الفاروق رضى الله عنه يقول من خدعنا بالله انخدعنا له . فاذا رأيت من يخدعك وعلمت أنه مخادع فمن مكارم الآخلاق أن تنخدع له ولا تفهمه أنك عرفت خداعه . فاذا فعلت ذلك فقد وفيت الأمر حقه لآنك إنما عاملت الصفة التى ظهر لك فيها والانسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لاعيانهم فاذا عاملته بما ظهر منه كنت مؤمناً حقاً أ. والمؤمن غركريم لان خلق الايمان يعطى المعاملة بالظاهر اه .

وقد نص المارف الشعرانى فى الآخلاق المتسولية على أن هذا من أخلاق المعارفين وكمل الرجال كما نقلته فى الأصل . وعلماء الوقت يسمون مثل هذا مغفلا وعبيطاً جهلا منهم بالسنة وإعراضا عن العسمل بها . نسأل الله السلامة والعافية عنه

فصر___ل

وكان يضع السبحة في عنقيه إذا خرج ويمسك بيه العصا الطويلة المستقيمة ذات الرج كما هي سنة الانبياء عليهم السلام ووراتهم من العموفية العرفاء رضى الله عنهم لاالعصى القصيرة الممكوفة الرأس كما يمسكهاعلماء مصر بيدهم زينة وتكبراً وافتخاراً وتشبها بالنصارى لانها من سنتهم التي تبعهم في جميعها علماء مصر ، نسأل الله اللطف والعافية .

وكان فى بداية أمره مجهر بذكر الله فى الشوارع ويأمر بذلك الفقراء كما كان يأمرهم محفظ القرآن وتماهد دراسته وتلاوته

وكان محث الفقراء وطلبة العلم منهم ومن غيرهم على الاشتغال بالحرف وتعلمها والتكسب بها وبالتحارة ويقبح لهم البطالة جدا ويبالغ في ذمها وفع الكسل والاتكال على الناس، ويقول ان ترك الحرفة والتجارة يؤدى بالطالب والفقير الى أن يأكل بدينه أو يتذلل الاهل الدنيا أو يدخل في الوظائف الحكومية مشل القضاء والههادة و محوهما عما يهدم الدين جملة ويقضى عليه بالكلية. ويقول الان يبيع طالب العلم الفحم والنعناع في الشوارع خير له من الدخول في القضاء والشهادة.

وكان كثير الاهتمام بأمر العامة شذيد الشفقة عليهم قد بذل كل ما فى وسعه وطاقته لنفى الشر عنهم والتوصل إلى أسباب انقاذهم مما هم فيه . فلما أعياه أمرهم وعلم أن مراد الله منهم ما هم فيه أقبل على شأنه وأمر الفقراء المتجردين فى الزاوية بادامة قراءة سورة يس صباحا مع الوظيفة بنية الفرج على الامة ودفع البلاء عنها . وبذكر اسمه تعالى اللطيف كل ليلة لهذا الغرض أيضا وترك ماكان يسمى فيه من الاسباب الحسية الظاهرة لذلك لبلوغه مقام الكال فى المعرفة بالله تعالى

فقد ذكر العارف الشعراني في الفلك المشحون أن من أخـــلاق الــكمل من العارفين عمل أحدهم على تحصيل مقام عدم الاهتمام بأمر المسلمين وعدم. مشاركتهم فيهمومهم اكتفاء بتدبير الحق لهم ورحمته بهم وشفقته عليهم لا استهانة محقوقهم وذلك بعد عملهم على مقام مشاركتهم فى كل هم وغم حتى بلغوا الغاية في ذلك ودليلهم في الشق الأول العمل بباطن حديث «من لم يهتم بأمر المسلمين فليسمنهم» بعد عملم بظاهره وهو مقام عزيز قل من يتنبه له من الفقراء و إيضاح ذلك أن هــذا الحديث يحتمل أن يكون المراد به أنهـ ليس منهم على وصفَّ الذم ويحتمل أنه ليس منهم على وصف المدح كما هو شأن الكل من الاولياء لان أحدهم قد ارتفع عن مقام الاسلام والحجاب الى مقام الاحسان والايقان فضلا عن مقام الايمــان يشهد أن الله ما ابتلاهم. إلا لحَكَمَة بالغَــة إماليؤدبهم بذلك أو ليكفر عنهم سيئاتهم أو يرفع بذلك درجاتهم وصاحب هذا المشهد لا يكاديهتم لاحد من المسامين الا بالجزء البشرى الذي يدق فيه . وكأن وجوده عدم مم أطال النقول في هـــذا المعني عن شيوخه كسيدى على الخواص وشيخ الاسلام زكريا الانصارى وسيدى أفضل الدين وسيدى على المرصغي عما فيمه لطائف وفوائد لا تخطر ببال محجوب فارجع إليه فانه نفيس جدا . وذلك بالباب الخسين من الكتاب المذكور فكان الشيخ رضي الله عنه في بداية أمره يعمل بظاهر الحديث المذكور ويهتم بأمر المسلمين اهتماما مارآه الراؤون من أحد من أهل عصره لا سما العلماء ودام يسمى في ذلك أزيد من خمس عشرة سنة عما يطول. شرحه ولا يساعد الوقت على ذكره مم صار في نهايته يعمل بباطن الحـديث أيضاً فسلم الامر لله وصار يترقب مايبرز من الحضرة الالهيــة دون وساطة بشر أو سعى مخلوق .

وكذلك صار في آخر عمره لا يسكدر مما عليه الناس من كثرة المعاصى والمخالفات. ولا يتأسف على ذلك ولا يكثر من ذكره الاعلى سبيل القلة.

والندرة مخلاف ما كان عليه في بداية أمره فانه كان كثير التعرض لذلك في دروسه وخطبه و مجالسه بقصد تغيير المنكر والتنبيه عليه وذلك أيضامن كال المقام في المعرفة وهو مقام عدم الاعتراض على شيء من الاقدار الالهية ولو خاطراً كما ذكر العارف الشعراني . قال وهو مقام عزيز لا يثبت فيه إلا من أطلعه الله تعالى على اللوح المحفوظ وعرف ما سبق به العلم الالهي فهناك يذهب الاعتراض منه جملة بساديء الرأى وصاحب هذا الاطلاع يعرف أن ما سبق به العلم الالهي لا يطلب تغييره لكونه على أعلى مراتب الكمال كما أشار الى ذلك الغزالي رحمه الله تعالى بقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي لان جميع ما بوز في الوجود ما بوز الاعلى أكمل مراتبه التي سبق بها العلم عند هذا المكاشف فكيف يقع منه اعتراض وهو يشهد أن ما بوز في الوجود أكمل مما يطلبه هو بعقله .

وسمعت سيدى علياً الخواص رضى الله عنه يقول من علامة صدق من اطلع على ما سبق به العلم الالحى فى اللوح المحفوظ أن لا يأمر الناس ولا ينهاهم الا بقدر ما فيهم من الجزء البشرى الذى هو مناط التكليف لا يزيد على ذلك ذرة ولا ينقص وان وقع أنه مدح من زاد على غيره فى الطاعات أو ذم من زاد على غيره فى الطاعات أو انتهى وإلا فشهد صاحب هذا المقام أن العبد لا يقدر أن يزيد ولاينقص محا قدر له أو عليه ثم أطال النقول فى ذلك وهو مقام الشيخ رضى الله عنه ومشهده لانه كان يقول لبعض من تقع منه المخالفات من خواصه استتربستر الله ولا تبد شانك للناس فانهم لا يعذرونك ولا عليك من اطلاعنا فانا فعرف مراد الله منك ولا ناومك على شى، صدر منك حتى يكون الله تعالى هو الذى يظهر فيك مراده.

وسممته مرة يقول لبعضهم: والله لو دخلت على سكران تتمايل ما تغيرت منى شعرة واحدة عايك وأنا أعلم ما فى الامر وما هو الواقع ولذلك كان

ستيراً على أهل المعاصي باراً بهم كما قدمناه .

وكذلك كان في بدايته بكثر التعبد وينقيف على قدر خال الوقت شم في خهايته ترك ذلك وصار لا يزيد على الفرائض في العبلاة والصيام ورعما بهام يوم عرفة ونصف شعبان في بعض الاعوام الاقيام الليل غانه لم يتركه أصلا وما كان يأتى عليه ثلث الليل الاخير الا وهو تأثم ورعما قام في منتصف الليل وهمذا أيضاً من كال المقام في المعرفة بالله تعمالي كما هو معروف عند أهله

وَكَانَ يَفْرَحَ بَكَثَرَةَ كَلَامُ السّاسُ فَيهُ وَيُضْحَكُ اذَا سَمَعُ الجُرائِمُ الْعَظَامُ التي يَنْسَنِهُ النَّبِ النَّبِي يَنْسَنِهُ النَّبِي يَنْسَنِهُ النَّبِي يَنْسَنِهُ النَّبِي وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الشّيوخُ الصّالحين مَنْ أهـل قاس الشّييخُ رضى الله عنه مقاماً عظيما فَسَأَلُ عن سبب وصوله اليه فقيل له كثرة كلام الناسُ فيه وهذا أيضاً مَن أسرار اختياره السّكثى بُطَنْجة والله أعلم

الـ__اب السادس

فيما أكرمه الله تعلل به من الفضائل والمزايل وخصه به من عظيم المنن وجزيل العطايا

فن ذلك جمال انصورة الحسية والمعنوية وكيال الذات الجسمية والروحية أما جمال الصورة المعنوية وهو ما أكرمه الله به من الاخلاق المحمدية وزيئه به من الاوصاف السنية فقد مر شرح بعضها فى الباب الذى قبله . وأما جمال صورته الحسية فقد أكرمه الله تعالى تكيال الذات واعتدال القامة مع ميل الى الطول شيئا قايلا وتوسط الجسم فلا هو سمين كثير اللحم ولا هو رقيق بين العروق والعظم ، مستدير الوجه الى الاسالة كبير العينين أسودها طويل الاشفار واسع الفم مفلج الثنايا فصيح اللسان أبيض الماون مشربا محمرة كث اللحية أسودها الاأنه شاب في مقتبل كهولته فكان يديم الخضاب بالحناء فصارت حراء مزهرة زادته نورا وبهجة في أعلى جبهته الخضاب بالحناء فصارت حراء مزهرة زادته نورا وبهجة في أعلى جبهته دينار مخالف الجسم من أثر السجود جيل الاطراف سليم الاعضاء واسم الصدر بعيد ما بين المنكبين إذا مشي أسرع في مشيته ومشي قصداً لايانفت عينا ولا شمالا إذا ماشاه أحد ينعب في المشي من حيث يكون هو مستريحا الانها مشيته العادية

ومن ذلك النور والبهاء والهيبة التي لم نرها على أحد من أهل عصره لا بالمشرق ولا بالمغرب حتى كان لا يستطيع أحد أن يكلمه وهو ينظر اليه من هيبته وكان أعداؤه يقابلونه في الطريق فلا يشعرون بأنفسهم الا وقد انحنوا لتقبيل يده ، ولما كان بالقاهرة والاسكندرية كان لايمر بشارع من شوارعهما إلا قال الناس عند رؤيته ما شاء الله اللهم صل على سيدنا محمد استعظاما لبهائه وجلالته كها قال العارف ابن بنت الميلق في وصف الشيخ السكامل رضى الله عنه

إذا رؤى ذكر المولى لرؤيته وفاز بالسعد والتقريب رائيه عبد عليه سمات العز لائحة وخلعة العز والتحكيم عاليه

ووقعت له قضايا متعددة مع شيوخ مصر وعلمائها دهشوا فيها لرؤينه لعدم اعتيادهم ذلك من شيوخهم وعلمائهم وجاء اليه مرة رجل متزوج بكافرة وأصحبها معه والشيخ لا يعلم بذلك فأمر بادخاله إلى غرف المقابلة فلما دخل الشيخ عليهما حصل لزوجته من الهيبة أمر عظيم فصارت تبكى ثم قامت وخرجت في الحال

وذكر في حادى الرفيق أن الشيخ لما كان بالقبيلة الانجرية جاء لزيار ته القائد ابن حازم في جماعة كبيرة من أتباعه حاملين السلاح فلما انصرفوا سأل بعضهم القائد عن الشيخ فقال لما كنت جالسا بين يديه كنت أحس بأذنى تنتفخان من هيبته وبالجملة فاعطاه الله تعالى من الهيبة وكساه من حلة البهاء والجلالة ما كان يتصاغر عنده الاكابر والعظاء وتنضاء ل أمامه رياسة الشيوخ والعلماء كما هو شأن كبار العارفين، حلة ربانية وورائة نبوية

فقد قال على عليه السلام فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم من رآه بداهة هابه رواه الترمذي وأبوالشيخ في الآخلاق والبيهقي في الدلائل وغيرهم .

وفى وصف على عليه السلام يقول ضرار الصدائى : ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكامه هيبة لهرواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية وكذا قال أبو حنيفة فى جعفر الصادق عليه السلام دخلنى له من الهيبة ما لم يدخلنى للمنصور .

وهكذا حال جميع الكهال من العارفين كما مر فى وصف الشيخ الكامل من كلام العارف ابن بنت الميلق رضى الله عنه .

ومها الحرية وعدم الخوف من المخلوق فكان يصدع بالحق ولا يخاف في الله

لومة لائم وينفذ رأيه ومايريده معارضاً بذلك للحكام وأعاظم الدول كأنه أكبر ملوك الأرض وأكثرهم جنوداً وأمنعهم قوة وما ذاك إلا اعتماداً على الله تعالى وتعززاً بجنابه واحتماء بنصرته وولايته وان كان الجهال والمفرورون كانوا يظنون أنه يفعل ذلك اعتماداً عليهم واستناداً إلى قوتهم حتى امتحنهم الله تعالى فافتصحوا وتحققوا أن جميعهم كان في حمايته وتحت كنفه ورعايته مناً من الله تعالى عليه وعلى اللائذين بجنابه

وقد جاء إليه يوماً بعض الولاة ممن كان يظهر له محبة كذباً ونفاقا وهو فى الحقيقة لايحب إلا اليهود وبعدهم النصارى فقال له على سبيل النصيحة والنخويف من معاندة الحكومة والوقوف فى وجهها اعلم أنك صرت الآن عدواً لليهود والنصارى والمسلمين يعمى من أهل طنجة ولم يبق معك إلا الله تعالى فضحك الشيخ رضى الله عنه من مقالته وقال له إذن بقى معنا كل شىء وحزنا النصرة على كل أحد

وحدثنى الشريف العارف بالله تعالى سيدى محمد بن الغالى قال كنت ببنى زرء ال واجتمعت بحاكمها الفرنسى فقال لى كم تجمع تجكان من القبائل فقلت له هى قرية صغيرة فيها نحو ثلاثين داراً فدهش لخبرى وتعجب منه لظنه أن تجكان التى هى قرية الشيخ اسم لناحية كبيرة تجمع عدة قبائل لما يعلمه من معارضة الشيخ للدولة وعدم رضوخه لاو أمرهافكان يرى ذلك لكثرة رجاله والقبائل التابعة له لا سيا وهو يرى أن جميع شيوخ المغرب قد خضعوا لفرنسا وأحبوها وخدموها وسعوا فى مصالحها مع كثرة أتباعهم وانفرد الشيخ من بينهم بالتمسك بدينه وحريته كما ذكرهالفر نسيون أنفسهم فقدكنب حاكم فاس الفرنسى بول أودينو مقالا نشره فى جريدة لا مجيس مروكان بتاريخ سابع عشر ابريل من سنة سبع وعشرين وتسعائة والف عنوانه مولاى التتى ذكر فيه أن جميع شيوخ المغرب خدموا فرنسا إلا الشيخ الدرقاوى بطنجة

وقد نقلت نص مقالته في الآصل مع عدة قضايا ووقائع في هذا الناب وبالجلة فما رأينـــا ولا سممنا من يعامل الحــكام ويواجههم بما يكرهون إلا الشيخ رضى الله عنه فانه كان منفر دزمانه في الصدع بالحق وعدم الحوف من المخلوق كما كان يشهد له بذلك الموافق والمخالف

ومنها كالالعناية وتمام الحفظ والرعاية فانه على كثرة أعدائه وحساده ولا سيما بطنجة وكثرة ما كانوا يبلغونه عنه من العظائم في السياسة إلى كل من الدولتين وانه دائم السعى في اثارة الفتنة التي يقصدون بها الجهاد مع ما كان يأتيه هو من مخالفتهما والدعاية ضدهما لم يسلط الله عليه أحداً ولم يصرف فيه مخلوقا ولم يمس بسوء أصلا وقد جاء اليه يوماأحد أصحابه فزعاً مرعوباً فأخبره عاحصل من الاحتكاك بين الفقراء والبوليس وان الامرقد كاد يصل الى تكليم البادود فقال له الثين لا يحصل شيء من ذلك فانا بحمد الله محفوظون لا تصيبنا اذاية مخلوق وكذلك كان فعاش كما أراد من غير أن يتصرف فيه مخلوق أصلا وحتى إن ضرببة المباني التي يدفعها كل أحدمن الناس ولوالوزراء والامراء أبي أن يدفعها طول حياته وورد أمر من السلطان أخيراً باعفائه خاصة من دفعها .

ومنها حفظه من الذنوب من صغره وكونه شب ونشأ في طاعة الله تعالى لم تحصل منه صبوة فى شبابه ولم تجر منه مخالفة فى صباه الى بلوغ كاله كما كان يذكر ذلك عن نفسه تحدثاً بنعمة الله تعالى عليه وكما كان يذكره أقاربه من أقرانه ومن كان أكبر سناً منه نمن نشأوا معه من صغره.

ومنهاكون نعمه مكفورة غير مشكورة ولا مذكورة ادخاراً الموابها عند الله تعالى دلالة على كمال إيمانه وكونه من أهل ولاية الله تعالى ورحمته فان أكثر من ناله فضل الشيخ وإحسانه لم يشكر ذلك ولا كان يعترف به لاسيما وقد أسكنه الله بالمدينة التي هي معدن هذا المعنى وأساسه .

وقد روى الحاكم في المستدرك بسند صحيح من حديث سعدبن ابى وقاص

رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسام قال المؤمن مكفر يعني يصمم المعروف فلا يشكر

وروى ابن أبى الدنيا من مرسل عروه قال حض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاعلى رجل يأتى اليه معروفا فقال ابى اصنعه به ولكنه يكفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رحمة الله على المكفرين هكذا ولسط مده

وروى أيضاً عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله على المسكفر بن أنا رفيقهم يوم القيامة وقال المؤمن مكفر

ومنها حال أصحابه معه من كمال الآدب وهزيد الاجلال والنعظيم والهيبة والاحترام لايتقدمون بين يديه في شيء ولا يتأخرون عن امتثال أمره في شيء واذا كانوا في مجلسه فكأنما على رؤوسهم الطير لايرفعون بصرهم اليه هيبة وإجلالا فضلا عن أن يكلمه أحد منهم وهو ينظر اليه وهذا فضل من الله تعالى ومنة منه عليه فان ذلك غريب جداً بين أهل تلك القرية

ومنها كشفه الصريح وكثرة الكرامات التي جرت على يديه كما سيأتي ذكر بعضه في الباب الذي بعده

ومنها حفظه وسعة اطلاعه وتبحره فى العلوم الظاهرة والباطنة واستحضاره الذى لم يعمد له نظير من أغلب أهل عصره

ومنها على مقامه فى المعرفة بالله تعالى وبلوغه رتبة القطبية كما أشار اليه كثير من أولياء وقته وصلحائه بل كان هو نفسه يشير إلى ذلك فى أواخر عمره

خدتنى بعضهم أنه كان جالساً مع الشيخ رضى الله عنه فقال له ان واحداً من الناس مكث فى القطبية خمساً وثلاثين سنة وجمع الىالقطبية الفردية والغوثية قال فقلت له هذا مقام كبير لايكاد يوجد فى هذا العصر فقال بل هو موجود

فى الوقت وفهمت أنه يشير الى نفسه

وحدثنى غيره قال كنا مع بالدار فى مجلس وهو يتكلم فى المعرفة ومقام الأولياء الى أن ذكر مقالة الشيخ عبد القادر الجيـــلانى رضى الله عنه قدى هذا فوق رقبة كل ولى لله تعالى فقال الشيخ رضى الله عنه وفى وقتنا هــــذا من الأولياء من بحمل الشيخ عبد القادره يجعله تحت أنفه

وحدثنى من زار بعض أواياء الوقت المشهورين بالكرامات فقال له ان أولياء الله تعالى مع شيخك مثل الهراكس يعنى الفراخ الصغار

ويدل لهـذا مبايعة شيخه له وهو لايزال معه فى الزاوية فانه جمع ذات يوم الفقراء وقال لهم بايعوا السلطان ومد يده هو أولا فبايعه ثم تبعه الفقراء وذلك اشارة منه رضى الله عنه الى القطبية التى هى السلطنة الحقيقية العظمى والسلطنة الظاهرية انما هى مجاز عنها .

وحدثنى من سمع الشريف العلامة الصالح سيدى تاج الدين ابن عجيبة وقد سئل عن سبب قلة وقوع الضرر بكثرة من الكور الذى يرميه الاسبان على القرى والمداشر بالقبائل الجبلية فانه على كثرة ماير مى بها لا يكاد يهدم بها بيت ولا يموت بها أحد فقال سبب ذلك ان صاحب الوقت وهو سيدى محمد أبن الصديق يضع يده على الكور فلا يقع بها كبير ضرر للسلين

وحدثنى من ذهب أخيراً الى بعض الأولياء وكان متخوفا على من بعض الحوادث الوقتية فقال له ذلك الولى والله مايتوصلون منه ولا الى قلامة ظفر لاظاهراً ولا باطناً فان والده هو الذى يتصرف فى الكونكله .

وحدث من زار قديما بعض الظاهرين بالكرامات والأخبار بالمغيبات في نواحي القبائل الفهارية من تلامذة سيدى الحاج عبدالقادر بن عجيبة فقال له أن الأمرالآن كله بطنجة فمن أراد شيئا فعليه بسيدى محمد بن الصديق ثم بعد هذا تكررت منه هذه المقالة لجماعة بمن قصدوه .

وحدث بعض طلبة العلم قال لما ذهبت لطلب العلم بفاس ذهبت في صحبة

بعض الطلبة لزيارة الشيخ العارف بالله سيدى محمد بن ابراهيم فطلبنا منه أن يلقننا الورد لنتبرك به فقال كل ماعندنا من السر قد أخذه سيدى محمد بن الصديق فمن أراد شيئا فليذهب اليه

ولما كان الشيخ رضى الله عنه بفاس فى زاوية شيخه رأى ذات ليلة بها كأن الشيخ مولاى العربى الدرقاوى رضى الله عنه جالساً محت شجرة وفى عنقه سبحة فذهب وسلم عليه فخلع تلك السبحة من عنقه ووضعها فى عنق الشيخ رضى الله عنه ولواها مرتين ثم لقنه الورد فلما استيقظ قص هذه الرؤيا على شيخه سيدى محمد بن ابراهيم رضى الله عنه فقال له لقنى الورد كما لقنك مولاى العربى فامتنع الشيخ من ذلك فأقسم عليه بالله أن يفعل وأن يكوز من أتباعه وقال له ما انا إلا عبدك بلغت الأمانة إلتى أو دعها جدك سيدى الحاج أحمد بن عبد الؤمن عند شيوخى وهم أو دعوها عندى وأنا قد رددتها إلى محلها فتلقن منه ثم أمر أصحابه وفى مقدمتهم نقيبه الشريف مولاى احمد الكتانى أن يتلقنوا منه فاقن الشبخ جميعهم امتثالا لأمر شيخه رضى الله عنه .

وكان الشيخ العارف بالله سيدى الطاهر التسولى بفاس يحب الشيخ كثيراً ويبالغ فى اجلاله و إكباره ويقول لتلامذته لاتدعوه إلا بسيدى محمد الكامل ومن لم يدعه بذلك فايس هو من أصحابى وكان يقول لهم من أراد أن ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى سيدى محمد البكامل.

ومنها ماذكره بعض الصــالحين من أنه لايرى وجهه شتى ولا يقف على قبره شتى ولا يأخذ ورده إلا سعيد

فص___ل

وأختم هذا الباب هاعثرت عليه من مكاتب شيوخه وشيوخ العصر و أوليائه في مخاطبته وذكر بعض القصائد التي قيلت فيه

فكتباليه من المدينة المنورة الشيخ الامام العارف القدوة المجدث سيدي عمد بن جعفر الكتانى رحمه الله تعالى ورضى عنه وهو أستاذه وشيخه في العلم : أخانا وسيدنا الشريف الإمام العلامة الصوفى الهام وحيد الدهر وفريد العصر العارف بالله الذاب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السالك مسلك الصدق والتصديق أبا عبد الله مولانا محمد بن الصديق

وكتب اليه من دمشق شيخ الطريقةالشاذلية بها الولى الصالحسيدى محمد ابن يلس رحمه الله : كعبة الحقائق القدسية ومعدن الرقائق الانسية محرالعلوم اللدنية وكنز الاسرار الربانية شمس المعارف ومجمع اللطائف العارفبالله تعالى سيدى محمد بن الصديق

وكتب اليه شيخ الطريقة الشاذلية العلامة المحقق البارع سيدى مفضل أزيات: حيالله بتحيات قدس كاله وزكيات أنس جماله مطلع الشمسين وبرزخ البحرين العارف الواصل ذا المدد المتواصل الجامع الاشتات الفضائل العلامة الناصح الولى المارف الكبير أبا عبد الله سيدى محمد بن الصديق المؤمى الحسنى

وكتب اليه من فاس الشيخ المربى العارف سيدى محمدا لحلوالفامى: شمس وقتنا وعروة طريقنا وريحانة الله فى أرضنا مربى المريدين وقدرة السالكين وقطب دائرة المحققين الشريف العالم الولى الكامل العارف بالله والدال عليه بأقوالة وأفعاله وأحواله الجامع بين التشريع والتحقيق سيدى محمد ابن الصديق

وكتب اليه العلامة القاضي احمد بن شعيب الازموري: الحضرة الربانية والبهجة العرفانية الشيخالامام العارف بالله العالمالخاشع الحاضعالشريف الربانى أبا عبد الله سيدى محمد بن الصديق فذكر كلاما يظهر معناه من الابيات الآتية ثم قال وأقول لكم :

ياسيدي الشيخ نجل الصالحين ومن في صالح القول والافعال قدنشأ يا ذروة المجد أسستاذ الطربقة يا من فالسناء رؤى والسنا قد رأى ذا العبــــــد آلمه حزن أضربه وإن يحز نظرة منكم فقد برأ

وكتب اليه العالم الأديب الفقيه الكاتب بالنيابة السلطانية السيد محمد الفلاوى: إلى من لا يطمع أبرع كاتب في تعــداد بعض كمالاته ومن تقصر ألسن الفصحاء عن التعبير بما خص بهمن نديع صفاته من لانسميه إجلالا وتحكرمة وقدره المُعتلى عن ذلك يكفى بعد إهداء اطيب تحية وسلام وتقبيل اليد الكريمة التي تسيل من محارها أودية الانعام فذكر كلاما ثم قال

حبست طوعا عليك القلب تحبيسا اكان طابع نجمى صار منحوسا يكون خيرا لنا وللعدا بوسا أصل وغيرى اليك يمتطى العيسا دراك قد حجبت في العيب تقديسا حظاً أحوز به قربا وتأنيسا تؤسس الصدق في الأعمال تأسيسا ده وأخرج منه حظ ابليسا أضحى ودادكم في القاب مفروسا

سل اصدقالناس عن حبى القديم تجد مصونه لم يزل في القلب محروسا فكيفأنسي وثيقالعهد حاشا وقد لوللم يدمشخصكم فيالفكر مرتسما وإن يحل مانع عن وصلكم فعسى وليس من عجب قرب الديار ولم فني المقادير أسرار تجلت عن الا لعل من قد قضى بالبعد عندني ويبدلن دائى المضنى بعافية بجاه جدك من شق الامين فؤا عليه والآل أفضل التحية ما وقال الاديب الفاضل السيد عبد الله بن محمد الهاشمي الوزاني موريا بلفظة

القطب في وصف مجلس الشيخ لقراءة صحيح البخاري وبالقرب منه بجلاه. تأمل إمام العلم آية حفظه كبدر على الكرسي يضيء على الصحب وقد أجلس النيه العزيزين قربه كهاهو شأن الفرقدين مع القطب وقال أيضا في وصف درسه أن انقطع عنه مدة :

محدث عصر عادا والعود أحمد لدرس حديث المضطفى خير من يهدى عجيب يشم النــد من جمع درسه وما نظرت عين لدرســه من ند وقال أيضا وقد اجتمع به بدار بعضالاحبة :

وينال في الدارين غاية قصده والله يمنحه المسرة والصفا وبمدحهم ينفى الشقا عن نفسه لاسيا عديح نجل المصطفى لانا مجمد من بنوره يشتفي وبفضله هــذا الزمان تشرفا وعن النهي ظلمات جهل قد نفي علما بسؤل عنه لن يتوقفا وافى إلى أبوابه مستعطفا من لفظه الدر النفيس تألفا فكأئن ناظره يطالع مصحفا وكفى له شرفا بنظرته كفى ومفاخر ظهرت وليس بها خفا أوصافه العليا وحاز الاصطفا تبدو المنافع للاحبة والشفا منے ونظرته بها زال الجفا معــه فانعم لى بها وتعطفا يعقوب شاهدحين أبصر يوسفا

بلقاء أهل الله يظفر بالشفا من كان قلبه بالذنوب على شفا ابن الولى الصديق سيدنا ومو شيخ المعارف والطريقة من به أحيى قلوب العالمين بعلمه فتبارك المولى الذى أعطى له منه استمد الفتح والعرفان من وخطابه يشفى النفوس كانما تزداد إيمانا برؤية وجهه فريده من وجهه فى جنة کم من کرامات بدت ومناقب جمع المكارم كلها فشكاملت أمداحه لا تنتهى وبذكرها لم يشق ناظره وملتمس الرضى ولقد سالت من الكريم جليسة فشهدت في نفسي من الأفراح ما

نجم به نال المدى وله أقتفى

دموع العيون الواكفات الشرائد تميس كغصن البان وقت العوائد وتستر رمان الثدي النواهد ترائبها مصةولة كالقلائد وهلمن خليل للوصال مساعد ولم تأت إلا من فيافى الاباعـــد وقصدى إلىشيخ الشيوخ وقائدي مداو لداء القلب نافي الشدائد وعلم اصول مع دليل العقائد ونحو اللسان والحروف الزوائد فأنت بهذا المصر قطب الأماجد لكل جليس من قريب ووافد اخطيب ولا قس له بمعاند لكف نداه في مجال المحامد مخافتها من جوده المتوارد لفيض عظيم بالمعارف سائد وكل جميل من طريف وتالد وأنت لطرد الجهل بدر الطوارد

قمر أضاء على اليقين ونجــله يهنا جليسهما ويعظم أجره حتى كانه بين مروة والصفا فَالله أَسْأَلُ أَنْ يَدَمُ لَهُ البَقَا ۚ وَلَنْجِلُهُ وَلَمْنِ بِنُورَهُمَا اكْتَفَى وقال الفاضل الأديب السيد محمد بن الشيخ القاضى

الاواسكبامن فرط عشق الخرائد خرائد لاتنظرمدي الدهر مثاها تهادى وتمشى كالهوينا طبيعة رمانا به يحيى القلوب وصالها ألاليتشعري هللدي الدهرعودة وصال لسلمي حينجاءت تزورني فقلت سليمي لاأريد خرائدا الى الشيخ للصديق يعرف نسبة ويسمو بصدق في كريم العوائد بنيت لعــلم الحق بنيان واصل وقمت بعلم الفقه حفظاً محرراً وعلم الحديث والفنون جميعها أتيت لعــلم الشرع والحقناصرا كريم جواد ءآلم متواضع بليغ فلا ســحبان يوم لقائه سخى فلا معن يباهى وحاتم فكف السخا لاتستطيع لقاءه وبحر النــدا أمواجه متأدباً عليك بباب الشيخ تظفر بالمنا فأنت إمام سابق في فضيلة

وأنت لهذا العصر نور يضيئه ويقصر عن علياك مدح القصائد فحمداً لمن أعطاك منه مواهبا تفوق على الاحصاء رغم الاحاسد وقال الاديب محمد بودقة المكناسي :

ففزت بما هويت من المعالى ونلت من المزايا كل عالى لعمرى دونه لمس الهلال تطاطىء نحوها هام الرجال على ساق بجد وامتثال ونجل عميدهم يوم الماكل عظيم المهرجان والاحتفال ونلتم كل مرتخص وغالى

قوموا لدعوته يا قومه قوموا

عزمت فلم تخف إخفاق سعى لمست بأصبع قمم التسامى وطئت بأخمص أوج الممالى فأرغمت الأنوف ولم تبالى وشاوك في فنون العلم شاو كأنك ءاية من آى ربي وكم وافت لك الأسرار تسعى فأنت إمام كل الناس دنيا فخذها كالتهانى من صحيب يقدمها كعقد من لئالى هنيئا ياابن فاطمة بعيد بقيتم طبق مالك من أمان وقال بعضهم ولم أقف على اسمه : القلب من لهب الأشواق مكلوم إذ حب مثلك في الأحشاء مكتوم يا من سما بعظيم البر منزلة وفضله لجميع الخلق معلوم أنت الامام الذي سارت مناقبه وبالعناية من مولاه مرحوم لولاك في أرض طنجة وساحتها تذب عنها لامسى رأسها الروم هبوا لخدمتـه يا أهل بلدته

الباب السابع

فى ذكر بعض ما جرى على يديه من الكرامات وأخبر به رضى الله عنه من المكاشفات وهو باب واسع لا تكاد تحصر أخباره ولا تدخل تحت العد وقائعه إذ قل أن يوجد أحدمن أصحابه المتفرقين فى الاقطارالشاسعة من حواضر وبوادى الا وعندة فى هذا الباب أخبار ووقائع مما شاهده بنفسه أو سممه ممن شاهده خصوصا وقد مات منهم العدد الكثير وانقطمت سبل المواصلة بهم وإنما نذكر هنا بعض ما شاهدناه وسمعناه ممن أمكن الاجتماع به فى الوقت الحاضر إ .

فمن ذلك أنى لما قدمت من القاهرة بعد وفاة الشيخ رضى الله عنه أتى إلى بعض أصحابه فقال لى إن زوجى حامل وقد نزل بها داء كان أصابها فى بداية الحمل وكنت أخبرت به الشيخ فأمرنى باطعامها اللوز المدقوق بالسحتر وقال لى إنها ستلد ولدا ذكراً فقلت له أطعمها الآن أيضاً ما أمرك به وبعد عشر بن يوما ولدت ذكراً كما قال

ومنها أن امرأة من قرابته جاءت لزيارته وكان لها ولد فهات ولم تحمل بعده نحو عشر سنين فقال لها إنك ستحملين قريباً بولد ذكر فسميه حمزة وسيعيش إن شاء الله فكان كما قال ثم كم تحمل بعده ٠

ومنها انه لما ولد آخر أنجاله قال لزوجاته ان والدى مات وترك ولده فلاناً ابن شهرين وأنا كذلك سأترك ولدى هذا ابن شهرين فهات بعد شهرين لان ولده المذكور ولد سابع عشر رجب وتوفى هو سادس شوال بعد شهرين وسبعة أيام أو ثمانية ولم يكن فى ذلك الوقت مريضاً بل بعد ذلك بنحو نصف شهر تزوج امرأة أخرى كما سبق.

وتكررت الحكايات وتنوعت أساليبها عنه فى هذا المعنى وهو إخباره بموته لجماعة كثيرة من الناس تارة بالنصريح وأخرى بالتلويح.

ومنها أنه في السنة التي توفى فيها قام ذات ايلة في منتصف الليل على عادته في كل ليلة لكن لم يذهب إلى موضع مصلاه بل بتي بداخل الغرفة وكانت الزوجة نائمة فانتبهت على سماع حركة وجلبة وأخذ وعراك شديد وبعدها سقط الشيخ سقطة منكرة فقامت فزعة فاذا هو جالس يلهث لهثا عظيما وإذا حاجبه مشجوج ووجهه وصدره مكسوان دما فسألته عن الواقع فأجابها بأنه سقط على الحصير فقالت كيف محصل مثل هذا الجرح العظيم من السقوط على الحصير مع اني كنت أسمع حركة وجلبة على أثرها استيقظت فأصر على ذلك وهو يضحك ويمسح الدم عن وجهه ولما شاع خبر ذلك سأله بعض من له به مزيد اختصاص فأخبره بأن ولياً لله تعالى من أهل المين والمقاتلة فقتلته بعد أن شجني ثم بعد هذا الحادث بنحو السنة توفي هو والمقاتلة فقتلته بعد أن شجني ثم بعد هذا الحادث بنحو السنة توفي هو رضى الله عنب كما وقع لجده سيدي أحمد بن عبد المؤمن فانه بعمد قتله لغربزوري من طريق الغيب بسنة كانت وفاته أيضاً كما ذكرته في الأصل وفي كتاب المؤذن مع بعض من وقع له ذلك من الأولياء .

ومنها ان بعض الفقراء لم يكن له فى بدايته أولاد فاوصى للشيخ بثلث ماله بعد الوفاة وكتب بذلك كتابا وأشهد عليه ثم أتاه به فبقى عنده أزيدمن عشر سنين وفى يوم أرسل به اليه وقال له اناكنا قبلناه منك فى وقت لميكن لك أولاد واذ رزقك الله أولادا فانت أولى به فلما ذهب الرسول به إلى الرجل المذكور صار يبدى عجبه ويقول هذه كرامة عظيمة فان والدى وصله الخبر بأنى أوصيت بالثلث للشيخ فارسل إلى قريبا يقول لابد أن ترجع فيما أعطيت شيخك وإلا فانا ساخط عليك فبقيت متحيرا خائفا من سخط الوالد ومستحييا من الشيخ وبينا أنا أفكر فى ذلك ولم أخبر به أحداً إذا بك جئتنى بالكتاب من غيرطلب ولا سؤال .

ومنها أنى كنت وأنا بالقاهرة أفعل شيئا أو أعزم على شيء فيأتيني منه كتاب بعد العزم بيومين أو ثلاثة يحذرنى فيه من ذلك الشيء ويذكرنى عاقبته أو يأمرنى به ويؤكد على فيه تارة تصريحا وتارة تلويحا مع أن الكتاب لا يمكن أن يصل من المغرب إلى القاهرة فى أقل من اسبوع فكان رضى الله عنه يكتب إلى فى ذلك العزم قبل أن يجرى بخاطرى

ومنها ماذكره صاحب النسات قال حلف رجل بالطلاق لا يدخل دار فلان لرجل من أصهاره ثم بعد مدة مات المحلوف عليه فسألنى الرجل هل يجوز له دخول داره بعد موته فارسلت الى الشيخ مع بعض أنجاله فاجابه بأنه لا يدخل فاستشكلت الجواب وظننت أن الرسول لم يبلغ السؤال على وجهه فكتبته فى ورقة وكتبت معه بعض النصوص الفقهية وأرسلت اليه فلما نظر فيه قال قل له الجواب ما ذكرته أولا فبقيت حائرا متعجبا فلما قابات السائل سألته عن سبب الحلف فاذا هو حلف من أجل زوج الرجل الميت وكانت أخت زوجه هو لا من أجل الميت نفسه و إنما سماه عند الحلف لكونه صاحب الدار والحراة المذكورة لا تزال بالدار والحلف انما وقع من أجلها فعلمت أن ذلك من كشفه رضى الله عنه .

ومنها انه لما ركب القطار متوجها من بورسعيد إلى القاهرة وقف البابور بابى صير وكان وقت العصر فنزل الشيخ للصلاة ونزلنا معه فصار الركاب يقولون لا تفعلوا فان البابور لا يقف هنا الا قليلا بحيث لا تمكنكم الصلاة فلم يلتفت اليهم وصار أهل المحطة أيضا يصيحون ويقولون لم يبق لقيام البابور إلا دقيقة واحدة أو اثنان فنزل وصلى العصر بالاتمام أربع ركعات ثم سلم وركب وقام البابور وصار الناس متعجبين لتأخر البابور عن موعد قيامه

ومنها أنه كان له تباع كثيرون من الجن كان يراهم أهل البيت ووقعت لهم معهم وقائع متعددة فكانوا يذكرون ذلك للشيخ فيقول لا تخافوا فانهم فقراء ياتون للزيارة . ومنها انه خرج ذات يوم إلى الجيزة بضواحى القاهرة وجلس بمكان متسع هناك معد للجلوس فى الصيف لمن يشرب الشربات والمبردات فجلس وجلسنا معه فرأيت فى منتهى ذلك الموضع شاشة بيضاء لعرض السينا على القاعدين بعد الغروب فقات فى نفسى إذا جاس إلى وقت عرضها فسينظر اليها اليوم وكان يسمع عنها ويشدد النكير فيها جدا فصلى المغرب ثم جلس وأطال الصمت لا يتكلم مع أحد وصرنا ننتظر ظهور ذلك واذا بالنور الكهربائي انقطع تياره ووقف سير العربات الكهربائية نحو نصف ساعة وهو فى كلها صامت لا يتكلم ونحن سكوت ثم التفت إلى وقال نمشى قلت عن اذنكم فقام وجاء التيار الكهربائي عند قيامه فركبنا و نزلنا مع أنى أقمت تسع سنين بالقاهرة ما رأيت التيار الكهربائي انقطع مها ولا دقيقة واحدة .

ومنها أنه كان يقول لبعض أصحابه يافلان اصبر فسيمر عليك أمر عظيم قال ذلك له مرارا وبعد وفاته بنحو العامين وقع له ما كان يخبره به ورأى من الشدائد والاهوال ماتشيب له الولدان وحضر فى حرب أسبانيا ثم فى أوائل حرب ألمانيا مع الحلفاء ولا يزال منفياً عن وطنه الى اليوم .

ومنها ما حدثنى به بعضهم قال ألقى القبض على بعض قر ابتى فى مسألة ثورية سياسية فحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين سنة فذهبت إلى الشيخ مستشفعاً به وحصل لى تشويش عظيم فقال لى كل هذا لا أصل له واعتقد أن ابن عمك معنا الآن فى موضعنا هذا فلم يمر العام حتى اجتمعنا بذلك الموضع عنده ونسخ حكم الثلاثين سنة .

ومنها أن بعضأطباء الجبل شددت عليه الحكومة الاسبانية فى التداوى وأرادت منعه منه فجاء إلى الشيخ فقال له لا تخف فانهم سيأتون أنفسهم للتداوى عندك فكان ذلك بعد وفاة الشيخ رضى الله عنه بنحو العام لما وقع الحرب باسبانيا وكثر الجرحى المنكسر عظامهم فكانوا يرسلونهم للتداوى عنده.

ومنها أنه أرسل يوما لرجل خياط وأمره أن يخيط له جلابة ويحضرها في اليوم الثانى فاعتذرباً نه لا يخيط بالليل لضرر يعتريه عند الخياطة بالليل وإنما يخيط بالنهار منذ زمان طويل لأجل الداء المذكور فلمارجع اليه الرسول بذلك أعطاه شمعة وقال قلله يوقدها ويخيط على ضوئها ولا يخاف من شيء ففعل فأذهب الله عنه ذلك الداء ورجع الىحالته الأولى ولايزال كذلك إلى اليوم .

ومنها ما حدثني به بعض العلماء الأشراف قال قصدت الشيخ للزيارة وأخذت أخا صغيراً لم يخرج من بلده قط فلما سافرنا وكان فصل الشتاء أصابنا شدائد ومناعب من أجل الرياح والامطار والبرد والثلج الذى أخرنا بالطريق ممانية أيام فقال أخي في ضجر ليتنا لم تخرج من محلنا فقلت له هذا دليل قبول زيارتنا إذ قابلتنا هذه المشاق التي يكون عظم الاجر على قدر عظمها فقال في حالة غضب أنا ما خرجت للزيارة إنما خرجت للفسحة ورؤية مدينة طنجة فلما قدمنا على الشيخ وكان ذلك قبل عيد الاضحى جلسنا في ضيافته أياما فلما قرب العيد قال لى يوما يا فلان أما أنت وفلان لاخ ءاخر كان معنا فسافرا للبلد لتحضرا العيدمع الآهل واما فلان للاخ الصغير فاتركاه معنا حتى نفسحه في طنجة قال فتذكرت مقالنه التي قالها بالطريق وعرفت أن الشيـخ يشير اليها ولـكن أردت أن أتحقق فقلت له يا سيدى هو ما جاء إلا بقصد زيار تـكم فقال لا هو جاء للفسحة فاعدتها عليه مرة أخرى للتثبت وقلت ياسيدى ما جاء إلا للزيارة فأعاد قوله أيضاً وقال بلرما جاء إلا للفسحة مم اعدت مقالتي ثالث مرة فقال حسن وإذا كان الامركما تقول فليجمع بين الفسحة والزيارة .

ومنها ان بعض الصادقين حدث انه لما كان وقت الجهاد بالقبيلة الانجرية وكانت وقعة صدينة وكنت حاضرا بها رأيت الشيخ وقت المعمعة فىجهة فقصدته للسلام عليه فلم أر له أثرا وكان وقته بطنجة لم يخرج منها .

ومنها ما حدث به بعض الاشراف الصالحين من أهل فاسقال جاءلهالشيخ من طريق الطى ومكث فى ضيافتى ثلاثة أيام ما خرج من الدار ولا رآه أحد عندى وهو مقيم بطنجة لم يخرج منها

ومنها ما حدثنى به بعض الفقراء بالقبيلة الانجرية قال لما كان الشيخ عندنا راجعا من غهرة وكانت أيام فتنة الريسونى دخلت عليه متخوفا من وإذاية الريسونى فقال من منها إلى شهر انا ضامن ان لايقع لكم شيء وبعد رجوعنا الى طنجة لابد ان نجتمع ونذكر الله جميعا بها قال مم توجه الشيخ إلى طنجة وفى اليوم الحادى والثلاثين من مقالته احرق اصحاب الريسونى دارى وسلم الله عمرى منهم فتعجبت من تحقيقه لمدة الضمان وكونه لم يزد على ذلك يوماو احدا ومن سلامة نفسى منهم حتى اجتمعنا به وذكرنا الله معه بطنجة كما قال

ومنها ماحد ثنى بعض الأشراف قال مرض والدى مرضاً طويلاحتى سئم أهله وكلوا من مقابلته فلما اشتد بنا الحال ذهبت إلى الشيخ وذكرت له ذلك فقال لى يوم الأربعاء ينتهى الأمر إن شاء الله تعالى قال فخرجت جازما بما قال وذهبت فى الحال وأحضرت الكفن وما يلزم للجنازة وفى يوم الأربعاء توفى والدى قال وكنت أتيته قبل ذلك للزيارة فخرج إلى ولم يدخلنى فسلمت عليه وانصرفت فلما وليت نادانى فقال أخبرونى انك أنت المباشر لوالدك والقائم بشئونه فقلت نعم قال اذهب فسيعطيك الله الدنيا والآخرة قال وكنت وقتئذ لا أملك الامائة وأربعين ريالا فلم تمض على مقالته أربعة أعوام حتى فنح الله فتحا عظيا لم يخطر لى بالبال وامتلكت دورا ومزارع ولا زلت أرى فضل الله تمالى على في الزيادة .

ومنها ما حدث به بعض أفاضل أهل فاس قال قدمت الطنجة لصنع بعض الشبابيك بدار السلطان عبد الحفيظ ، وفي يوم الجمعة ذهبت إلى الراوية

لحضور العمارة مع الشيخ وسماع مذاكرته فلما دخلت وجدته يتكلم على رسائل مولاى العربى بكلام بسيط فقلت فى نفسى ماهكذا ببلغنا عن الشيخ ولاعن معارفه وعلومه قال فبمجرد ما وقع هذا فى نفسى رفع رأسه ونظر الى وشرع ينكلم بكلام عجيب ويخوض فى معارف واذواق فدهشت حتى صرت لا أفهم ما يقول و خجات منه غاية الخجل وصار العرق ينحدر منى حياء مما خطر بيالى .

ومنها ما حدثنى به بعض الأشراف الصالحين قال كنت أنا وأخى نمشى بأطراف البلد فتذاكرنا أمر الجدول والتصرف به فعزمناعلى الذهاب الى الشيخ وطلب الاذن منه فى التصرف به فلما دخلنا عليه فاتحنا ابتداء من غير سؤال بذكر الكلام على علم الجدول واسرار الحرف وانه صعب المنال خطر غير محمود العاقبة وصار يذكر لنا شروطه وأحكامه وما يلزم للتصرف به مما هو فى غاية البعد عن طاقتنا فعلمنا بكشفه الصريح واجابنا عما جئنا له من غيرسؤال

ومنها ان امراة كان ياتيها كل ليلة عند ارادة النوم جنى فى صورة كلب فاتى والدها الى الشبخ وذكر له ذلك فقال له مرها ان تقول له انا اشكيك الى صاحب اللحية الحراء يعنى نفسه لآنه كان يخضب بالحناء ففعلت فلم يرجع اليها بعد ذلك .

ومنها ما ذكره فى نبذة التحقيق قال ذهبت لزيارته يوما فوجدت عنده جماعة من الناس فأخذى وادخلنى الى محل آخر وقال لى هؤلاء القوم بقاليون جاءوا يشتكون اذاية الريسونى ونفيه عنهم النسب بسبب ما أنقاه اليه بعض فقهاء الوقت ويطلبون الكتابة فى إثبات نسبهم فدهشت بذلك كانه عمل بيد لأنى ما قصدت زيارته الالأخبره بما حصلت عليه من نسخة من شجرة البقاليين نم ذكر القصة وان الشيخ امره بالتأليف فى ذلك .

قال ومثل هذا اتفق لى معه كثيراكنت اعقد النية واذهب اليه بقصد الكلام معه في مسألة علمية تشكل على أو غرض دنيوى فيكون غالباً هو

المفاتح لى بما جئتله ومن ذلك مسألة كون الحرام لا يتعلق بذمتين فانى كنت بتطوان وجرت بها مذاكرة فى المسألة مع الفقيه اللواجرى وظهر منه تشديد فيها ولم يحضرنى وقته من النصوص ما يكنى فلما رجعت عزمت على الذهاب الى الشيخ للاستفادة منه فى المسألة فقبل أن أذهب اليه بعث إلى مع بعض أصحابه شرح ابن رجب على الاربعين النواوية وقال اشترهذا الكتاب فانه ينفعك فنظرت فيه وقلبت أوراقه وإذا فى موضع منه علامة من عند الشيخ فنظرت فى الورقة المعلم عليها فوقع بصرى على المسألة نفسها فى شرح الحديث السادس فسلمت الثمن للرسول وأخذت الكتاب فوجدت فيه ما نفعنى كما قال الشيخ.

قال ومثل هذا جوابه لى يوما عن سؤال عزمت على الذهاب اليه ليبسط لى المقال فيه فبينا أنا كذلك إذ به يوجه الىلطائف المنن الكبرى للعارف الشعراني معلما فيه أيضاً على موضع الكلام في المسألة عينها وهي كونأهل المراتب يتسلط عليهم من يؤذيهم في بدايتهم خصوصاً الفقراء المنتسبين.

قال وبالجلملة فالذى وقع لى مع هذا السيد الجليل من هذا القبيل كثير جداً بل إنى تعودت منه ذلك حتى صار عندى من قبيل الضروريات ثم أطال فى ذلك بما ينظر فيه

ومنها ما ذكره صاحب النسمات قال كنت معه بفاس سنة سبع وعشرين وكنا بمنرل بعض الاخوان فجاء الفقير المتجرد الذاكر السيد العباس براده فلما دخل قال له الشيخ رضى الله عنه لم ابطأت يافلان قال كنت اطوف فى فاس بالذكر لأن مولانا ادريس رضى الله عنه قال لى حصن لى بلدتى بذكر الله جهراً حتى لا يدخلها الفرنسيس فتبسم الشيخ وقال له ما فى يدك تحقيق ولا يحصل لك شىء من هذا والفرنسيس لا بد داخل فكانه استنكر ذلك واستعظمه فقال انا ما قلت الا ما قال لى فقال له الشيخ ارجع اليه واسأله عن هذا الامر فانه رجع عما وعدك به فسكت ولم يرد جواباً فكان الامر

كما قال فانه بعد سنتين نفذ حكم الله وقضاؤه المبرم ودخل الفرنسيس سنة تسع وعشر من .

ومنها ما حدثنى به بعض الصالحين من أصحابه قال ذهبت إلى الشيخ يوما وأذن لى بالدخول فلما أقدات على المحل الذى هو به رأيت ذاته عظيمة جدا قد حازت ركنا كبيراً من الفرفة فدهشت لذلك فلما وقع بصره على تبسم وقال مرحبا فزال عنى مأاصابنى من الدهش ثم رجع جسمه إلى حالته الاعتيادية . وحدثنى بمثل هذا أيضاً غيره من الفقراء الصادقين

ومنها ماحدثنى به فقيه من بنى سعيد وهو رجل صالح مشهور ببلده قال ذهبت الى تجكان لحضور الموسم فرأيت الشيخ قرب ضريح جده فذهبت أسعى للسلام عليه فلم أجد له أثراً فرجعت وسألت بعض الأشراف من أهلها وقلت أين نزل الشيخ هنا فصار يضحك وقال الشيخ بطنجة لم يقدم إلى هذه الملدة

ومنها ما حدثنى به بعض أهل العلم قال كنت أواخر أيام الهيخ رضى الله عنه أكثر التردد لزيارته فكان يقول لى كثيراً هل سمعت شيئاً عن حرب أسبانيا فأتعجب لذلك من جهة انه لم يكن بها حرب ومن جهة أنى لست من أهل السياسة وقراءة الجرائد إلى أن فاجأتنا حرب أسبانيا بعد وفاة الشيخ رضى الله عنه بنحو سبعة أشهر .

ومنها ما حدثنى به بعض الخطباء من الفقراء الصالحين قال رأيت ذات ليلة كانى ذاهب إلى الحج فلما استيقظت قصدت الشيخ للزيارة ولاقص عليه الرؤيا لعلى أسمع منه بشارة ووعداً بذلك فلماجلست معه عدلت عن ذكرها واشتغل خاطرى بامر آخر فقال لى يا فلان ستكون سفرة جمالية إن شاء الله تعالى

وكراماته رضى الله عنه كثيرة جداً وقد ذكرت فى الأصل أضعاف هذا مع كونه لا نسبة بينه وبين الواقع والحمد لله رب العالمين .

فى ترجمة شيخه فى الطريق وهو الشيخ الامام العالم العلامة الهمام العارف الكبير المحقق الفرد الشهير بقية السلف وحجة الله على الخلف سيدي محمد بن المفضل بن ابراهيم وبهــذا عرفت عائلته أولاد ابن ابراهيم ولذلك يكتب بالالف ولد رضى ألله عنه بفاس وحفظ القرآن العظيم على كبر لانه لم يترجه لحفظه إلا بعد الباوغ ثم شرع فىطلب العلمواعتني محفظ المتون فحفظ مختصر خليل وتحفة ابن عاصم والفية ابن مالك وألاجرومية وأخذ العلم عن جماعة علماء فاس في وقته مم بعد الانتهاء من الطلب اشتمل بالتدريس في جامع القرويين نحو أربعة أعرام ثم انتسب ودخل فى طريق أهل الله فسلكها على قدم التجريد والمجاهدة التي أنقطع نظيرها منذ قرون وكان السبب في أخــذه الطريق رفيقه في الطلب الفقيه الامام العلامة الشريف أبو العباس سيدى احمد ابن الخياط فانه أخذ عن الشيخ العارف بالله سيدى عبد الواحد بناني ثم دعاه إلى الأخذ عنه ففعل وتلقى منه ورد الطريقة الشاذلية الدرقاوية فطلب منهما الشيخ الحضور مع الفقراء فجعلا يترددان اليه وعليهما حلة العلماء المعروفة بفاس والمفرب فصارالشيخ يجردهما منذلك بالتدريج الى أن خرجا عن جميع الموائد والمالوفات ثم لبساً الخشن من الثياب بللبسا الخيشوشدا في وسطهما الحبل وانقطعا للمجاهدة وخرقالعوائد والذكر جهرا بشوارع فاس التي كانا يمران فيها بهيأة العلماء مع ارتكاب كل ما يشق على النفس وترك الشهوات وتعمير الوقت بأنواع الطاعات ومكثا علىهذا الحال ستسنين مات فىانتهائها شيخهما سيدى عبدااواحد بناني رضى الله عنه فجددا الأخذ عن أخيه في الشيخ سيدى الحاج أحمد ربيع بوصاية من شيخهما واستمرا معه على حالهما الى أن دخلا معه السجن في جماعة من الفقراء على يد قاضي فاس عمر الرنده وذلك بوشاية الفقيه الجامدممد بن المدنى كنون فانه هو الذي طلب من القاضى

ان يأمرهما بالرجوع الىالتدريس والاشتغال بالعلم وترك ما هم فيه من التجريد والمجاهدة للنفس وكان الباعث له على ذلك حقده على أبي العباس ابن الخياط اذكان من أنجب تلامذته وألزمهـم لدروسه وخدمته فلما دخل في الطريق انقطع عن درسه فعاتبه يوما وقال له كنت أظن أنك لا تقدم على شيء كيفها كانَّ الا بعد مشورتي فاذا بك قدمت على هذا الأمر بغير علمي فلما لم ينجع فيهعقابه وشى بةالىالقاضى فأمرهما بترك ذلكوالرجوع إلى تدريسالعلم فأمتنعا فأدخلهما وشيخهما وجماءته الى السجن فمكثوا فيهثلاثة أشهر هدى آلله فيهما على يدهم من كان بالسجن من العصاة و اركى الصلاة وحصل لهم خير جسيم ولما مرت المدة المذكورة أخرجهـم القاضى وألزم المذكورين بالرجوع الى التدريس أيضا فاما ابن الخياط فرجع اليه بأمر شيخه وأما المترجم فاستمرعلي تمجريده وعبادته وانقطاعه فذهب الى بيتكان له بالمدرسة البوعنانية وأقبل على العبادة وتفرغ لها فكان وزده عشرة أحزاب من القرآن العظيم خصه بها شيخه مع وردالطريقة ومكث خمس سنين صائمايفطر علىتمرةواحدة ويتسحر بزبيبة واحدة وكـان الباعث له على ذلك انه كـان ينسخ شرح الشمائل فمر به حدیث کل عمل ابن آدم له الا الصیام فهو لی وأنا أجزی به يترك طعامه وشرابه من أجلى فقال كيف يقول الحق هذا وأنا أفطر فشرع في الصيام على الصفة المذكورة وكان مع ذلك يذهب كل ليـــلة الى مراحيض المساجد والمدارس فيغسلها وينظفها خدمة للمسلمين وهضما لنفسه فأثر ذلك فى جسده فمرض مدة طويلة ذهبت فيها احدى عينيه وكان جنى ضربه فيها أيام غسله لتلك المراحيض فلما شفاه الله تعالى باع ذلك البيت وجميع ما فيه منالكتب وغيرها وقد وهب ثمن ذلك لشيخه ثم لزم باب الزاوية فكان ينام خارج الباب مدة طويلة الى أن اذنت له زوجة الشيخ سـيدى محمد ايوب صاحب الزاوية المدفون بها وهو شيخ شيخه فدخلها وعمرها بذكر الله تعالى وتربية الفقراء والمريدين الى ان مات بها .

ولما مات شيخه الثانى سيدى أحمد ربيع شرع الناس فى الآخذ عنه والانتساب إليه فاشتهر أمره بفاس وأقبل الناس عليه بالآخذ والنلقى مع المحبة والتعظيم والاعتقاد والاحترام وامتلات عليه الزاوية بالفقراء المتجردين من أهل فاس والغرباء فكان يربيهم على طريقته فى الجدوالاجتهاد والصيام والقيام وعاربة الهوى ومخالفة النفس فى جميع ما تهوى حتى كان لايتركهم يتناولون الطعام إلا بعد تغير طعمه وذهاب لذته بان يتركه نحو اليومين والثلاثة وربحا خلط لونين مختلفى الطعم والمذاق فى ءانية واحدة وأحيانا يغمر الطعام بالماء حتى لا تبقى فيه لذة يتمتع بها وتدعو الى الاكثار منه ومل البطن الذى ما ملا أبن ءادم وعاء شراً منه وغضب مرة من فقير له أتاه بطعام جيد فرده عليه وانتهره وقال له نحن عندكم بمنزلة المرحاضكل من عنده فضلة يصبها فيه .

وكانت كتبه التى يقرأها مع الفقراء كتاب تاج العروس والتنوير فى إسقاط التدبير للتأج ابن عطاء الله رضى الله عنه وكذلك حكمه بشرح ابن عجيبة وكان يقرأ لخاصته تفسير الجلالين كلما ختمه افتتحه مرة أخرى بقراءة تلميذه الشريف نور الدين .

وكان له اعتناء عظيم بذكر اسمه تعالى اللطيف مع الفقراء بالزاوية مساء بين العشاءين وبضريح مولانا إدريس رضى الله عنه صباحا إوكان يقصد بذلك حصول اللطف بالأمة لما كان يتوقع من نزول البلاء وحلول النقم باحتلال الكفار الذي هو أعظم نقمة وشر بلية ورزية فكان ذلك حاصلا مدة حياته ولم يقع الاحتلال إلا بعد وفاته .

وكان يلبس ثلاثة أثواب لا يزيد عليها صيفا وشتاء وهي قميص وقشابة صوف ومرقعة كان لبسها باذن شيخه وأخبره شيخه أنه أمر بها باذف مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لباسه الى أن لزم الفراش وانتقل بعده الى جوار ربه

وكان فى بداية مشيخته يلف على يده اليمنى خرقة من الخيش لثلايصيب يهده شفتا من يقبلها من المردان .

وكان في ءاخر أيامه لا يتناول من الطعام الا شربة لبن في الصباح وأخرى في المساء وكان لا ينام الليل أصلا بل يستغرقه بالصلاة وذكر اسم الله اللطيف ولم يتزوج قط ولا مالت نفسه اليه ولا إلى غيره من الشهوات وقد عرض عليه مرة بعض الوجهاء والأعيان أن يزوجه أو يشترى له جاريتين ويسكنه داراً وينفق عليه الى أن يموت فامتنع وقال انى بعت نفسى لله تعالى فلم يبق لى فيها رجوع .

وكان عظيم الهيبة شديدالشكيمة لا يستطيع أحد مواجهته بخلاف ماهو فيه مر الجد والاجتهاد والاقبال على الله تعالى والاعراض عن الدنيا وما يؤول اليها حتى إن من عرض عليه مسألة الزواج وهو من أكابر العلماء الاشراف أعيان أهل المغرب لم يستطع مواجهته بذلك واعما راسله به مع تهيذه الشريف نور الدين وكان يخدمه ويدخل عليه ويذكر عنده بأمره ويقرأ عليه الكتب التي يريد سماعها

وقد حدانى أنه خدمه ثمان سنين فها رآه ضحك فيها وانبسط إلا مرتين إحداهما أنه كان ببيت بعض الاخوان فسأله هل عندك كتاب قال نعم عندى المستطرف فأتاه به فدفعه إلى مولانا الشيخ الوالد وقال افتحه فها وقع بصرك عليه فاقرأه ففعل فوافق الكتابة في الفالوذج فصار يقرأ وهو يضحك وحصل له سرور وانبساط وقال ما نحن إلا بشر ومرة أخرى في بيت بعض الفقراء أيضاً قال وما عداهما لم أره ضاحكا قط في خلال هذه المدة

وكان يحب الخول والنواضع والسكون تحت مجارى الاقدار فلايتظاهر بكرامة ولا يفوه بدعوى إلا إذا غلبه الحال وغاب عن حسه وأظهر الله على يديه مالا اختيار له فيه كما حدثنى الشريف المذكور وغيره قالوا كان الشيخ

أواخر عمره فى غرفته بالزاوية وحده فنادى بأعلى صوته يا نور الدين فلما / دخل عليه وجده فى حال عظيمة فقال له إقاب الاعلى أسفل والأسفل أعلى ولم يزد على ذلك ثم رجع إلى حسه وبعد هذه الواقعة صار يظهر انعكاس الأحوال فى الدنيا وانقلبت وتبدلت إلى أن صار الاعلى أسفل والاسفل أعلى ووصل إلى ما هو عليه الآن نسأل الله اللطف والعافية بمنه وفضله وجوده ورحمته الواسعة وشفاعة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان في اخر عمره أقعد فكان إذا اضطجع لا يستطيع الجلوس بنفسه بل يجلسه بعض الفقراء الملازمين لخدمنه ولا يجلسه إلا بتعب لانه كان بادنا عظيم الجئة ومع ذلك فكان اذا أخذه الحال يجلس وحده ويأخذ مخدة عظيمة لا يستطيع حملها إلا الصحيح القوى فيصير يشير بها بيديه مرارا كانه يريد أن يضرب بها ثم يردها اليه مراراً وأخيراً يرمى بها أمامه الى آخر الغرفة ثم يزحف اليها ويرجع إلى محله يفعل كذلك مراراً الى أن يذهب عنه الحال أو بدخل عليه الخادم فيصحو ويرجع إلى حاله وفي يوم دخل عليه بعض الفقراء وهو كذلك فقال له مالك يا سيدى فقال لاشيء غير أنى كنت معابن الصديق بطنجة نقضى بعض المئارب

وكان معتقداً محبوباً مر الخاصة والعامة يبالغ الكل في تعظيمه والثناء عليه قد اجتمعت الالسن على ذلك من غير منازع مع نغوره من الناس واعراضه عنهم وفراره من مخالطتهم وكان الكبراء من أهل فاس أعيانها وعلمائها وشيوخها يقصدونه الزيارة والتبرك فكان يقابلهم تارة ويردهم أخرى فيجلسون بالزاوية أمام غرفته وهم يسمعون كلامه فلا مجترىء أحدمنهم على الدخول عليه ثم لا يحصل لهم تأثر ولانفورمن ذلك بل يقابلونه بالرضى والتسليم ويعودون لزيارته وقد يتردد الواحد منهم مرارا متكررة فلا يقابله في شيء منها وهو يعيد الكرة الى أن يسعفه بمرغوبه وكثيراً ما كان يفعل هذا مع أهل الظهور والجاه من العلماء والاعيان

يريد ان يصرفهم بذلك عنه فلا ينصرفون .

وابنلى ءاخر عمره بالمرض المزمن فأقعد وأضر وذهبت عينه الاخرى واستمر ملتى على قفاه مدة طويلة حتى سكنت الفيران تحت فراشه وهو فى كل ذلك صابر محتسب راض بحكم مولاه بل غائب عن حسه محلاوة مشاهدته إلى أن انتقل الى جواره ومحل رضوانه يوم الخيس فاتح رجب سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية المذكورة رحمه الله تعالى ورضى عنه وعنا به ونفعنا بحجبته وبركاته آمين

أما الشيخان اللذان أخذ عنهما فالأول هو الشيخ العارف المحقق المرشد أبو عد سيدى عبد الواحد بن بدوى بنانى ولد بفاس وكان في بدايته مشتغلا بالتجارة فحفته العناية الالهية وجذبته إلى طريق أهل الله فدخل فيها على يد شيخه العارف سيدى محمد بن الغالى أيوب ورافقه فى ذلك شقيقه فحصل لهما بعد الآخذ نفور شديد من الدنيا و إقبال عظيم على الله تعالى وفنيا في محبة شيخهما وخطر ببالهما ذات ليلة أن يخرجا له عن جميع ما بيدها من الدنيا مم عزما عليه وخافا من تفيير ذلك الوارد فأسرعا بالليل إلى شيخهما وخرجا له عما يمتلكان فنالا مرادها من الله تعالى وحصل لله ترجم الفتح الالهى والفناء فى الذات العلية وصار من جلة أصحاب شيخه بل كان هو الوارث لمقامه وحاله فاما توفى شيخه ظهر هو بمظهره وانتصب فى محله وانجمع عليه الفقراء فصار يذكرهم ويذا كرهم.

وكان له دكان بسوق العطارين يبيـع فيه الجوهر والمرجان والطيب ونحوه فى حال مشيخته وتربيته للمريدين قياما بالشريعة وستراً للحال وتعففا عن الخلق فكان بعض الجهلة يطعن فى مشيخته من أجل ذلك حسداً وجهلا كما هى سنة الله تعالى فى خلقه ولا سيما مع أوليائه وأصفيائه.

وحدث تلميذه المترجم قبله سيدى محمد بن ابراهيم رضى الله عنه قال سمعته يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى من رآك فقد رآني ومن قبل يدك فقد قبل يدي وكان تلامذته والعارفون به يثنون عليه كثيراً ويصفونه بعلو المقام في المعرفةورسوخ القدم في الولاية ويدللذلك قِصيدته التائية التي أنشأها رهو أمي لم يحضر مجلساً من العلم وفيها يصف نقسه بالمعرفة ويذكر ما حصل له من الفناء وهي قوله

ولما فني عنى فنائي فلم ازل أشاهد معنى الحق فى كل وجهة فني عن فنا أهل الفنامن بقية شهدت بعين الفكر سرحقيقتي فصرت خبيرا بالعلوم الغريبة غريق بحار الوصل في عينوحدتي وبالحق حققت معالم جملتي ومتعت طِرفی فی محاسن بهجتی وأرشفمن ثغر الكؤوسمدامتي شهدت مهائى في صفاء أنيتي وصرفی ومزجی مع تهتك نشوتی وشربى وريى واحتفالى برؤيتى وحسى ومعنائي وجمعي وفرقتي ونفسى وأنفاسى وابى ومهجتي قديما فصار الشرب ديني وملتي وشمدة أفراحي بوصل الاحبة فعاينتها عيني وبعضي وجملتي المها وقرت بالمحاسن مقلتي وصرت بها سرا بغير أنية

وزال وجو دىءن وجو دى وهللن ومذ نظرت عيني الوجود توهما وكنت رهينا في سجوزعوالمي وأخبرني عني غرامي بأنني وسری روی عنیوکنت حدیثه وأنشق من روحي نسيم حقائتي وخمرى بدا منى وكنت ختامه وعربدت منسكرىهياما لأنني وخمرنى خمرى وراح براحتي وسكرى وصحوى والفناءمع البقا ومنها بداكلي وبعضى وجملتي وراحى وريحانى وروحى وراحتي شربت صفاها من أهيل مودتيي وغيبني عني شمهودي لحسنها ولاح لسرى من معانى جالها. وهام لها قلبي وسريبها اهتدى وصرت محل السر منها بسرها

وبرى زهر نشره طيب نفيحتي وخاضت بحار العشق مني مطيتي وحددت طرفي لمأجدغير وحدتي أوفى حقوقا حقها بالسوية وراق شرابي من كؤوس الأحبة ومن ذا من العشاق يبلغ رتبتي ولاقرب إلا إن حبتك بنظرة وان أظهرت بعـداً لفقد الاذلة فخيم ولاتسأم بباب الاحب وواصل شراب الحبف كل لحظة ومزق ثياب الوهم عنك بسوعة وعفر خدودا في ثراه بذلة وكن كثيبا ترجو الشفاء لعلة وتجنى ثمار القرب من كل ذرة وتبقى مها معنى نفيير هوية منغيم فكر في سرور ورفعــة وهام بهافيها بغير معية ولائم غير في ظهور الحقيقة ويسقى مدام الحب منغير راحة وتشفى سقيم القلب من كل علة قديم به قامت عوالم حَكِمة وهامت بها الارواح لما تجلت يلوح سناها للقلوب السليمة سوى نورهاالوضاح فى كلوجهة

وبحری در لیس پدرك وصیفه وخيمت في برى وطاب لي المنا وفرقت جمعي واستبانت معالمي فها أنا ما بين البحور وديعة ولى في الهوى علم تضوع نشره أبيح لى التعبير في مذهب الهوى فلا وصل الامن تعطف وصلها وان قصدت جادت بمعض جمالها فان شئت أن تمحظى بطامة حسنها وكن ذليلا واصبر على ألم الهوى وجرد سيوف العزم فىطلب اللقا وحي حمى الخسار وانزل بحيسه ولاحظ رضاه في المهمات كلها لكي تسقيمن خمر الوصال صفاءه وتفنى فناء في فناء عن الفنا وتحيى حياة لا ترىالموت بعدها هذيثا لمن أضحى يراها بطرفها وعاينها عينا وغيرآ ولا سوى وصاربها يدعو العباد لرمهم مدام تسلى الهم وهي بدنها مدام لها معنى لطيف لمن درى مدام بها هام الوجود بأسره مدام لها نور بهی لدی الوری تنوعت الاشياء منها ف أرى

تشعشع منها الكل وهي حياته ومن حسنها كل البدور استمدت فريدة حسن لاح نور جالها فخرت لها الاشياء حين تبدت وغنت وقالت في لذيذ خطابها أنا الحسن والاحسان وصفي وشيمتي تبدى جالى في المظاهر كلها وأبدعت كل الكائنات بقدرتي وصنت جالى بالجلال وإنما جلالي جالى والتستر حكمتي وأظهرت حتى لا يرى ظاهر معى وأبطنت حقا في مرادق عزتي توفي رضى الله عنه سنة خس ونمانين ومائنين وألف.

وأما الثاني فهو الشيخالعارف القدوة المسلك المربى سيدى أحمد بزمحمد ربيع الفاسي من عائلة معروفة بفاس أخذ عن العارف سيدي محمد بنالغالي. أيوب مم بعده أتم على أخيه في الشيخ سيدى عبد الواحد بناني مم بعدو فاته ورث حاله وقام في التربية والتسليك مقامه وكانذلك باشارة من شيخه فاجتمع عليه الفقراء منأصحاب شيخه وغيرهم وانتفعوا به النفع العظيم وتخرجوا على يديه فى طريق الجد والاجتهاد والاقبال على الله تعالى وكان مُقلا من الدنيا زاهداً فيها راغباً فيما عند الله يحترف حرفة اللجم فيصنعها ويبيعها ويأكل من كديده وكان مع فقره وقلة ذات يده كثير البر والصدقة والاكرام الفقراء يطعمهم وينفق عليهم ولا يأخذ من أحد منهم وكان ذا تواضع وسمت وأخلاق حسنة وهدى جميل وأوصاف حميدة محبأ للعلماء وآل البيت شديد التعظيم لهم والادب معهم له يد فالتصوف ولسان في المذاكرة كثير الذكر لا يكاد يفتر لسانه عنه حتى عند النزع وخروج الروح يميل إلى الخول ولا يظهر مظهر الفخر والدعوى وربما حدث بعض الخواص ببعض ماكوشف به كما أخبر تلميذه أبا العباس سيدى أحمد ابن الخياط أنه أتاه من الغيب اربعة رجال على شكلواحد وصورة واحدة لهم أنوار خارقة فملأوا بيته نورآ وقالوا حثنا إليك لنزورك ونطلب منك صالح الدعاء وكان اسم أحدهم الطيب ابن الطب

وأخبر مرة شيخنا الامام أبا عبد الله سيدى محمد بن جعفر الكتأنى انه خرج مرة لجنازة بعض الفقراء فلما سووا عليه التراب كشف لى عنه فصرت أراه فجملت أغمض عينى كى يحتجب عنى فلم يحتجب ترجمه شيخنا المذكور فى سلوة الانفاس وذكر أنه كان يعوده أيام مرض موته فيجده فى غاية الثبات واليقين وأنفاسه متصاعدة بالذكر قال ودخلت عليه مرة بصد ما سقط لسانه فصار يشير بسبابته كانه يقول لا إله إلا الله قال وتوفى صبيحة يوم الاحد تاسع محرم سنة ثلاث وثلاثمائة وألف.

الباب التاس___م

فى سلسلة طريقة وبعض الابحاث المتعلقة بها وقد كتب هورضى الله عنه الجازة لبعضهم ذكر فيهاسلساته فقال .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسّلام على سيدنا محمد مهبط الوحى ومنبع الرحمات وعلى آلة وأصحابه الائمة الهداة أما بعد فلا يخفى على ذوى البصائر والعقول ان الفنون كلها لا بد فيها من واسطة ومن لا واسطة له في فنه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية القصوى فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه فمن رزقها رزق الفن وبركته ومن حرمها حرم الفن وبركته وهو أمراد يحتاج الىبرهان إذ ليس الحبر كالعيان.

ولما كان التصوف أولاها بذلك وأحقها بما هنالك وكان من لا شيخ له فيه لا يعبأ به ولا يلتفت اليه بلهو عندهم لقيط لاأب له وسقيط لا طعمفيه على حتى لو فرض ان شيئا من المعارف والاذواق حصل لاحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة فالمتعين عليه أن يستند الى الواسطة ادبا مع الشريعة المطهرة إذ جاءت باعتبارها وامرت بشكرها وايضا فان الاستناد اليهافيه كال ورفعة قدر وجلال لأن فيه خروجا من رعونات النفس والانانية إلى رفعة التواضع والعبودية و ناهيك بها عزا وشرفا ورفعة وفخرا إذهى سبب للحرية بل هى في الحقيقة عينها ولو صح لاحد شيء بلاواسطة لما كان لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل واسطة مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل فني تقديم المفضول على الفاضل رفعة أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل فني تقديم المفضول على الفاضل رفعة

لمقام الفاضل وتنويه بعبودية الكامل فافهم وانظر الى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم تنفتح لك الباب وتفهم سر الخطاب فما عظمت الحرية فى أحد إلا كانت العبودية فيه أعظم اذ ما تشرف من تشرف الابها وما طرد من طرد الابالدعوى والركون الى الحرية والأنانية وما أفاح من أفلح الا بصحبة من فلح

وقد قال الجنيد رضى الله عنه سبق في علم الله القديم ألا يدخل أحد لحضرته الا على يد عبد من عباده

وقال القطب المرسى رضى الله عنده ما صارت الابدال ابدالا الا بمجالسة امثالنا لذلك وجبعلينا أن نذكر سندنا و نبين نسبتنا في هذه الطريقة الدرقاوية التي هي لب الطرق الاتصالية الجامعة بين الجيلانية والشاذلية المؤسسة على الكتاب والسنة والمخصوصة بالنفحات الربانية إذ في اتصال سببنا بسببهم ونسبتنا بنسبتهم استمطار للرحمات الالهية واستنزال للنفحات القدسية وتحريك للسلسلة النبوية مع أن الاسناد من الدين في كل وقت وحين طابل الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط أو كثر فنقول ..

أخذنا هذه الطريقة النبوية عن شيخنا وقدوتنا نور الملة والدين ورحمة الله للقاصدين الواقف بباب الله الذي لم يمل في وقت من الأوقات لسواه سلطان العارفين وقطب الواصلين سيدي ومولاي محمد أبن ابراهيم القاسي أطال الله بقاءه وبلغه في الدارين مقصوده ومطالبه وهذا الشيخ شأنه عند الله عظيم وأمره جسيم ما رأينا ولا سمعنا في وقتنا هذا مثله وشرح حاله يستدعي مجلدات ولسنا بصدد ذلك الآن وهو أخذها عن شيخه العارف الرباني سيدي عبد الواحد بناني الفاشي وهو عن شيخه الحارف الرباني المحبوب سيدي محمد أيوب دفين زاويته بفاس وهو أخذها عن جدنااللريف أعجو بة الزمان العالم العالمين الظاهر والباطن القطب الجامع السالم مددة الجاري

سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغاري وهو عن إمام الأوليساء وبمد الاقطاب والاصفياء بحر المعارف الالهية ومعدن الاسرارالربانية برزخ البحرين وشيخ الثقلين الذي كان لغمير الله لا يأوى سيدنا ومولانا العربي الدرقاوى وهو عن بحر البحور ومنبع الخور أبى الحسن سيدى على الجل دفين رَاويته بفاس وهو عن القطب سيدى العربي بن عبــــــــــ الله عن شيخه ووالده قطب الزمان سيدى احمد بن عبد الله وهو عن القطب سيدى احمد اليمني والقطب سيدي قاسم الخصاصي ، أخذ عن الاول الجيلانية وعن الثاني الشاذلية وهو عمدته وسيدى قاسم أخذعن سيدى مبادك عبابو وعن القطب أبي عبدالله سيدي محمد بن عبدالله معن وهو عمدك وعنه ورث القطبية بقى في صحبته عشر سنين وهو عن العسارف أبي زيد سيدى عبد الرحمن الفاسي محشى تفسير الجلالين والسنوسية وهو عن أخيه القطب أبى المحاسن سيدى يوسف الفاسى وهو عن القطب سيدى عبد الرحمن المجذوب عن أبي الحسن سيدي على الشهير بالدوار عن أبي اسحق سيدي ابراهيم أفحام الزرهوني عن القطب الجــامع ســيدى احمد زروق عن القطب احمد بن عقبة الخضرمي عن أبي زكريا يحيى القادري عن القطب سيدى على وفا عنوالده سيدي محمد بحرالصفا عن القطب داودالباخلي عن تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الحكم عن القطب أبي العباس المرسى عن قطب الاقطاب سيدى أبى الحسن الشاذلى الغمارى عن القطر مو لاناعبد السلام بن مشيش عن القطب سيدى عبد الرحن المدنى الشهير بالزيات عن القطب تقى الدين الفقير بالتصفير فيهما عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين عن القطب تاج الدين هن القطب شمس الدين بأرض المترك عن القطب زين الدين القزويني عن القطب أبى إسحاق البصرى عن القطب أبى القاسم أحمد المرواني عن القطب أبى ممدسعيد عن القطب سعد عن القطب أبى محمد فتح السعود عن القطب سميد الغزواني عن القطب أبي محمدجابر عن أول الاقطاب وأجل الاصحاب

سيدنا الحسن ابن مولاتنا فاطمه الزهراء وعلى بن أبيطالب عن والده باب مدينة العلم عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين هذه سلسلتنا الروحانية ونسبتنا النورانية وقد قال القطب أبو العباس المرسى رضى الله عنه طريقتنا هذه متصلة بالاقطاب الى قطب الرحمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قلت وليكف الانسان شرفا وفخراً وعزاً ورفعة أن يعرف رجال هذه السلسلة النورانية المحمدية فانها سلسلة الذهب الابريز التي من تمسك بمحبة رجالها نال رضى الملك العزيز وأما من دخل فيها وكان حلقة من خلاصتها فلا يصف الواصف فضله ولا يلحق أحد شأنه وقدره.

فقد قال القطب الشعراني رضى الله عنه من فوائد النسبة العامة أن المنتسب يكون كالحلقة في الساسلة لا يتحرك في أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف غير المنتسب فانه يتحرك وحده ويسكن وحده الى آخر الاجازة المذكورة في الأصل.

فسل

رهنا مباحث تتعلق بهذه السلسلة .

المــــحث الاول

فى أول من ذكر هذا السند من القطب ابن مشيش الى النبى صلى الماعليه وسلم وهو تقى الدين أبو عبد الله محمد الاسكندرى سبط الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى كتابه النبذة المفيدة وهو ممن أدرك أصحاب أبى العباس المرسى و تبرك بهم كما ذكره فى كتابه المذكور فقال بعد ذكر قول أبى العباس المرسى رضى الله عنه في هذه الطريق أنها منصلة بأخذ واحد عن واجد إلى الحسن ابن على عليهما السلام مانصه فلما اطلعت على هذا الكلام أمعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق فلم أجد سوى أن الشيخ أبا محدعبد الرحمن المدنى أخذ

عن عارف وقنه الشيخ القطب نقى الدين الفقير فذكره ثم قال واعلم انى ظفرت بهذه السلسلة واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الشيخ المى المرسى ومطابقة لقول المرسى أن طريقة المدنى متصلة بالاقطاب ففى هذا اشعار بصحة هذه الطريق واتصال سلسلتها وإن كنت لم أحزم فيها إلا بالشيخ الشاذلى وشيخه ابن مشيش وشيخه المدنى ثم بالحسن بن على بن أبى طالب فمجموعها على قسمين منها ماهو قطعى ومنها ماهو ظنى وأما قو لهم فلان الدين ولم نذكر له شهرة فحيث وجدت ذلك هنا فاعلم أنى نقنته كذلك فحكيته على ما وجدته وكذلك ذكره أيضاً في كتابه شفاء الغليل ودواء العليل ثم تبعه كل من جاء بعده ممن ألف في الخرق وأسانيد الطرق.

قال أبو عيسى الفاسى فى تحفة أهل الصديقية ولعل هؤلاء الرجال المنقولين عن ابن عطاء الله رضى الله عنه من كشفه أو من كشف شيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه القائل والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى الله كان أوهو كائن إلا وقد اطلحنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم جظه من الله تعالى قال وإذا كان كذلك فلا يذكر لكل واحد إلا الذى ولده فى سماء الروحانية ومن هو منبع مدده و صل حقيقته الذى بثمافيه ولقنه إياها عن مخالطة أو دونها لا الذى رباه جد ذلك أو أفاده أمراً والله أعلم اه

المبـــ حث الثاتي

ما ذكره الشيخ رضى الله عنه من كونها تنتهى إلى على عليه السلام هو ما ذكره كثير ممن أورد هذه السلسلة كالشيخ زروق وابن حجر الهيتمى قى فهرسته و أبن عطية فى سلسلة الأنوار والشيخ عبد السلام الاسمر فى نصيحة المريدين وأبى الاقبال أبن وفا فى شجرة الارشاد وأبى العباس أحمد

ابن يوسف الفاسى فى المنح الصافية وابن عجيبة فى فهرسته وشرحه للحكم وآخرين

واقتصر جماعة يطول، دهم على رفعها إلى الحسن بن على عن النبى صلى الله عليه وسلم دون واسطة أبيه على عليه السلام .

وصرح بعضهم بأنها تروى من الطريقين فيكون الحسن رضى الله عنه لبس واستقى من جده صلى الله عليه وسلم وصحب واقتدى جوالده عليه السلام .

وذكر بعضهم أن الحسن ورث القطبية من والدته سيدة نساء أهل الجنة صلى الله عليها وسلم وأنها هي أول الأقطاب على الاطلاق وكل هذا صحيح لا شك فيه فأنهم أهل بيت النبوة ومهبط الوحى وبحر المعارف ومنبع الاسرار والكساء شمل جميعهم فحازوا به من الله الخير العميم والفضل الجسيم والشرف الرفيع والولاية الكبرى إذالسر في الكساء عند المحققين من أهل الله هو إمداد أهله بالمدد الرباني الفائض في الذات الشريفة النبوية السارى بواسطة الكساء إلى تلك البضعة الطاهرة الماشحية ولولاه لما كان لذلك التجليل مع الدعاء معنى كما أوضحته في الأصل وفي البرهان الواضح الجلى في تحقيق انتساب الصوفية الى على .

المريحث الثالث

ما تقدم من كون الراوى عن الحسن هو أبو محمد جابر غير منسوب ولا مذكور والده هو كذلك عند الآكثرين وذكر أبوعلى بن رحال في الروض اليانع الفائح أنه جابر بن زيد وهو بعيد لآبى لم أر من ذكر روايته عن الحسن عليه السلام فضلا عن أخذ هذا السرالعظيم عنه لا سيا وهو بصرى ومذهب أهل البصرة معلوم بل ناصبي إباضي وان نقل عنه التبرى من ذلك

وذكر التادلى فى المعرى أنه جابر بن عبد الله الانصارى وهذا ممكن بل هو الواقع إن شاء الله كما بينته فى البرهان الواضح .

المبـــحث الرابع

قد تقدم أن هؤلاء الرجال مذكورون من طريق الكشف فلا يمكن أن يعرفهم الأأهل الكشف وقد حلاهم العلاق محمد بن مسعود الفاسى فى الفتوحات الربانية بمايصح أن يحلى به كل عارف فلا يحصل به تعريف تام ولعلة فعل ذلك من طريق الكشف أيضا فقد قال في كلامه على الديوان وقد أعطانا الكشف والعلم الالهى ان أولياء الأمم الماضية كانت ولايتهم تنقطع بموتهم وموت أنبيائهم وأما أولياء هذه الامة المحمدية فلا تنقطع ولايتهم الى يوم القيامة لوجود بقاء شريعتهم فكما انه لا انقطاع لشريعتهم كذلك لا انقطاع لولايتهم اه فلا يبعد أن يكون حلاهم بذلك عن كشف وعيان

الميس حث الخامس

ما تقدم من أخذ أبى العباس احمد بن عقبة الحضرمى عن أبى زكريا القادرى عن سيدى على وفا هو ما ذكره الأكثرون وذكر بعضهم ان ابن عقبة أخذ عن سيدى على وفا بلا واسطة وهو باطل فان سيدى علياماتسنة سبع وثما نمائة وكانت ولادة احمد بن عقبة سنة اربع وعشرين فلابد من واسطة أبى زكريا المذكور ومع ذلك ففيه اشكال من وجوه.

منها ان بعضهم روى عن ابن عقبة عنه عن والده ابى مسعود احمد عن والده أبى صالح نصر عن والده أبى عد عبدالرزاق عن والده القطب السكبير مولانا عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنهوهذا غلط بينلان أبا زكريا القادرى المذكور مات بمدينة حاه سسنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك قبسل ولادة الحضرمى بتسعين سنة لأنهاكانت سنة اربع وعشرين وثمانمائة

ومنها ان القادرى هذا غير مهروف وقد قال أبو عيسى الفاسى لا يبعد أن يكون المرادبه أبا زكريا يحيى الحمدالوفائى المعروف بأبى السيادات وتبعه على هذا جماعة جازمين به وفيه بعد لآن يحيى بن احمد الوفائى كنيته أبو السيادات لأأبوزكريا ولا تعرف نسبته بالقادرى ولا سبب لها لآنه غير قادرى لا نسبا ولا طريقة

ومنها ان الشيخ ابا العباس احمد بن عقبة رحل من بلده إلى مكة سـنة ست وأربعين وثما بمائة وأقام بها عشرين سنة فيكون انتقاله إلى القاهرة بعد سنة ست وستين وفى ذلك الوقت كان يحيى بن احمد الوفائى قد مضى لوفاته شحو تسع سنين لأنه مات سنة سبع وخمسين

ومنها ان أبا السيادات يحيى بن احمد الوفائى لم يصحب عمه و لا تأدب به لأن عمه مات وهو ابن تسع سنين لم يبلغ سن الصحبة والاقتداء فقد ولد سينة ثمان و تسمين و سبمائة ومات عمه سينة سبع و ثاغائة ثم ان الطريقة الوفائية تروى من طريق يحيى بن احمد الوفائي هذا عن والده احمد عن أبيه محمد لا عن عمه على فالحق انه شيخ قادرى النسب شاذلى الطريقة من أصحاب سيدى على وفا أخد عنه أبو العباس الحضرمي وكان خاملا لايعرف فلم يترجم له أحد

الميحث السادس

ان سيدى محمدا وفا لما مات كان لولده سيدى على ست سنين على الراجح لكنه أوصى بمنطقته أن تخلع على ولده عند كبره فلما خلعت وقع له الفتح فلذلك نسب إلى والده وهذا قد وقع لكثير من الأولياء كما بينته فى البرهان الواضح وفى مناهج التحقيق فلا يظن من وقف على تاريخهما ان بالسند انقطاعا فى هذا الموضع.

وهنا مباحث أخرى ذكرتها في الكتابين المذكورين .

فه___ل

وأما رجال السلسلة من مولانا الشيخ الوالد قدس سره إلى القطب ابن مشيش فقد استوفيت ترجمتهم في مناهج التحقيق في السكلام على سلسلة الطريق وغالبهم أفرد بالتأليف كالشاذلي والمرسى و بني وفا والحضرمي وزروق وأبى المحاسن الفاسي وسيدي احمد بن عبدالله وسيدي قاسم الخصاصي ومولاي العربي الدرقاوي وجدنا سيدى الحاج احمد بن عبد المؤمن فاني أفردته بتأليف سميته المؤذن بأخبار سيدي احمد بن عبد المؤمن

البياب العاشر

فى ذكر وفاة الشيخ و بعض ما قيــل فى رثائه كان الشبخ رضى الله عنه مريضًا بضعف القلب والخفقان مصحوبًا معــه من مدة طويلة إلا أنه لم يكن ظاهرا فيه الا في بعض الاحيان ثم فيأواخر شهر رمضان قوى فيـــــــ الا انه لم يلزمه الفراش فكان يخرج لمحل مقابلة الزوار والضيوف ولما كان يوم عيـــد شوال قابل كـنيرا من آلناس على عادة، وصرح لبعضهم بأن هــــذا آخر اجتماع بيننا مم في ذلك اليوم وما بعده اشتد به الحال فجمع أهله ومن كان حاضراً من اولاده واوصاهم فحثهم على التقوى والتمسك بالدين والعمــل بالسنة واجتناب البدءة وملازمة ذكر الله تعالى وذاكريه ومحبــة الاوليَّاء والصالحين واهل النسبة من الفقراء الذاكرين واكرام الضيوف وخدمتهسم بالنفس والمال ومواساة الضعفاء واعانتهم ورحمة الصغير وتوقير الكبير وصلة الرحم والتخلق بالحياء والمحبة والالفة والعمل بالعلم واحيساء السنة ونشبرها وكف الأذى وتحمله مع الصبر والاحتمال ومعرفة الوقت واهله ونحو هِذَا مُمَا كَانَ يَحِثُ عَلَيْهِ دَائُمًا وَقَالَ لَبِعْضَ اوْلَادُهُ كَنَا نُرْجُو مِنَ اللَّهُ تَعَالَى الفسحة فى الاجل حتى ينصر بنا هذا الدين الشريف و نعلمـكم العلم و نحج بكم و لكن راينا الآيام المقبلة ايام شرور وفتن ومصائب ومحن واشتداد ضعف فى الدِّين ووهن فسألت الله تعالى ان يقبضني اليه كما في الحُديث الشريف وإذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون فاستجاب الله دعائى وصدق رضى الله عنه فقد اشتد الخطب وعظمت الرزبة وظهر الانقلاب العظيم بسرعة وهو فى الزيادة نسأل الله مغفرته ومعافاته ولماكان يوم الأر ماء سادس شوال اشتد به الحال وظهرت عليه علامة الانتقال وارسل إلى بعض الفقراء فحضروا اليه ظمرهم بذكر الله جهرا فلما وصل وقتالعصر قدم احدهم فصلي به وبهم وصلي هو جالسا بالتيمم ثم امرهم بذكر الله ايضا إلى قرب الغُرُوب فامر بخروجِهم

فدخل عليه اهله وانجاله ولم تمض إلاهنيهة حتى فاضت روحه وانتقلت إلى الرفيق الأعلى وذلك سنة اربع وخمسين وثلاثمائة والف وكانت له جنازة لم تر طنجة مثلها منــ ذ خلقها الله تعالى وحضر الناس من سائر مدن الممرب كفاس والجــديدة والدار البيضاء وسلا وما بين ذلك والعرائش والقصر واصيلا وتطوان وغارة ومابينها وذهب بجنازته الى الجامع الكبير للصلاة عليه بها لكثرة الناس وازدحام الخاق ورؤى اليهود يبكون في بيوتهم من مهابة ذلك المحفل وما جعل الله فيمه من النور والبهاء وتبرك الناس بنعشه ووزعت سجادة كانت تحته خيوطا للتبرك ثم رد الىالزاء يةولم يدفن انتظارا لما يرد من عندنامن القاهرة وكنا سعينا في الحضور بالطيارة فلم يتيسر لنا ذلك ثم أمرناهم بالدفن بتلغراف أرسلناه فوقع الدفن ليلة الجمعة وحضر جنازته الأديب السيد محمد بن الطاهر الفاسي فرثاه بقصيدة نشرها في جريدة السعادة فقال: بالامس قدمنا لقراء جريدتنا السعادة ترجمة العلامة البدرأوي واليوم نقدم إليهم نرجمة علم من أعلام المفرب وكبير من كبرائه فقيد العلم والدين الشريف سيدى محمد بن الصديق الغمارى فغي ذلك اليوم نفسه سادس شوال بينما نحن نمتع الطرف في مناظر طنجة الفيحاء حيثمالتالشمس الى الغروب أذ رأينا ذاك الشبح المخوف شبح الموت الذى لا يهاب عظيما ولا يخشى شريفاً ولامشروفاً يمد يده بدون شفقة ولا حنان فيقضى قضاءه المبرم على تلك الروحالطاهرة ويطفىء ذلك المصباح الوضاء الذى طالما اهتدينا بنوره في تلك الظلمات القائمة والليالي الحالكة هناك كنت لاترى إلاعيونا باكية ووجوها متغيرة وزفرات تتردد فى الفضاء ونحيبا يرن فى الاجواء وألسنة لاهجة بالمدح والثناء مم ذكر ترجمة وجيزة ثم قال اما جنازته فكأن لها مشهد عظيم حضرها كل أهالى طنحة من مختلف الطبقات ومن ذلك اليوم والوفود ترد من جل مدن الايالة قال ولما بيننا وبين الفقيــــد رحمه الله من العلائق الودية والرابطة العامية رثيته بالقصيدة النالية التي ألقيتها بنفسي على قبره يوم ثالث صباح القبر ،

خبرونی هل فاب نجم السمود أم تسامي الى مقسام الخساود كان عهدى به يبذ الثريا كيفامسيرهين هذى اللحود لبكاكم فيرعوى عن صدود انديوه وابكوه عله يرثبي ليث شعرى ايصبح الناس فوضى فى ظلام فى شقوة فى رةود قد اخــذنا بالامس منه عهودا اتراه يسنى بتلك العهود شغلوا بالبكا ولطم الخدود سئم الناس بعدك العيش حتى كنت فينا تبيــد كل ظــلام وضلال وبدعـة وجمود باذلا في الصلاح كل الجهود كنت فينا تدعو بكل مملاح لم تكن تبتغى سوى نصرة الدي ن جهارا وملة التوحيــد في سبيل الآله ما قد نلاقي من شقاء ومحنة وهجود ان في القلب لوعة واحتراقاً ومعانى الاسي والحزن الشديد لا تقولوا قد مأت اني أراه يمتع الطرف في جنسان الخلود لا تقولوا قد غاب ان سناه في ازدياد ونوره في صعود ان يغب في بنيـه خـير عزاء سيا احمد كريم الجـدود

ولنقتصر على هذه القصيدة اختصاراً ، والحمد لله وكنى وصلى الله على سيدنا عمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله تعالى وعونه

فهرس الكتاب

مغمة

- ١ خطبة الكتاب
- ٢ ﴿ ذَكُرُ الْآبُوابُ وَالْتُرَاجِمُ
- ٤ الباب الأول في نسب الشيخ ومقر أسلافه
- ٣ الباب الثانى في تراجم أجدادة للاَّب والام
- ترجمة جده سيدى عبد المؤمن الكبير الشهير بأبى قبرين *
 - ٧ توجمة سيدى عبد المؤمن الصغير دفين غمارة
 - ٨ توجمة جده الأدنى سيدى الحاج احمد بن عبد المؤمن
 - ١٣ ﴿ سيدى الحاج الصديق والد الشيخ
 - ١٥ ﴿ وَالَّذَةُ الشَّيْخُ
 - ١٦ ﴿ وَالدَّهُا سَيْدَى أَحَمَّهُ بَنْ عَجِيبَةُ الصَّفِيرِ دَفَيْنَ طُنْجَةً
- ١٨٠ و الده سيدي آحمد بن عجيبة الكبير ضاحب التفسير في
 - ٧٧ البابُ الثالث في لشأة الشيخ وطلبه العلم ومجمل تازيخ خياته
 - ٧٩ بعض وقائع الشيخ ضد فرنسا ومحاربته لها 💮 📆
 - ٣١ توجه الشيخ للحج وما وقع له من مناظرات علمية وغيرها ﴿ وَ
- ٣٦ امتناع الشيخ من مقابلة السلطان عبد الحفيظ مع إلحاحه وبذله المال الكثير
 - ٣٨ ما حصل للشيخ مع فرنسا أيام الحرب العالمية الاولى
 - ٤١ سب الشيخ لفرنسا وحثه على الجهاد ضدها فى دروسه علنا
- ٤٣ حضورالشيخ لمؤتمر الخلافة بالقاهرة بدعوة من الحكومة المصرية

الباب الرابع في وصف حالته العلمية ومواهبه الفتحية 20 مهارة الشيخ في الطب 61 براعة الشيخ في الانساب وعلم الفلك وغيرهما ٥٦ حرص الشيخ على العمل بالسنة ولو خالفت المذهب 09 حب الشيخ لسائر المذاهب وتبحره فيها 74 رغبة الشيخ في اقتناء الكتب العامية بأى عمن كانت 70 بعض مؤلفات الشيخ وفتاواه 77 بعض الاحاديث الواردة فىالمخترعات ألعصرية كالطيارة والراديو ٨٢ بعض رسائل الشيخ إلى الفقراء في مختلف جهات المغرب ٨٨ الباب الخامس في مرد جملة من أخلاقه السنية وأحواله الزكية 9.4 تعظيمه لمشايخه الذين آخذ عنهم العلم ولو مسألة واحدة 4.4 تعظيمه لجلة القرآن خصوصاً حفاظ القراآت السبعة 1.. احترامه البالغ لاهل البيت كيفها كانوا 1.4 تنشئة أولاده على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة 1.2 ومن أغرب أحوال الشيخ مع أولاده أنه ما قدمهم على أحد 1.0 ولا انتصف لهم منه كان الشيخ وصالا لرحمه الجسماني والروحاني 1.4 كان لا يخرج إلى السوق ولا يمر في الشوارع ألعامرة 11. كان مفرد زمانه في قضاء حوائج المسلمين وإغاثة الملهوفين 114 كان ينزل الناس حسب منازلهم آلتي أنزلهم الله بها 112 حالة الشبيخ جامعة بين الشريعة والحقيقة 117 كان لا يذهب إلى أحد من أهل الدنيا 117 كان شديد الكراهية لما فيه تشبه بالكفار ولو في الشيء اليسير 119 كان يكره الوظائف الحركومية خصوصا القضاء والعدالة 14.

ما أكل طعام الـكفار ولا حلواءهم طول حياته

رفض الشيخ ما عرضت عليه فرنسا وأسبانيا من الاموال

شيء من ورعه واحتياطه الشديدين

شيء من زهد الذي انفرد به في الدنيا

141

174

140

147

الكثيرة لساعدها حقارة الدنيا في نظره بشكل لم يسمع به منذ عصر الصحابة 177 توكل الشيخ هو توكل كبار العارفين 144 كان منقطع النظير فىالسخاء والجود 147 كان يتعجب من حال أهل العلم وميلهم إلى الدنيا 12. كان يعطى المحتاج من غير سؤال 121 كان مفرد زمانه فى الحلم والعفو والصفح 127 كان في النو اضع بالمنزلة العليا 10. من تواضعه سكناه بطنجة التي لا يعرف أهلها علما ولا فضلا 104 عــداوة أهل طنجة للشيخ مع إحسانه اليهم وبغضهم لأهــل 102 الفضل عامة كان شدىد الحياء 107 كان سلم الصدر والنية 104 كان يحب موافقة السنة في كل شيء 109 كان ينخدع لمن خدعه تغاضياً منه وتـكرماً 17. كان يضع السبحة في عنقه 171 الباب السادس فيما أكرمه الله به من الفضائل والمزايا وفيه جملة 174 من المكارم والاخلاق لم تجتمع لفيره من العاماء والاولياء فصل في بعض مكاتب شيوخ العصر وأوليانه إلى الشيخ وبعض 145 ما قيل في مدحه من القصائد

۱۷۹ الباب السابع فى بعض ما جرى على يديه من الكرامات ۱۸۸ الباب الثامن فى ترجمة شيخه فى الطريق ۱۹۳ ترجمة سيدى الحاج أحمد ربيع ۱۹۸ الباب التاسع فى سلسلة الطريقة الصديقية

٧٠١ مباحث تتعلق بساسلة الطريقة وهي ستة

٧٠٧ الباب العاشر في ذكر وناة الشيخ وبعض ما قيل في رثائه

تم الفهرس

تصــويب

(ص ٤٨ س ٢٦ — إلا الرجوع — ص ١٠٧ س ١٠ — وما أنا) ورءًا بقيت أغلاط ضئيلة نبا عنها البصر لا تخنى على فطنة القراء

> صحح وفهرس بمعرفتى الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق احد علماء الآزهر الشريف

اعلان هام

شرعنا بعونه تمالى في طبع كتاب « تشنيف الآذان »

بأدلة استحباب السيادة عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم في الصلاة والاقامة والاذان ، وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على أربعين دليلا من السكتاب والسنة وصحيح النظر على استحباب السيادة في الاحوال المد كورة وغيرها وبرد على الوهابيين الجامدين والسبكيين المتنظمين وغيرهم من أعداء البيت النبوى الشريف

فبادروا إلى اقتنائه فان النسخ محدودة .